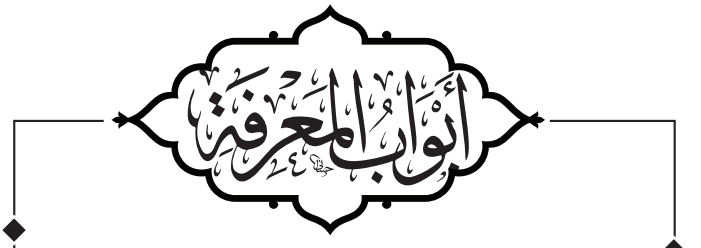

مجلة دورية بحثية علمية تعنى بنشر البحوث والدراسات
العلمية الخاصة بمعارف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وفكره
وما يتعلق به ولا سيَّما علوم نهج البلاغة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ۞ الرحمن الرحيم ۞ مالك يوم الدين ۞ اياك نعبد واياك
نستعين ۞ اهدنا الصراط المستقيم ۞ صراط الذين انعمت عليهم غير
المغضوب عليهم ولا الضالين

صدق الله العلي العظيم

مركز الإمام أمير المؤمنين للدراسات والبحوث المتخصصة
Imam Amir Al-Mu'mineen (peace be upon him)
Center for Specialized Studies and Research

مجلة أبواب المعرفة

مجلة دورية بحثية علمية تعنى بنشر البحوث والدراسات العلمية الخاصة بمعارف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وفكره وما يتعلق به ولا سيَّما علوم نهج البلاغة.

شهر ربيع الأول سنة ١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م، العدد (السادس)

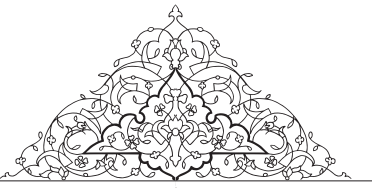

الإمـــام أميـــر المؤمنيـــن عليه السلام

علمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب
من العلم يفتح لي في كل باب ألف باب

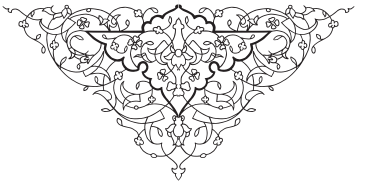

الإرشاد، ج ١، ص ١٨٥ . نظم درر السمطين، ص ١١٣ . مسند أحمد، ج ٥، ص ٣٠.

المشرف العام
السيد علي الجابـــري

الهيأة العلمية الاستشارية

أ.د. حسن عيسى الحكيم
أ.د. يحيى السلطاني أ.د. صباح عنوز
السيـــد زيد الحلـو
أ.د. عباس الفحام أ.د. عمار نصار
أ.د. حسن خليل رضا (لبنان) أ.د. عباس رضا (لبنان)

رئيس التحرير
الأستاذ هاشم محمد الباججي

سكرتير التحرير
الأستاذ حيدر الجد

التصحيح اللغوي
أ.م.د. خالد كاظم حميدي

العلاقات العامة والمتابعة والتوزيع
الشيـــخ أحمـد الذهـــبي
محمد باقر رحيم الحسناوي

التنضيد الالكتروني
أحمـــــد هاشـــــم

التصميم والإخراج الفني
أحمـد مكي جعفـــر

am | AGENCY
وكالة اي ام الإعلانية : 078 2690 1443

مجلة دورية بحثية علمية تعنى بنشر البحوث والدراسات العلمية
الخاصة بمعارف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وفكره وما يتعلق به
ولا سيَّما علوم نهج البلاغة.

تصدر عن:

مركز الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للدراسات والبحوث التخصصية

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٢٦٦٩ لسنة ٢٠٢٣

مركز الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للدراسات والبحوث التخصصية
Imam Amir Al-Mu'mineen (peace be upon him)
Center for Specialized Studies and Research

جمهورية العراق – النجف الأشرف

شروط النشر والكتابة

من أهم معايير القبول الأولي لنشر الأبحاث في مجلة أبواب المعرفة أن يشكل البحث إضافة علمية في مجال البحث ويسهم في التنمية الفكرية والعلمية وان يكون بحثا غير تقليدي مكتمل العناصر الأساسية.

١- تخضع البحوث لتقويم سري لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء قبلت للنشر أم لم تقبل.

٢- تُعبّر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبيها، ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المركز.

٣- يمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه.

عناصر البحث الأساسية:

١- عنوان البحث.

٢- معلومات عن الباحث (الدرجة العلمية، التخصص، الجامعة أو مكان العمل، المدينة، الدولة، بيانات التواصل).

٣- ملخص البحث ما لايزيد عن ٢٥٠ كلمة باللغة العربية.

٤- المقدمة ويجب ان تتضمن مشكلة البحث وأسئلته، أهمية البحث، أهداف البحث.

٥- أجزاء البحث ومحتوياته.

٦- الخاتمة.

٧- نتائج البحث.

٨- التوصيات والمقترحات.

٩- المصادر والمراجع.

تنسيقات البحث:

١- يرفق مع البحث ملخص للبحث لايزيد عن ٢٥٠ كلمة باللغتين العربية والانجليزية.

٢- ترتيب العناوين الرئيسة والفرعية ترتيباً تسلسلياً على التوالي.

٣- ترتيب الجداول والأشكال والصور في البحث ترتيب تسلسلياً على التوالي.

٤- لا تتجاوز عدد صفحات البحث ٤٠ صفحة ولا تقل عن ١٠ صفحات.

٥- ترقيم صفحات البحث.

المحتـويات

العلاقة بين الحاكم والمحكوم في المنهج العلوي	د. عصري الباني (ايــران)	١٥
حكم نكث البيعة عند أهل السنة .. معركة الجمل أنموذجاً	الشيخ مهنّد غازي العُقابي (باحث وطالب علم في الحوزة العلمية في النجف الاشرف)	٣٩
الإمام علـي بن أبي طالب عليه السلام ... عن السلام وحوار الثقافات	د. أحمد راسم النفيس (مصـــر)	٥٩
قواعد الحكم الأربعون عند الإمام علـيّ عليه السلام	أ.د.نسيب محمد حطيط (لبنـــان)	٧٩
واقعة الغدير .. رسالة تعايش ووحدة واستقرار للأمة الإسلامية	م. هاشم محمد محمد باقـــر الباججي	١٠٩
حادثة الغدير في النصوص المعاصرة (قراءات في النص الاستشراقي)	م.د. خديجة حسن علي القصير	١٢٧
فكر الإمام علـي بن أبي طالب عليه السلام والممارسة التربـــويَّـــة المعاصرة	أ.د. حسيب فقيه (لبنـــان)	١٤٧
الإصلاح القضائيّ عند الإمام علـي عليه السلام المفهـــوم والإجـــراء	د. زهراء علي دخيل (لبنـــان)	١٦٩

أبواب المعرفة

إضـــاءة

رسالة علم وإيمان — رئيس التحرير

العلـمُ هـو أسـاسُ نهضـة الأمـم وتقدّمهـا، فهـو نـورٌ يُسـتضاء بـه، واللبنـة الأولى للازدهـار والعلـو والرفعـة، وهـو منبـتُ الفضائـل، والطريـقُ إلى الجنـة، وقـد روي عـن الرسـول الأعظـم محمَّـد ﷺ: «مـن سـلكَ طريقـاً يلتمس فيـه علـماً سـهَّل اللهُ له بـه طريقاً إلى الجنّـة»، فطلـبُ العلـمِ وحبّـه مـن علامـات توفيـق الله تعـالى للإنسـان، ولاسـيَّما إذا كان طلـبُ العلـم عـن معرفـة ووعـي وإدراك وفهـم للحقائـق بتجـرّد عـن ميـول النفـس والهـوى، وطريـقُ العلـمِ والمعرفـةِ واضـحٌ وسـهلٌ يسـلكه كلّ بصـير، هدفـه الوصـول إلى الله تعـالى بأيـسر الطـرق وأقصرهـا وأفضـل السـبل وأنجعهـا، فقـد حـدَّدَ الرسـولُ الأكـرم محمَّـد ﷺ هـذه السـبل، وبـيَّن طريـقَ العلـمِ والمعرفـةِ حينـما قـال: «أنـا مدينـةُ العلـمِ وعـليٌّ بابهـا»، أو «أنـا مدينـةُ الحكمـةِ وعـليٌّ بابهـا... فمـن أراد العلـم فليأتهـا مـن بابهـا، فمـن أراد الحكمـة فليأتهـا مـن بابهـا» عـلى روايتـين-؛ لأنَّ غايـةَ العلـمِ الخـير، فهـو يُوصلنـا إلى منـازل رفيعـة، وهـو النـور الـذي يُـضيء العقـول، والحـثّ عليه واجـبٌ، فهو يُحقـق التكامـل الروحـي والنفـسي للإنسـان، ثـم الرفاهيَّـة والتقـدّم في مجـالات عديـدة، منهـا: الصحّـة والعمـل والتكنولوجيـا وغيرهـا، ممـا يُسـهّل حيـاة الإنسـان، فلـولا العلـم والمعرفـة لكانـتِ الدنيـا غـير يسـيرة، فالعلـمُ بحـرٌ واسـعٌ لا نهايـة لـه، فمهـما حـاولَ طالـبُ العلـم الإبحـار في شـتى العلـوم، سـيُدرك أنّـه مـا زال عـلى الجـرف، فضـلاً عـن ذلـك فـإنَّ العلـمَ - بالـضرورة - يُـؤدّي إلى الحكمـة والأخـلاق، فـلا علـمَ مـن دون خلـق حسـن؛ لذلـك فهـو يتطلّـب الجهـد والصـبر والمثابـرة والاطـلاع الواسـع، ووضـع الأسـئلة والتفكـير بالإجابـة عنهـا، فـلا حـدودَ للعلـمِ والمعرفـةِ أبـدًا، فضـلاً عـن ذلـك فـإنَّ العلـمَ هـو سرُّ السـعادةِ، فهـو يمنـح الثقـة بالنفـس، والقـدرة عـلى فهـم الآخريـن والتفاعـل معهـم ؛ لـذا دأب مركـز الإمـام أمـير المؤمنـين عليه السلام للدراسـات والبحـوث التخصصيَّـة - في ضمـن نشـاطه النوعـي والإبداعـي - عـلى نـشر فكـر الإمـام أمـير المؤمنـين عليه السلام وتراثـه، عـن طريـق البحـوث العلميَّـة التـي تنـشر في هـذه المجلـة المباركـة لتكـون امتـداداً لطريـق العلـم والمعرفـة الـذي خطَّـه نبينـا العظيـم ووصيـه وصنـوه (صلـوات الله عليهـم أجمعـين)، ومـن هـذا المنطلـق يدعـو المركـزُ المؤسسـات الاكاديميَّـة والعلميَّـة والثقافيَّـة لأن يكـون لهـا أثـرٌ مُهـمٌّ في تطويـر التعليـم ودعـم الأبحـاث العلميَّة، وتوفـير التعليـم المجـاني للجميـع؛ للنهـوض والتقـدّم والنجـاح.

IN THE NAME OF ALLAH THE MOST BENEFICENT THE MOST MERCIFUL

أبواب المعرفة

العلاقة بين الحاكم والمحكوم في المنهج العلوي

د. عصري الباني[1]

١ – دكتوراه في التاريخ الإسلاميّ، وأستاذ الدراسات العليا في جامعة المصطفى العالميَّة، قم المقدسة.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
١٤٣٨ صلاة

ملخص:

كان النـاس في الحقـب الأُولى مـن حيـاة الإنسـان لا يعرفـون حاكـماً ولا محكومـاً، ولا شـيئاً مـن الحقـوق العامّـة، وبعـد انتقـال الإنسـان من حياة الأفـراد إلى حياة الجماعة، خضـع الفـرد لشـعورها وآمـن بـضرورة الخضـوع للرئيـس والحاكـم، ولكنَّـه كان شـعوراً خاطئـاً أدّى بـه إلى الاعتقـاد بـضرورة تعظيـم وتقديـس الحاكـم مـن دون أي مقابل، وهـذا مـا نجـده في الحضـارات القديمـة مـا قبـل الإسـلام، فقـد خضـع أهـل الصـين للأباطـرة أبنـاء السـماء، وخضـع أهـل مـصر للفراعنـة أبنـاء الشـمس، وخضـع الفـرس لكـسرى والـروم لقيـصر، وهكـذا عنـد جميـع الشـعوب.

عندمـا جـاء الإسـلام دعـا إلى القضـاء عـلى هـذه الفكـرة الخاطئـة وأكَّـد عـلى أنَّ الحقـوق العامَّـة هـي حقـوق متبادلـة بـين الحاكـم والمحكـوم، وطبّـق هـذا الأمـر في حيـاة رسـول الله ﷺ إبّـان حكومتـه في المدينة المنـورة التـي اسـتمرت لمـدة ١٠ سـنين.

فعندمـا ضبـط الإسـلام هـذه العلاقـة، وبـيَّن واجبـات الحاكـم والمحكـوم في الإسـلام، وأن عـلى الحاكـم عـدة واجبـات منهـا: حفـظ الديـن، وتنفيـذ الأحـكام بـين النـاس بالعـدل، وإقامـة حكـم الله في الأرض، وحمايـة حـدود الدولـة الإسـلاميَّة. وأن الإسـلام أوجـب عـلى المحكـوم عـدة واجبـات منهـا: البيعـة، والسـمع والطاعـة والنصيحـة. وعـدم الخـروج عـلى الحاكـم الشرعـي إلا وفـق شروط وضوابـط معينـة اختلفـت حـول تفاصيلهـا المـدارس والمذاهـب الإسـلاميَّة.

وفي هـذا السـياق يتّضـح أنَّ أسـاسَ الخـلاف بـين مدرسـة أهـل البيـت عليهم السلام والمناهـج والمـدارس الأخـرى في موضـوع العلاقـة بـين الحاكـم والمحكـوم يـدور حـول نظـرة الإسـلام للإنسـان، هـل هـو عبـد أو حـرّ؟، وهـل لـه حقـوق يطالـب بهـا أو لا؟، وهـل لـه كرامـة يجـب أن تراعـى أو أنَّـه مسـلوب الكرامـة؟، وهـل أنَّ لمالـه وعرضـه ونفسـه قيمـة او لا؟، وهـل لـه حريـة فكريَّـة وسياسـيَّة وشـخصيَّة أو لا؟...الـخ.

هنـا تختلـف مدرسـة أهـل البيـت عليهم السلام التـي جسَّـدها الإمـام عـلي عليه السلام -في أيـام حكمـه القصـيرة- مـع المـدارس الأخـرى والفهـم الآخـر للإسـلام، فالمنهـج العلـوي يـرى أنَّ الإنسـانَ حـرّ لـه كرامـة، مصـون مالـه ونفسـه، وعرضـه حـر في إبـداء فكـره وعقيدتـه؛ لأنَّـه (إنسـان) فـإذا جردنـاه مـن كلّ هـذا فـما الفـرق حينئـذ بينـه وبـين البهيمـة؟!.

بخلاف المناهج الأخرى التي لا ترى لهذا الكائن أيّاً من هذه الحقوق، فليس عليه إلّا الامتثال والطاعة، وجميع الحقوق للحاكم، فهو يستطيع أن يفعل ما يريد، كيف يريد، ساعة يريد، بلا حسيب ولا رقيب، ولا يحكمه القانون، بل هو يحكم القانون، وقد طبق هذا الأمر بنسب متفاوتة في الحكم الذي جاء بعد رسول الله ﷺ.

إنَّ الدعوةَ للأخذ بالأحكام السلطانيَّة، واتّباع الحاكم التي نسبوها ظلماً إلى رسول الله ﷺ أنَّه قال: «تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع»[1]. هي دعوة سلطويَّة بذرت نواتها في أيام حكومة السقيفة من ١١-٣٥ هـ، ثم طبقت بشكل كامل في العهد الأموي فالعباسي، وما زالت مطبقة في الحكومات الإسلاميَّة إلى يوم الناس هذا إلّا ما ندر.

من هنا تصدَّى الإمام عليه السلام -ومن بعده الائمة الهداة عليهم السلام- لهذه النظريَّة التي تسلب الإسلام روحه ورسالته الإنسانيَّة العظيمة، فبيَّن للناس أنَّ الذي رأيتموه وسوف تروه بعدي لا يمتُّ إلى الإسلام الحقّ الذي جاء به محمد ﷺ بصلة، بل هي أهواء واجتهادات لأشخاص يمثلون أنفسهم وسوف يحاسبون عليها. واستعمل الباحث لتحقيق ذلك المنهج الاستنباطي، والمنهج الوصفي، والمنهج المقارن. وسنتناول هذا الموضوع في مبحثين:

المبحث الأول: العلاقة بين الحاكم والمحكوم بعد النبي ﷺ:

بعد وفاة النبي ﷺ نحت الأمور منحًى آخرَ، فبدأنا نجد ظواهر تشير إلى توجّه المسلمين إلى ماكان عليه الأمر قبل الإسلام والحكومة المطلقة، الأمر الذي أدَّى في النهاية إلى قيام الثورة على الخليفة الثالث وقتله سنة ٣٥هـ[2]. وهو ما بينه الإمام علي عليه السلام بقوله: «وَأَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ اسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ الْأَثَرَةَ»[3].

١-صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، ج٦ ص٢٠، الوفاة: ٢٦١هـ، الناشر: دار الفكر - بيروت - لبنان.
٢-كان مقتل عثمان على رأس إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا وثمانية عشر يوما من مقتل عمر بن الخطَّاب رضي الله تعالى عنه، وقتل صلاة العصر، وبايع الناس عليّا يوم السبت لتسع عشرة ليلة خلت من ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين. أنساب الأشراف. أحمد بن يحيى بن جابر (البلاذري)، ج٥ ص٥٧٨،الوفاة: ٢٧٩هـ، تحقيق: احسان عباس، سنة الطبع: ١٤٠٠ - ١٩٧٩ م، الناشر: جمعية المستشرقين الألمانية - بيروت.
٣-نهج البلاغة، الخطبة: ٢٩، خطب الإمام علي عليه السلام، الوفاة: ٤٠هـ، شرح: الشيخ محمد عبده، الطبعة:

لخّص عليه السلام لهم بعبارة موجزة قضيته وقصّته، أمّا هو فقد استبدَّ بالأمور وأخذ لنفسه و لعشيرته ما هو للمسلمين، فأساء بهذا التقديم لنفسه وأهله إساءة بالغة، وأمّا المسلمون فقد جزعوا وضاقت صدورهم ولم يتحمَّلوا ويصبروا فأساءوا بقتله، فهو أساء بالاستئثار؛ لأنه تجاوز حدّه، وهم أساءوا بالجزع؛ لأنّهم تجاوزوا حدّه... هذا هو رأي الإمام و ما يجري عليه في الدنيا، وأمّا عند الله فإنَّ لكل منهما حكماً خاصاً به للقاتل و المقتول هو يعلمه و سوف يلحق مستحقه لا محالة.

فاستأثر –هنا– يعني أصبح حاكماً مطلقاً لا يعتقد بالنظرية الإسلاميَّة في الحكم التي تقوم على أساس أنَّ الحقوق العامَّة هي حقوق متبادلة بين الحاكم والمحكوم.

المبحث الثاني: العلاقة بين الحاكم والمحكوم في الحكم العلوي عليه السلام

عندما تسنّم الإمام علي عليه السلام السلطة، سعى إلى إرجاع المفهوم الصحيح للإسلام حول العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وأنَّها حقوق متبادلة، فإنَّ الله سبحانه شرّع أحكاماً حدَّد فيها حقّ الراعي على الرعيَّة وحقها عليه، وذلك عن طريق مجموعة من الأمور:

المطلب الأول: تبيين حقوق الحاكم والمحكوم:

وقد بين ذلك عن طريق مجموعة من النصوص:

النصّ الاول: رواية جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس بصفين فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد النبي صلى الله عليه وآله ثم قال: «أما بعد فقد جعل الله تعالى لي عليكم حقاً بولاية أمركم ومنزلتي التي أنزلني الله (عز ذكره) بها منكم ولكم علي من الحقّ مثل الذي لي عليكم والحق أجمل الأشياء في التواصف وأوسعها في التناصف لا يجري لأحد إلا جرى عليه ولا يجري عليه إلا جرى له ولو كان لأحد أن يجري ذلك له ولا يجري عليه لكان ذلك لله (عز وجل) خالصاً دون خلقه لقدرته على عباده ولعدله في كل ما جرت عليه ضروب قضائه ولكن جعل حقه على العباد أن يطيعوه وجعل كفارتهم عليه بحسن الثواب تفضلاً منه وتطولاً بكرمه وتوسعاً بما هو من المزيد

الأولى، سنة الطبع: ١٤١٢ – ١٣٧٠ ش، المطبعة: النهضة – قم، الناشر: دار الذخائر – قم – ايران.

لـه أهـلاً، ثـم جعـل مـن حقوقـه حقوقـاً فرضهـا لبعـض النـاس عـلى بعـض فجعلهـا تتـكافى في وجوهها ويوجـب بعضهـا بعضـاً ولا يسـتوجب بعضهـا إلا ببعـض»[1].

بـيَّن عليه السلام في هـذا النـص مجموعـة مـن الأمـور:

ذكـر القاعـدة الكليَّـة مـن أنَّ الحقـوق متكافئـة بـين الراعـي و الرعيـة فلـه عـلى الرعيَّـة حـقّ الطاعـة والتـزام أمـره وعـدم عصيانـه ولهـم عليـه العـدل بينهـم في قسـمة فيئهـم وتوفـير الأمـن لهـم وتوفـير الفـرص لسـعادتهم ماديّـاً و معنويّـاً.

أشـار أنَّهـم لا يعطـون الحـقّ مـن أنفسـهم لـه فقـال: إذا أراد النـاسُ أن يصفـوا الحـق لبعضهـم أجـادوا و أبدعـوا وأتـوا بـما لا مزيـد عليـه، و لكنَّهـم إذا أرادوا ممارسـته و العمـل بـه عجـزوا عـن ذلـك و توقفـوا و لم ينفـذوا منـه شـيئاً، فالوصـف سـهل يسـير والعمـل صعـب عسـير.

أكَّـد أنَّ هـذا الحـقّ لا يكـون لأحـد، إلّا يكـون عليـه ولا يجـري عليـه إلا جـرى لـه، فـكلُّ واحـد يجـري عليـه الحـقّ ويجـب أن يتقبلـه و يقبـل بـه؛ لأنَّ المصلحـة العامَّـة تقتـضي ذلـك.

بـيَّن أنَّ الحـقَّ يجـري عـلى كلّ أحـدٍ مـن دون اسـتثناء، وذكـر أنَّـه لـو كان الحـقّ يجـري لأحـد ولا يجـري عليـه لـكان ذلـك للهَّ (عـز وجـل) و ذكـر لذلـك سـببين:

- إنَّـه القـادر المطلـق فـلا يعجـزه شيء يسـتطيع أن يقهـر عبـاده عـلى حقوقـه و يحملهـم عليهـا ولا يعطيهـم شـيئاً، وأمَّـا غـيره مـن النـاس فـلا يملـك ذلـك.

- إنَّـه لـو لم يجزهـم بأعمالهـم ومـع ذلـك كلفهـم بهـا لـكان عـادلاً؛ لأنَّ لـه مـن النعـم عـلى العبـاد مـا لـو عبـدوه مـدى الدهـر لم يوفـوه حـقّ نعمـة واحـدة منهـا، فيكـون إعطـاؤه لهـم الحقـوق عليـه تفضـلاً منـه ورحمـة.

بـيّن أنَّ اللهَّ تعـالى الـذي يجـري في حقّـه أن يكـون لـه الحـقّ، ولا يجـري عليـه الحـقّ لم يعـطِ لنفسـه ذلـك، بـل أجـرى الحـقّ لـه وأجـراه عليـه، إذ جعـل حقّـه عـلى العبـاد أن يطيعـوه فيـما أمـر ونهـى، ولا يخالفـوه في حكمـه وتشريعـه، وجعـل لهـم عليـه الحـقّ أن يضاعـف لهـم الثـواب تفضّـلاً منـه، فـإنَّ اللهَّ أهـل التفضّـل والعطـاء.

أشـار إلى أنَّ الحقـوقَ بـين النـاس وعـلى بعضهـم بعضـاً متفرعـة عـن حـقّ اللهَّ باعتبـار

١ - الـكافي، الكلينـي، ج٨ ص٣٥٣، الوفـاة: ٣٢٩هـ، تصحيـح وتعليـق: عـلي أكـبر الغفـاري، الطبعـة: الثالثـة، سـنة الطبـع: ١٣٦٧ ش، المطبعـة: حيـدري، النـاشر: دار الكتـب الإسـلاميَّة - طهـران.

تشريعه لها وأمره بها فهي منه، وبهذا الاعتبار ترجع إليه، وهي واجبة باعتبار أمر اللهَّ فيكون الالتزام بها طاعة للهَّ ويكون ذلك بالتالي متفرعاً على حقّ اللهَّ العامّ.

بيَّن أنَّ اللهَّ سبحانه جعل لبعض الناس حقوقاً على بعضهم الآخر، وجعلها تتساوى فيما بينها، فمن له حقّ كان عليه في مقابله حقّ، فإذا وجب على الزوج النفقة وجب على الزوجة الطاعة وعليها أن لا تعصيه، وأن بعضها يستوجب بعضها الآخر، فإذا لم يتوفر سقط ذلك الواجب فلا يكون الحقّ واجباً من طرف دون أن يجب من الطرف الآخر، فلا يجب على الرعية الطاعة للوالي، إلّا إذا قام الوالي بالعدل والقسط من طرفه.

النص الثاني: عن أبي جعفر عليه السلام قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس بصفين فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد النبي صلى الله عليه وآله ثم قال: «...فأعظم مما افترض الله تبارك وتعالى من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي فريضة فرضها الله (عز وجل) لكل على كل فجعلها نظام ألفتهم وعزا لدينهم وقواما لسنن الحق فيهم، فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة ولا تصلح الولاة إلا باستقامة الرعية، فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه وأدى إليها الوالي كذلك عز الحق بينهم فقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العدل وجرت على أذلالها السنن فصلح بذلك الزمان وطاب به العيش وطمع في بقاء الدولة ويئست مطامع الأعداء وإذا غلبت الرعية واليهم وعلا الوالي الرعية اختلفت هنالك الكلمة وظهرت مطامع الجور وكثر الأدغال في الدين وتركت معالم السنن فعمل بالهواء وعطلت الآثار وكثرت علل النفوس ولا يستوحش لجسيم حد عطل ولا لعظيم باطل اثل فهنالك تذل الأبرار وتعز الأشرار وتخرب البلاد وتعظم تبعات الله (عز وجل) عند العباد فهلم أيها الناس إلى التعاون على طاعة الله (عز وجل) والقيام بعدله والوفاء بعهده والانصاف له في جميع حقه، فإنه ليس العباد إلى شئ أحوج منهم إلى التناصح في ذلك وحسن التعاون عليه وليس أحد وإن اشتد على رضى الله حرصه وطال في العمل اجتهاده ببالغ حقيقة ما أعطى الله من الحق أهله ولكن من واجب حقوق الله (عز وجل) على العباد النصيحة له بمبلغ جهدهم والتعاون على إقامة الحق فيهم، ثم ليس امرء وإن عظمت في الحق منزلته وجسمت في الحق فضيلته بمستغن عن أن يعان على ما حمله الله (عز وجل) من حقه ولا لامرئ

مع ذلك خسئت به الأمور واقتحمته العيون بدون ما أن يعين على ذلك ويعان عليه وأهل الفضيلة في الحال وأهل النعم العظام أكثر في ذلك حاجة وكل في الحاجة إلى الله (عز وجل) شرع سواء»[1].

بيّن عليه السلام أنَّ للهّ على عباده حقوقاً:

- **الأولى:** ما كانت له وحده لا صلة لها بغيره على الإطلاق، منها الإيمان به وبكتبه وملائكته ورسله، و التعبد له من دون غيره.
- **الثانية:** حقوق للناس، ولكن لا على سبيل الانفراد والاستقلال، بل على سبيل التكافؤ و التضامن بين الناس بعضهم مع بعض، بحيث يكون أحد الواجبين بالنسبة للآخر كالجزء المتمّم له، أي يجبان معاً ويسقطان معاً، ومن هذا النوع التعاون على البر و الصالح العام. وهذا ينقسم إلى قسمين:

الولاء للسلطة الشرعيَّة المتمثلة في شخص الوالي العادل، لا الولاء لشخصه بالذات؛ لأنَّه وكيل لا أصيل.

حقّ الرعيَّة على الوالي والمتمثّل في تأمين حاجات الرعيّة وتحقيق أهدافها، وهذه الحقوق الإنسانيَّة المتكافئة المتبادلة بين الراعي والرعية، هي فريضة فرضها اللهّ، وهي حقوق اللهّ وحقوق الناس في آن معاً.

وبهذا التضامن والترابط بين الحاكم والمحكوم تستقيم الأمور، و يعيش الجميع إخواناً متحابّين، ومن أجل هذا جعله سبحانه دستور الحكم و أساسه. و الانحراف عنه فساد و ضلال يؤول بالمجتمع إلى الهلاك.

ثم أشار إلى قاعدة كليَّة مفادها أنَّ الأوضاع لا تصلح، والاستقرار لا يتمّ، إلا عن طريق أمرين:

- أنَّ يكون الوالي كفؤا للقيام بأعباء الحكم، ومخلصاً، يساوي نفسه وأهله بأضعف الناس من رعيته.

- استقامة الرعيَّة عن طريق الولاء للسلطة القوية العادلة، والتعاون معها على أساس مصلحة الجميع و تأمين حقوقهم. فمهما اجتهدت القيادة وأخلصت في عملها ومقاصدها فإنَّها لا تأتي بخير إلّا بمعونة الجماعة، تلك تخطط، وهذه تنفذ، ومتى حصل التعاون بين الطرفين، تحققت الأهداف واستقام الناس على الطريق

١- المصدر السابق، ج٨ ص٣٥٨.

القويم وقام العدل، وسارت سنّة رسول الله ﷺ في مجراها الطبيعي بلا تحريف وتزييف من أرباب الأهواء والأغراض. فصيانة الحقّ المتبادل بين الراعي والرعية يؤدّي إلى صلاح الزمان وثبات الدولة واستمرارها؛ لأنّها تقوم على الحقّ والعدل. وفي المقابل إذا تجاوز الراعي حقّه المقرر انتهى إلى الاستبداد، وإن تجاوزت الرعيّة الحدود عمَّت الفوضى، وانشقت الصفوف، وأميتت السنّة، وكثرت البدع، ولا زاجر عن منكر، وآمر بمعروف فيكثر الفساد تبعاً للأوضاع القائمة، وينزل العقاب الإلهي فهناك ترابط بين الجرائم و العقاب كمّاً و كيفاً.

ثم أشارَ الإمامُ عليه السلام إلى الطريق السليم لعلاج الأوضاع الفاسدة، وهو التناصح والتعاون بين العقلاء، وأولي الشأن، وذلك أن يبحثوا عن السبب والمصدر، فإنَّ كان التقصير من الحاكم نصحوه و قوّموه، فإن استقام وإلاّ عزلوه، وإن كان من بعض الرعيّة وفئاتها تعاونوا مع الحاكم على إصلاحها، فإن فاءت وإلا قاتلوها حتى تفيء إلى أمر الله.

ثمّ بيَّن أنَّ ما من أحد مهما بلغ من العلم و العمل إلّا وهو في حاجة إلى النصيحة والتعاون، لأنَّه إنسان غير معصوم، و هذا الإنسان لا يعرف أخطاءه وعيوب نفسه؛ لأنَّها تخدعه عن حقيقتها وغيره أعرف منه بها، إذن عليه أن يتعاون معه لمعرفتها فهو دائماً في حاجة إلى العون والمساعدة. و أيضاً ما من أحد وإنْ قلَّ شأنه في المجتمع إلّا وفيه جهة إيجابيَّة ينتفع بها الآخرون. و الخلاصة أنَّ الإنسان لا يستطيع أن يصنع نفسه بنفسه، وأنَّه بحاجة إلى معونة الآخرين من أبناء نوعه حتى ولو كانوا دونه بمراتب.

المطلب الثاني: نهي الناس عن مدح الحاكم وإطرائه:

من الأمور المتعارف عليها بين الحكّام قبل الإسلام إقامة النصب التي تؤرّخ إنجازاتهم ومفاخرهم، وهذا ما نراه في الحضارات الفرعونيَّة والهنديَّة والصينيَّة وما بين النهرين وينفقون في إنجازها أموال الدول وطاقات شعوبها.

وعندما جاء الدين الخاتم أكَّد على أن هذا الأمرَ غير صحيح، وإنَّ الحاكم الإسلامي –معصوماً كان أو غير معصوم– هو موظف حكومي كغيره من الموظفين، ليس له أي من الامتيازات التي تميّزه من غيره من أبناء الأمّة، فلا يجوز أن يقام له نصب ولا هرم ولا مسلة ولا صرح لقبره؛ لأنَّ في ذلك تعدّياً على

أموال المستضعفين وهدر حقوقهم. وهو ما طبّقه النبي الأعظم ﷺ فلم نجده يشيّد هرماً ولا مسلةً ولا صرحاً يمجّده، ولا رأيناه يغدق أموال المسلمين على الشعراء لكي يمدحوه. وقد سار أمير المؤمنين عليه السلام على هذا المنهج وتلك السيرة أيام حكومته، فنهى الناس عن مدحه وإطرائه؛ لأنّها ظاهرة تؤدّي إلى الإضرار بالمجتمع، وهو ما جاء عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: (...قام رجل من عسكر أمير المؤمنين عليه السلام أيام صفّين لا يدرى من هو، فأحسن الثناء على الله (عز وجل) بما أبلاهم وأعطاهم من واجب حقّه عليهم والإقرار بكلّ ما ذكر من تصرّف الحالات به وبهم. ثم قال: أنت أميرنا ونحن رعيتك بك أخرجنا الله (عزّ وجل) من الذل وباعزازك أطلق عباده من الغل. فاختر علينا وامض اختيارك وائتمر فأمض ائتمارك فإنك القائل المصدق والحاكم الموفق والملك المخول، لا نستحل في شئ معصيتك ولا نقيس علما بعلمك، يعظم عندنا في ذلك خطرك ويجل عنه في أنفسنا فضلك. فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «إن من حق من عظم جلال الله في نفسه وجل موضعه من قبله أن يصغر عنده لعظم ذلك كل ما سواه وإن أحق من كان كذلك لمن عظمت نعمة الله عليه و لطف إحسانه إليه فإنه لم تعظم نعمة الله على أحد إلا زاد حق الله عليه عظما وإن من أسخف حالات الولاة عند صالح الناس أن يظن بهم حب الفخر ويوضع أمرهم على الكبر وقد كرهت أن يكون جال في ظنكم أني أحب الاطراء واستماع الثناء ولست بحمد الله كذلك ولو كنت أحب أن يقال ذلك لتركته انحطاطا لله سبحانه عن تناول ما هو أحق به من العظمة والكبرياء وربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء، فلا تثنوا علي بجميل ثناء لاخراجي نفسي إلى الله وإليكم من البقية في حقوق لم أفرغ من أدائها وفرائض لا بد من إمضائها»[1].

أشار عليه السلام في هذا النصّ إلى مجموعة من المفاهيم:

بيّن عليه السلام أنَّ السببَ الذي دعاه إلى منعهم من مدحه هو جلال اللهَّ وعظمته التي تمنع أن يكون لأحد من الناس في قلب المؤمن محل أو مكان. فالأشياء تصغر، وتُحتقر إلى درجة الإهمال واللامبالاة أمام القلوب الطاهرة التي عاش اللهَّ فيها. وكلّ ما سوى اللهَّ يصغر حتى يضمحل ويفنى في القلب الذي عاش اللهَّ فيه. وهذه الحال

١- الكافي، ج٨ ص٣٥٦.

تتأكّد في من كثرت نعم اللهَّ عليه من مال وشرف وصحّة وأمان وإيمان وعز وكرامة وسلطان، فكلما ازدادت نعم اللهَّ على العبد ازداد عليه تعظيم حق اللهَّ وهكذا يزداد الشكر والتعظيم بزيادتها.

أشار إلى أنَّ من أسخف ما يعيشه الولاة في نظر الناس الصالحين هو حب الفخر والمباهاة والتكبّر والاستعلاء؛ لأنَّ ذلك ضعف في شخصيتهم ينعكس على الدولة وتوجهاتها، فالحاكم الذي ينتفخ للمدح والثناء عليه ولانجازاته الكبيرة يعيش في حدود هذا المدح ولا يخرج عنه ويعيش الزهو في نفسه فيعطله ذلك عن العمل الجادّ.

أراد أن ينفي عن نفسه مثل تلك الصفات التي أنكرها في حقّ الولاة فقال: إنّي أخاف أن تحدّثكم نفوسكم وتقودكم ظنونكم إلى أنني أعيش هذه الحالات من حبّ المدح والإطراء والثناء فإنني لست كذلك، ولا أحبّه، ولو فرضنا فرضاً أنني أحب أن يقال في ذلك لتركته تواضعاً للهَّ الذي هو أحق بذلك وأولى من كل أحد لعظمته وكبريائه وعلو مقامه.

مهَّد واعتذر لمن مدحه وأثنى عليه، أن الإنسان إذا قدم شيئاً من التضحيات و أنجز بعض المهمّات استحسن الثناء وأحب المدح والإطراء جزاء عمَّا قدّم إنَّه يحب كلمة شكر على عمله وما قام به.

نهاهم أن يثنوا عليه ويمدحوه ويجلّوه وعلَّل ذلك أنَّه قد أخرج نفسه للهَّ، وأراد أن يؤدّي حقه ويقوم بواجبه وواجب أمره و نهيه؛ لأنَّه عند ما يقوم بذلك يقوم بواجب النعمة ومن يقوم بذلك لا يطلب مدحاً ولا يريد اطراءً، وكذلك يريد أن يخرج نفسه من خدمتهم الواجبة عليه و ما هو مطلوب منه من الحقوق نحوهم فهو في كلا الأمرين يقوم بما هو واجب عليه، ولا شكر على واجب.

وأمَّا حكام المسلمين بعد علي عليه السلام والى يومنا هذا فرجعوا إلى ما كانت عليه الحال ما قبل الإسلام فهم يشيدون الصروح والتماثيل التي تحكي أمجادهم ويحبون الإطراء لهم وإنشاد الأناشيد التي تتغنى بمناقبهم وفضائلهم وانجازاتهم – التي لا وجود خارجيّاً لها بل هي أوهام في مخيلة الحاكم المريضة- فيتوهمون أنَّ الأمور على خير مايرام فيهملون أمور الناس والدولة ونتيجة ذلك ستكون خراب البلاد وهو ما رأيناه ونراه إلى الآن في سقوط الحكومات الدكتاتوريَّة في البلاد الإسلاميَّة.

وَ مَدَحَهُ قَوْمٌ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ: «اَللَّهُمَّ

إِنَّكَ أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي وَ أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُمْ اَللَّهُمَّ اِجْعَلْنَا خَيْراً مِمَّا يَظُنُّونَ وَ اِغْفِرْ لَنَا مَا لاَ يَعْلَمُونَ»[1].

يستصغر الإمام كلَّ شيء في جنب الله، و ليس نفسه فقط، و هذه هي نظرة العارفين ولغتهم، وهذا دأبهم و طبعهم، و لذا لا يثني الإمام على نفسه إلا لضرورة كما قال يوسف: ﴿**إني حفيظ عليم**﴾[2]. وأيضا يكره الإمام الثناء من غيره؛ ولذا دعا بهذا الدعاء حين سمع المديح والإطراء.

المطلب الثالث: تبيين طريقة تعامل الموظف الحكومي مع المواطن:

هناك جماعة من الجهلة ببدهيات التاريخ من (الزنادقة الجدد) يشكلون على الإسلام فيقولون: ما الجديد الذي جاء به هذا الدين حتى نتبعه ونجعله ديناً لنا نعبد الله عن طريقه؟.

الجواب: يتَّضح عن طريق النصوص التي جعلها النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم)، وعن طريق الممارسات الإنسانيَّة التي قاموا بها أيام حكمهم، فلو كان هذا المستشكل قد قرأ كتيباً صغيراً تاريخياً لعرف الفرق بين الدين المحمدي الحقّ والحضارات السابقة له والايدلوجيات اللاحقة والمعاصرة.

فأمَّا السابقة: فقد قتل الفرس المجوس من أهل انطاكيا ٧٠ الفاً في حربهم مع الروم وأحرقوا المدينة بالكامل. واما الاسكندر المقدوني فقد دمر برسوبوليس عاصمة الفرس وأحرقها بالكامل وقتل أهلها. وأمَّا الرومان فكانت هوايتهم إلقاء البشر في الملاعب ليقتل بعضهم بعضاً، أو ليتصارعوا مع الحيوانات المفترسة وهم يهللون ويصفقون وما زالت ملاعبهم حاضرة تشهد لهذه الجرائم.

وأمَّا المعاصرة: فاستالين الشيوعي قتل-على الأقل- ٥ ملايين فلاح؛ لأنَّهم عارضوا سياساته، وهتلر القومي الاشتراكي قتل ٦ ملايين يهودي لمجرد أنَّهم يهود، وصدام العربي الاشتراكي قتل ١٥ الف عراقي يحملون الجنسيَّة العراقيَّة لا لذنب فعلوه، إلّا لأنَّ أجدادهم إيرانيون، والحلفاء الليبراليون الأمريكان قصفوا مدينتين امتين بالقنابل الذريَّة...الخ.

وأمَّا محمد ﷺ فحرَّر جزيرة العرب بكاملها، ولم يبلغ عدد من قتلوا في حروبه الألف، وكانوا هم المعتدين عليه،

١-الحكمة: ١٠٠.
٢-يوسف:٥٥.

إذ لم يكن هو البادي في أي حرب من الحروب، لم يحرق مدينة ولم يقتل معارضاً سياسيّاً أو يعذّبه وفي آخر حياته ناداهم فقال: «إن ربي (عز وجل) حكم وأقسم أن لا يجوزه ظلم ظالم، فناشدتكم بالله أي رجل منكم كانت له قبل محمد مظلمة إلا قام فليقتص منه، فالقصاص في دار الدنيا أحب إلي من القصاص في دار الآخرة على رؤوس الملائكة والأنبياء). فقام إليه رجل من أقصى القوم يقال له سوادة بن قيس، فقال له: فداك أبي وأمي يا رسول الله، إنك لما أقبلت من الطائف استقبلتك وأنت على ناقتك العضباء وبيدك القضيب الممشوق، فرفعت القضيب وأنت تريد الراحلة فأصاب بطني، فلا أدري عمدا أو خطأ. فقال (معاذ الله أن أكون تعمدت). ثم قال: (يا بلال، قم إلى منزل فاطمة فأتني بالقضيب الممشوق). فخرج بلال وهو ينادي في سكك المدينة: معاشر الناس، من ذا الذي يعطي القصاص من نفسه قبل يوم القيامة ؟ فهذا محمد ﷺ يعطي القصاص من نفسه قبل يوم القيامة! وطرق بلال الباب على فاطمة عليها السلام وهو يقول: يا فاطمة، قومي فوالدك يريد القضيب الممشوق. فأقبلت فاطمة عليها السلام وهي تقول: يا بلال، وما يصنع والدي بالقضيب، وليس هذا يوم القضيب ؟ فقال بلال: يا فاطمة، أما علمت أن والدك قد صعد المنبر وهو يودع أهل الدين والدنيا ! فصاحت فاطمة عليها السلام وهي تقول:وا غماه لغمك يا أبتاه، من للفقراء والمساكين وابن السبيل يا حبيب الله وحبيب القلوب ؟ ثم ناولت بلالا القضيب، فخرج حتى ناوله رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: (أين الشيخ ؟) فقال الشيخ: ها أنا ذا يا رسول الله، بأبي أنت وأمي ؟ فقال: (تعال فاقتص مني حتى ترضى). فقال الشيخ: فاكشف لي عن بطنك يا رسول الله، فكشف ﷺ عن بطنه، فقال الشيخ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أتأذن لي أن أضع فمي على بطنك ؟ فأذن له، فقال: أعوذ بموضع القصاص من بطن رسول الله من النار يوم النار. فقال رسول الله ﷺ: (يا سوادة بن قيس، أتعفو أم تقتص ؟) فقال: بل أعفو يا رسول الله. فقال ﷺ: (اللهم اعف عن سوادة بن قيس كما عفا عن نبيك محمد)»[1]

١ -الأمالي، الشيخ الصدوق، ص٧٣٤، الوفاة: ٣٨١، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة - مؤسسة البعثة – قم، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٧، الناشر: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة.

وهذه سيرة وصيه الإمام علي عليه السلام نتلوها عليكم ابحثوا في كتبكم الايدلوجية عسى أن تجدوا ما يشابهها أو يقترب منها، ولن تجدوا ولو كان بعضكم لبعض نصيراً. ففي السنوات القليلة التي تولّى الإمام علي عليه السلام السلطة كان يقيم الحقّ، و يضرب أمثلة العدل، في صغير الأمور و كبيرها، وهذا تجلّى في مواقف كثيرة نشير إلى احدها، نذكره هنا عسى أن يرتدع مرتدع أو يتعظ متعظ ممن يعملون في دوائر الدولة فيتركوا ما هم عليه من غلظة وفجاجة في تعاملهم مع المواطنين.

فمن كتاب أرسله لمن كان يستعمله على الصدقات قال: «انطلق على تقوى اللهَّ وحده لا شريك له، و لا تروّعنّ مسلما و لا تجتازنّ عليه كارها، و لا تأخذنّ منه أكثر من حقّ اللهَّ في ماله، فإذا قدمت على الحيّ فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم، ثمّ امض إليهم بالسّكينة و الوقار، حتّى تقوم بينهم فتسلّم عليهم، و لا تخدج بالتّحيّة لهم، ثمّ تقول: عباد اللهَّ، أرسلني إليكم وليّ اللهَّ و خليفته، لآخذ منكم حقّ اللهَّ في أموالكم، فهل للهَّ في أموالكم من حقّ فتؤدّوه إلى وليّه»[1]. وتتضمَّن هذه الوصيَّة، وصية للجابي بحق نفسه ووصية له في حق الناس والثالث وصية له بحقّ المال الذي يأخذه.

وصيته بحق نفسه: ليكن مسيرك وانطلاقتك من أولها مزوداً بتقوى اللهَّ فلا تفارقها في كلّ حركة تقوم بها فإنَّه وحده لا شريك له. فاعتمد عليه ولا تتوكل على سواه وخشاه في كلّ حركاتك وراقبه في كلّ أعمالك.

وصيته له في حق الناس: ويتمثل ذلك في أمور:

- لا تخيفن مسلما أو تفزعه فإن إخافة المسلم حرام، وهذا نهي له عما يفعله أعوان السلاطين وولاتهم الظالمين عندما يريدون من الرعية أمراً فإنهم يستعملون الترهيب و التخويف ظنا منهم أن ذلك يحفظ هيبة الحاكم و قوة شوكته.
- لا تمر في أرض مسلم أو بساتينه إذا كان يكره مرورك بها؛ لأنَّ ذلك لا يجوز لحرمة دخول أرض المسلم بدون رضاه.
- لا تأخذ أكثر من حقّ اللهَّ المفروض عليه.

١- نهج البلاغة، الكتاب: ٢٥.

- يجب أن تكون مؤدباً بآداب الإسلام وأخلاقياته، ولا يجوز أبداً إذا كنت موكلاً من السلطة أن تتخلّى عن آدابه وأخلاقه، وهذا يتحقق عن طريق مراعاة أمور عدة هي:

- إذا دخلت محلة قوم تقصدهم لجمع الصدقات، فانزل على مائهم ومن عادة المياه أن تكون خارج المحلة والحي التي يقطنون، فلا تدخل عليهم الحي مباشرة إذ لعلهم يكرهون للغريب أن يخالطهم ويقف على بعض أمورهم التي لا يرغبون كشفها واطلاع أحد عليها. فينزل على مائهم و يكون ذلك توطئة للدخول إلى حيهم.
- أن يمضي إليهم بهدوء ودعة وعلى رزانة ورصانة لا في رتل عسكري والأسلحة مشهورة والوجوه مقنعة بالأقنعة السوداء.
- إذا أصبحت بينهم، سلّم عليهم بتحية الإسلام تحية كاملة تامة ليس مشوبة بالعبوس أو الشدة أو أي أمر آخر مقترن بها ينم عن التكبّر و الجبروت.
- أن تكون مخاطبتك لهم بالصيغة الطيبة والعبارة الندية الطريّة التي تحمل العطف والرقّة والحنان فتقول: (عباد اللهَّ) ما أجمله من نداء فهو يردهم إلى اللهَّ الذي أعطاهم و خولهم هذا الخير. ارسلني ولي اللهَّ و خليفته الذي يتولّى تنفيذ أمر اللهَّ لآخذ منكم حق اللهَّ المفروض في كتابه عليكم: (وَ آتُوا الزَّكاةَ). فهل للهَّ في أموالكم من حقّ، أي هل وجبت الزكاة في أموالكم فتؤدوها إلى ولي اللهَّ ليؤديها إلى أربابها والمستحقين لها. بهذه البساطة و السهولة ومن دون ترديد أو استقصاء أخبار. إنَّ هذه التعاليم تعبّر عن عمق الشعور مع المسلمين وتحكي أدب المسلم مع المسلمين.

وصيته له بحقّ المال الذي يأخذه وأكّد فيه على مجموعة أمور:

إن قال قائل: لا ليس في أموالنا حقّ فلا تراجعوه. لا تقل له لماذا وكيف، ولا تبحث بعد أن نفي وجوب الصدقة في ماله؛ لأنَّ الزكاة عبادة يتقرب بها الإنسان إلى ربّه كالصلاة والصوم والحج، فكما أن الإسلام لا يجبر الناس على تلك، لا يجبره على هذه أيضاً. فلا تبحث عن صحة

نفيه وكذبه، بل اقبل قوله و تجاوز عنه.

إذا قال لك أحدهم نعم إن في أموالي حق للهَّ فانطلق معه بدون أن تخيفه عليها أو على نفسه أو على أمر متعلق به و لا تتوعده بشر أو بسوء أو تأخذه بشدة و عنف أو أمر فيه إرهاق أو ما لا يطيق، فإذا كان المال ذهباً أو فضة، فخذ ما أعطاك واقبضه منه لسهولة القبض من العين النقديَّة.

إن كان له ماشية أو إبل فلا تدخلها إلا بإذنه، فإن أكثرها له، فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلط عليه، ولا عنيف به، ولا تنفرنّ من بهيمة ولا تفزعنها ولا تسوءن صاحبها فيها، وقد علل الإمام عليه السلام سبب ذلك أن أكثرها له؛ لأنَّ الحقَّ الشرعيَّ -الزكاة- جزء من المجموع، وهو قليل من كثير، قال ابن أبي الحديد: « كلام لا مزيد عليه في الفصاحة والرياسة والدين، وذلك لأنَّ الصدقة المستحقة جزء يسير من النصاب، والشريك إذا كان له الأكثر حرم عليه أن يدخل ويتصرف إلا بإذن شريكه، فكيف إذا كان له الأقل»[1].

نبَّه إلى مراعاة شئون هذه الماشية، بحيث لا يؤذي صاحبها بها، فإنَّ صاحبها يتعهدها ويرعاها ويحفظها ولا يؤذيها فهو عليه السلام يقول لهذا الجابي إذا دخلت بإذن صاحبها فلا تدخل عليها دخول متسلط كما يدخل الجبابرة الظالمين الذين يستقلون بالتصرف فيأخذون ما يشاؤن قهرا عن أصحابها مع الشدة عليهم و العنف بهم، وكذلك لا تصرخ بها لتنفرها وتهيجها لانتقاء الأفضل كما هي عادة الظالمين، ولا تؤذِ صاحبها فيها كأن تضربها فتؤذي صاحبها بضربك لها.

بيَّن عليه السلام له كيفيَّة تعيين حق اللهَّ في المال، وهذه طريقة عادلة حكيمة لا تظلم المالك ولا تبخس الحقَّ الشرعي حقه وهو أن يقسم المال على قسمين ويخيّر المالك في الحصَّة التي يختارها له، ثم ما لم يخترّه يقسّم على قسمين، ويخيّر أيضا المالك وهكذا حتى يبقى بمقدار الحقّ الشرعي الواجب فيأخذه الجابي.

عالج قضية يمكن أن تحدث في بعض الحالات وعند بعض الناس كأن يندم ويرى الغبن في تعيين الصدقة التي تعينت، فهنا الإمام عليه السلام لا يقول للجابي خذ الحق وانصرف بل يقول له عدّ من

١-شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٥ ص١٥٤، الوفاة: ٦٥٦هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٣٧٨ - ١٩٥٩ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه.

جديد إلى القسمة فاخلط الماشية وأقسمها كما قسمتها أولا وعين الحق الشرعي كما عينته وطيّب خاطر الرجل بإعادة التعيين للحق الشرعي.

أوصى أن لا يقبض المعيبة بأن تكون هرمة أو معيبة في قوائمها ولا الضعيفة الهزيلة ولا ذات العيب فإن ذلك يقلل قيمتها ولا يجبر قلب آخذها من أرباب الصدقات المستحقين لها.

وفي عهده لمالك الاشتر يقول: "وأشعر قلبك الرّحمة للرّعيّة، و المحبّة لهم، و اللّطف بهم، و لا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم، فإنّهم صنفان: إمّا أخ لك في الدّين، أو نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزّلل، و تعرض لهم العلل، و يؤتى على أيديهم في العمد و الخطإ، فأعطهم من عفوك و صفحك مثل الّذي تحبّ و ترضى أن يعطيك اللّه من عفوه و صفحه، فإنّك فوقهم، و والي الأمر عليك فوقك، و اللّه فوق من ولّاك و قد استكفاك أمرهم، و ابتلاك بهم. و لا تنصبنّ نفسك لحرب اللّه فإنّه لا يد لك بنقمته، و لا غنى بك عن عفوه و رحمته. و لا تندمنّ على عفو، و لا تبجحنّ بعقوبة، و لا تسرعنّ إلى بادرة وجدت منها مندوحة، و لا تقولنّ: إنّي مؤمّر آمر فأطاع، فإنّ ذلك إدغال في القلب، و منهكة للدّين، و تقرّب من الغير. و إذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبّهة أو مخيلة، فانظر إلى عظم ملك اللّه فوقك، و قدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك، فإنّ ذلك يطامن إليك من طماحك، و يكفّ عنك من غربك، و يفيء إليك بما عزب عنك من عقلك»[1].

يؤكّد الإمام عليه السلام على أنَّ الوالي كالأب الرحيم، يعطف على الضعيف، يعين العاجز، يوفّر ظروف السعادة لرعيته؛ لأنَّه يمثل القدوة والأسوة، فعند ما يتخذ هذا السلوك سيرة له مع الناس ينعكس هذا الأمر فيما بين الناس أنفسهم فيتبادلون الحب والعطف والرحمة واللطف وبذلك يسن طريقة تجمع القلوب وتوحّد الأيدي، وتلمّ شمل الناس على مائدة الوئام والسلام، وقد مثّل الإمام علي وهو في سدة الخلافة أروع صور العطف والحنان على رعيته وهذه صورة مشرقة من تلك الصور الفذّة.

فالوالي يجب أن يكون صاحب القلب الكبير ينظر بعطف و رحمة إلى رعيته، ولا يكونن عليهم سبعاً ضارياً يتحين

١- نهج البلاغة، الكتاب: ٥٣.

الفرص لينقض على أنفسهم فيذيقها العذاب وعلى أموالهم فيتسلط عليها ظلما وعدوانا وعلى أعراضهم فينالهم بالهتك و المهانة... و يعلل الإمام ذلك بأجل عبارة وأوجزها وأروع بيان وأكمله، إذ يقول: «فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق»، فهي عبارة على قصرها تتحدّى ما توصل إليه الإنسان في القرن العشرين، إنها عبارة انطلقت قبل أربعة عشر قرناً، واخترقت كلَّ هذا الزمن لتتحدى فكر الإنسان في القرن العشرين، الذي لم يستطع أن يأتي بصياغة أجمل منها يحتوي على نفس المضمون العميق، فهو إما أخ لك في الدين تربطه معك العقيدة والمبدأ وهذا له حق عليك بل حقوق، وهناك أخ لك في الخلق تجمعه معك أصل الخلقة والتكوين وهذا المعنى المشترك يفرض حقاً لكلِّ فرد من الناس على الآخرين، و كلا الرجلين يستحق الشفقة والرقة والحنان، فإذا صدر من أحدهما زلة أو عثرة أو تجاوز ما هو مرسوم له عمداً أو خطأ فإن ذلك شيئا يمكن أن يصدر من إنسان يدخل تحت الإمكان ولا تحوطه العصمة أو ترشده يد الله، فإذا صدر شيء من ذلك وأمكن للوالي أن يغفرها لهم أو يسترها عليهم أو يجنبهم جرائرها وآثارها فهذا شيء مطلوب ومرغوب فيه ولينظر الوالي نفسه كيف أنه لو أخطأ أو عثر يتمنى في قرارة نفسه أن يعفو عنه الله بعفوه وكذلك من هو فوقه فليكن هذا الوالي مع أمنيات رعيته في عفوه عنهم، وطبعا هذا إنما يكون في الأمور التي يمكن أن يتساهل فيها أو يعفى عنها، أما إذا كان من الحدود التي لا يجوز التهاون فيها، أو الحقوق التي يجب تحصيلها فليس لأحد أن يسترها أو يعفو عنها.

ثم إنَّ الله فوق الجميع و بيده الأمور كلها، وهو الذي ولى القادر على تحمّل المسئولية وجعله المسئول الذي يتولّى أزمة الأمور، فيسوس الرعية ويصلح الحياة، ويوفر للناس الدعة والصلاح والأمان.

ثم نبَّه على أمر خطير جداً، وهو ألّا يكون الإنسان مناصباً عداءه لله، فإنَّ مناصبة العداء إن جرت فإنما تجري بين المتكافئين اللذين يملكان القدرة لقهر كل منهما الآخر وأما مناصبة العداء بين ضعيف صغير مخلوق فقير وبين قوي كبير خالق غني مناصبة ظاهرة النتائج لا تحتاج إلى فكر طويل، اذ كيف يستطيع هذا المخلوق الضعيف الذي استمد أصل وجوده و استمراريته من خالقه الغني

كيف يقوم بمناصبة العداء لمن أفاض عليه الوجود و أغدق عليه النعم و الخيرات.

فاللهّ سبحانه بيده أزمة الأمور وهو القادر المعطي المبدىء المعيد المحيي المميت على هذا يحيا المسلم وعليه يموت؛ لذا لا يخرج عن طاعة اللهّ إلى معصيته وكل معاصيه تعد من إعلان الحرب عليه فالمسلم لا يعمل بالمعاصي؛ لأنَّ اعتقاده باللهّ جميل فهو يعبده ويطيعه؛ لأنَّه أهل أن يعبد ويطاع وتلك عبادة الأحرار أو يعبده و يطيعه خوفا من عذابه أو يعبده و يطيعه طمعا في جنته على حدّ مقولة أمير المؤمنين علي عليه السلام.

ثم إنَّ العفو بوصفه مرغوباً فيه مدفوعا إليه من الشارع، فلا يندمن مسلم على عفو قد صدر منه، وكيف يندم على فعل أراده اللهّ ورغب فيه وكذلك الوالي إذا مارس عقوبة على إنسان استحقها فلا يتبجح بها ويتحدث بزهوه و قدرته على ذلك؛ لأنَّه لم يقمها إلا للهّ وقد استوفاها في وقتها و كذلك يجب على الوالي إذا غضب أن لا يدخله غضبه في مخالفة الشرع، بل يجب أن ينصرف عن ذلك إلى ما لا حرمة فيه.

ونبّهه إلى أنَّ للحكم لذة لا توصف، تفوق لذات الحياة جميعاً عند بعض الناس، إن لهذا الكرسي سكرة تنسي صاحبها اللهّ، والدار الآخرة، وهنا يكمن الخطر فتزل الأقدام وتتحطم كل المقاييس ليعيش مقياس المحافظة على ركوب الكرسي، ومن أجل الحكم تقطع الأرحام، و من أجل الحكم تحصل الانقلابات والمنازعات ومن أجل الحكم يقوم الابن بالانقلاب على أبيه ومن أجل الحكم تدور المعارك بين الأصدقاء وتحصل التصفيات بين رفاق السلاح من أجل الحكم يتنكر كثير من الناس للحق فيدخلون النار.

فإنَّ الإنسانَ إذا رأى قعقعة السلاح وخفق النعال ووجد نفسه أنه الآمر الناهي الذي يملك تصريف الأمور و تحريكها، إذا رأى أن حاجات الناس لديه وهو يملك قضاءها ومنعها تغره نفسه ويقوده هواه إلى أن يبقى في منصبه ومقامه ولو على حساب دماء الناس وأشلائهم ودموعهم وراحتهم.

ثم نبهه إلى إن لذة الحكم قد تطغى بالحاكم إلى أن يقول: {أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى}[1] كما قال فرعون و إن هذه اللذة إذا طغت فإنَّها تفسد الدين والضمير، وتجعل الثورة

١-النازعات: ٢٤.

على أبواب الملك لتدق عظمه وتعيده إلى حجمه الطبيعي الصغير إن هذا الملك أو السلطان إذا تخيل أنه يملك كل شيء ووقف موقف الإعجاب بنفسه، فعليه أن يلتفت لفتة بسيطة قليلة إلى قدرة الله العظيمة، عليه أن يلتفت إلى ربه و قدرته عليه و على سائر المخلوقات ليعرف أن الله الذي هو فوقه يملك من القدرة في حق هذا الإنسان أكثر مما يملكه الإنسان من نفسه فالله يملك أن يميته فهل يملك هذا الإنسان أن يتحدّى ذلك فلا يموت الله يملك القدرة أن يمرضه فهل يملك هذا الإنسان القدرة على الشفاء الله يملك القدرة أن يسلبه أمنه وراحته، فإذا مرَّ هذا الشريط من قدرة الله وعظمتها وأنها فوق قدرة الملك وسلطانه يطأطيء رأسه حياء ويخفف من كبريائه وارتفاع نفسه ليضعها موضعها اللائق بها فلا يرتفع تكبراً و تجبراً ولا يتيه غطرسة وعناداً ولا يخرج عن سمة العقلاء غضبا وحدة، بل تلك الصورة العظيمة لقدرة الله تخفف من كل ذلك وتجعله يرجع إلى عقله ويعود إلى رشده. فإن من يتشبه بالله ويفرض نفسه في ذلك المحل الرفيع، فيتجبر ويتكبّر ويقوده ذلك إلى الفرعنة الكافرة والنمردة الملحدة، إن مثل هذا الإنسان يذله الله و يهينه ولا يدعه في كبره وصلفه، بل ربما سلط عليه أحقر خلقه وأقلها شأنا كي يذيقه هوان الدنيا وخزيها.

المطلب الرابع: تبيين طريقة تعامل المواطن مع الحاكم:

فلا تكون هذه العلاقة علاقة السيد وعبده كما فعل يزيد[1] كما كان وما زال يفعل الطغاة بل ان الحاكم هو موظف حكومي يقوم بواجبه فهم يتعاملون معه معاملة الند للند، ولا يجوز لهم التذلل والخنوع له ولا يجوز له ان يطلب ذلك وان فعلوا فينبغي على الحاكم أن ينهاهم عن هذه الأفعال، وقد جسَّد ذلك أمير المؤمنين إبّان خلافته وهذا ما تشير اليه مجموعة من الوقائع نشير إلى ذكرها:

قَالَ ﷺ وَ قَدْ لَقِيَهُ عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلَى الشَّامِ دَهَاقِينُ الْأَنْبَارِ فَتَرَجَّلُوا لَهُ وَاشْتَدُّوا بَيْنَ يَدَيْهِ- فَقَالَ ﷺ: (مَا هَذَا الَّذِي صَنَعْتُمُوهُ)، فَقَالُوا خُلُقٌ مِنَّا نُعَظِّمُ بِهِ أُمَرَاءَنَا فَقَالَ ﷺ:

١-قال ابن حزم: « وأكره الناسَ على أن يبايعوا يزيد بن معاوية على أنهم عبيد له، إن شاء باع، وإن شاء أعتق ؛ وذكر له بعضهم البَيْعَةَ على حكم القرآن وسُنَّة رسول الله، فأمر بقتله فضرب عنقه صبراً «. أسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، دار النشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت / لبنان - ١٩٨٧ م، الطبعة: الثانية، تحقيق: د. إحسان عباس، ج٢ ص١٤٠.

«وَاللهَّ مَـا يَنْتَفِـعُ بِهَـذَا أُمَرَاؤُكُـمْ وَإِنَّكُـمْ لَتَشُـقُّونَ عَـلَى أَنْفُسِـكُمْ فِي دُنْيَاكُـمْ وَتَشْـقَوْنَ بِـهِ فِي آخِرَتِكُـمْ وَ مَـا أَخْـسَرَ الْمَشَـقَّةَ وَرَاءَهَـا الْعِقَـابُ وَأَرْبَـحَ الدَّعَـةَ مَعَهَـا الْأَمَـانُ مِـنَ النَّـارِ»[1].

ورواه نـصر بـن مزاحـم في (صفينـه) هكـذا، فقـال: وجـاء عـلي عليـه السـلام حتّـى مـرّ بالأنبـار فاسـتقبله بنـو خشنوشـك دهاقنتهـا. قـال سـليمان «خـش» طيـب «نوشـك» راض، يعنـي «بنـي الطيّـب الـراضي» بالفارسـية، فلـما اسـتقبلوه نزلـوا ثـم جـاءوا يشـتدّون معـه، قـال: مـا هـذه الـدوابّ التـي معكـم و مـا أردتـم بهـذا الـذي صنعتـم قالـوا: أمّـا هـذا الـذي صنعنـا فهـو خلـق منّـا نعظّـم بـه الأمـراء، و أمـا هـذه البراذيـن فهديّـة لـك وقـد صنعنـا لـك وللمسـلمين طعامـا وهيّأنـا لدوابّكـم علفـا كثـيرا. فقـال عليـه السـلام: امّـا هـذا الـذي زعمتـم أنّـه منكـم خلـق تعظّمـون بـه الامـراء فـو اللهّ مـا ينفـع هـذا الأمـراء، وإنّكـم لتشـقّون بـه عـلى أنفسـكم وأبدانكـم فـلا تعـودوا لـه، واما دوابّكـم هـذه فـان أحببتـم أن نأخذهـا منكـم فنحسـبها مـن خراجكـم أخذناهـا منكـم، وأمـا طعامكـم الـذي صنعتـم لنـا فإنّـا نكـره أن نـأكل مـن أموالكـم شـيئا إلّا بثمـن. قالـوا: نقوّمـه ثـمّ نقبـل ثمنـه. قـال: إذن لا تقوّمونـه قيمتـه، نحـن نكتفـي بـما هـو دونـه. قالـوا: يـا أمـير المؤمنـين فـإنّ لنـا مـن العـرب مـوالي ومعـارف فتمنعنـا أن نهـدي لهـم و تمنعهـم أن يقبلـوا منّـا قـال: كلّ العـرب لكـم مـوال و ليـس ينبغـي لأحـد مـن المسـلمين أن يقبـل هديّتكـم، وإن غضبكـم أحـد فأعلمونـا، قالـوا: يـا أمـير المؤمنـين انّـا نحـبّ أن تقبـل هديتنـا و كرامتنـا. قـال لهـم: و يحكـم، نحـن أغنـى منكـم فتركهـم ثـم سـار[2].

هـذه حالـة يراهـا الإمـام فـلا يرتضيهـا فينبـه أهلهـا للكـف عنهـا... يمـر الإمـام بزعـماء الفلاحـين مـن العجـم في بلـدة الأنبـار وهـو يقصـد الشـام فيخـرج إليـه هـؤلاء ينزلـون عـن دوابهـم و يسرعـون إليـه فيسـتفهم الإمـام عليه السلام عـن ذلـك فيقولـون عـادة نكـرم بهـا أمراءنـا. فأجابهـم الإمـام.

أولاً: إن أمراءكم لا ينتفعون بذلك>

ثانيـاً: إن فيـما تقومـون بـه مشـقة عـلى أنفسـكم في الدنيـا وهـي مشـقة غـير مطلوبة.

و ثالثـاً: إنكـم بعملكـم هـذا تعذبـون

١-الحكمة: (٣٧)

٢-وقعة صفين. لنصر بن مزاحم المنقري. المتوفى سنة ٢١٢. تحقيق وشرح. عبد السلام محمد هارون. الطبعة الثانية. ١٣٨٢ ه. ملتزم الطبع والنشر. المؤسسة العربية الحديثة، ص١٤٣-١٤٤.

وعليه تعاقبون لأنه أمر لغير الله ولم يشرع في الدين ونفّر عنه أن الإنسان يحتمل المشقة والعذاب في الدنيا ومع ذلك يعاقب في الآخرة فيجمع مشقة الدنيا وعذاب الآخرة. ورغب في ضده وهي الدعة والراحة في الدنيا التي تكون بدون هذا العمل ومع ذلك ينجو الإنسان من النار فيعيش الراحة في الدنيا والأمان من العذاب في الآخرة.

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنهُ خرج أمير المؤمنين عليه السلام على أصحابه وهو راكب، فمشوا خلفه، فالتفت إليهم، فقال: لكم حاجة؟ فقالوا: لا، يا أمير المؤمنين، ولكنا نحب أن نمشي معك، فقال لهم: انصرفوا؛ فإن مشي الماشي مع الراكب مفسدة للراكب، ومذلة للماشي، انصرفوا. قال: وركب مرة أخرى فمشوا خلفه، فقال: انصرفوا؛ فإن خفق النعال خلف أعقاب الرجال مفسدة لقلوب النوكى[1]، [2]. فان غرضه عليه السلام تعليمهم ونهيهم عن فعل ذلك مع غيره عليه السلام من أئمة الجور.

١-جمع أنوك: أي الحمقى؛، النهاية في غريب الحديث والأثر المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: المكتبة العلميَّة - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، ج ٥ ص ١٢٩.

٢-المحاسن، البرقي، ج ٢ ص ٤٧٠، تحقيق: تصحيح وتعليق: السيد جلال الدين الحسيني (المحدث)، سنة الطبع: ١٣٧٠ - ١٣٣٠ ش، الكافي، ج ٦ ص ٥٤٠.

الخاتمة

أولاً: النتائج:

عن طريق تميزه عن أسلافه من الحكام ما بعد النبي ﷺ، أنشأ الإمام علي عليه السلام مكانة للنموذج البشري بامتياز ووضع أسس فلسفته في الحكم وعلاقة الحاكم برعاياه.

أن الإمام عليّاً عليه السلام نظم العلاقة بين الإنسان وربه، وبين الإنسان وبقية أفراد مجتمعه، وبين الحاكم والمحكوم، وبين الدولة الإسلاميَّة وغيرها من الدول، فكان حكمه شامل لجميع أمور الحياة.

ثانياً: التوصيات

العودة إلى المصدرين الأساسيين: الكتاب والعترة، والصدور عنهما في كلّ الأنظمة والتشريعات.

أهمية نشر فقه السياسة الشرعية بشقيه: العلاقة بين الحاكم والمحكوم، والعلاقة بين الدولة الإسلاميَّة وغيرها من الدول، عبر وسائل الإعلام والمدارس والمعاهد والكليات والجامعات والمساجد.

أهمية قيام ابناء المجتمع لاسيّما العلماء بمهمتهم فيما يتعلّق بنصيحة الحكام، وإرشادهم، والإنكار عليهم في حال وقوع المنكر، بالطرق الشرعيَّة.

ثالثا: قائمة المصادر والمراجع

- القران الكريم
- أسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، دار النشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت / لبنان - ١٩٨٧ م، الطبعة: الثانية، تحقيق: د. إحسان عباس.
- الأمالي، الشيخ الصدوق، الوفاة: ٣٨١، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة - مؤسسة البعثة - قم، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٧، الناشر: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة.
- أنساب الأشراف. أحمد بن يحيى بن جابر (البلاذري)،الوفاة: ٢٧٩هـ، تحقيق: احسان عباس، سنة الطبع: ١٤٠٠ - ١٩٧٩ م، الناشر: جمعية المستشرقين الألمانية - بيروت.
- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، الوفاة: ٦٥٦هـ، تحقيق: محمد أبو

الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٣٧٨ - ١٩٥٩ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه.

- صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، الوفاة: ٢٦١هـ، الناشر: دار الفكر - بيروت - لبنان.
- الكافي، الكليني، الوفاة: ٣٢٩هـ، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الثالثة، سنة الطبع: ١٣٦٧ ش، المطبعة: حيدري، الناشر: دار الكتب الإسلاميَّة - طهران.
- المحاسن، البرقي، تحقيق: تصحيح وتعليق: السيد جلال الدين الحسيني (المحدث)، سنة الطبع: ١٣٧٠ - ١٣٣٠ ش، الكافي.
- النهاية في غريب الحديث والأثر المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: المكتبة العلميَّة - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.
- نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، الوفاة: ٤٠هـ، شرح: الشيخ محمد عبده، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٢ - ١٣٧٠ ش، المطبعة: النهضة - قم، الناشر: دار الذخائر - قم - ايران.
- وقعة صفين. لنصر بن مزاحم المنقري. المتوفى سنة ٢١٢. تحقيق وشرح. عبد السلام محمد هارون. الطبعة الثانية. ١٣٨٢ ه. ملتزم الطبع والنشر. المؤسسة العربية الحديثة.

حكم نكث البيعة عند أهل السنة

معركة الجمل أنموذجاً

الشيخ مهنّد غازي العُقابي

أبو الريحانين

المقدّمة:

بسم الله الذي لا أرجو إلاّ فضله ولا أعتمد إلاّ قوله، وأُصلي وأُسلّم على المصطفى الأمجد خاتم الأنبياء وسيّدهم محمد بن عبد الله وعلى آله الطَّيبين الأطهار المصطفين الأخيار.

أمَّا بعد:

فقد عُبّر عن السّياسة أنَّها: فن الممكن، وقد قامت على ذلك، فغالباً نرى مَن يوصفون بالسّياسيين لا يلتزمون إلا بمصالحهم، فصديق اليوم عدو الأمس، وعدو اليوم صديق الأمس، وهكذا بنيت على ذلك السياسات المتعاقبة للحكّام، وبغض النظر عن المُثل والقيم والمبادئ.

فترى رجالاً لهم تأريخهم الحافل بالبطولات والدّفاع عن القيم والمبادئ قد نُحّو عن المناصب التي تليق بهم، وهي فعلاً من استحقاقهم، وترى الآخرين الذين ليس لهم شيء يذكر، بل قد يكونوا ممن يقف إلى جانب الجهة الأُخرى التي تعد معادية للأُمة، فنراهم قد تسلقوا على أظهر النّوع الأوّل حتى أصبحوا من القادة الجدد.

هذه حال السّياسة التي يؤمن بها الكثير بل الأكثر، ومن جملت ما انتجت لنا هذه السّياسة المغلوطة هذه المعركة ألا وهي معركة الجمل، وهي معركة وقعت في البصرة عام ٣٦هـ بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الحاكم الشّرعي، وبين الجيش الذي يقوده طلحة بن عبيد الله، والزّبير بن العوّام، فضلاً عن عائشة ومن تمرّد معهم، وسمّيت هذه المعركة بهذا الاسم؛ لأنَّ عائشة كانت تركب على جمل قد أُعد لها كي تقود الجموع ضد الخليفة الشّرعي للأُمّة الإسلاميَّة.

لقد كانت معركة الجمل من أخطر المنحدرات التي سارت الأُمّة الإسلاميَّة فيها بل تعدّ من الأسس التي قوّضت الحكم الإسلامي، ومن المِعاول الهدّامة للأُمّة، لقد انحرفت الأُمّة بعد وقعة الجمل انحرافاً لا يمكن الرجوع منه إلى الخط المستقيم، فلدينا هنا حدث مهم، ولعلّه الحدث الأوّل من نوعه الذي واجه الأُمّة الإسلاميَّة، فإنَّ المسلمين اعتادوا على قتال المشركين والكفّار واليهود والمرتدين وأمثالهم، ولكن لم يعتادوا على قتال بعضهم بعضاً. إن هذا الحدث من الدّواهي التي قصمت ظهر الأُمّة الإسلاميَّة، والتي فتحت باباً واسعاً لا يغلقه حتى الدَّم.

لقد كانت معركة الجمل فاتحة شر على الأُمّة وسنّة سيئة، لقد سنّ النّاكثون من أهل الجمل سنّة النكث التي طالما لعن الرَّسول الأعظم ﷺ من ينكث بيعته لإمام هدى.

وفي هذا البحث الموجز نتعرض لذكر معنى النكث لغة واصلاحاً، وحرمة نكث البيعة في الكتاب والسنة، وما هو رأي فقهاء مذهب أهل السنة بناكثي البيعة، وحديث النبي ﷺ لأمير المؤمنين علي عليه السلام الذي يأمره فيه بقتال الناكثين، والأدلة الدالة على أن القوم بايعوا ثم نكثوا، وبهذا يتضح الموقف الشرعي لمن خاصم أمير المؤمنين عليه السلام وحسب مفاهيم الطرف الآخر ليكون مصداق قولهم (من فميك أدينك).

الشيخ مهند غازي العُقابي
٨/ محرم الحرام/ ١٤٤٦

النّكث لغةً:

النّكث بالكسر: أن تنقض أخلاق الأخبية والأكسية البالية لتغزل ثانية، والاسم منه النكيثة. ومن المجاز: نكث العهد أو البيعة: نقض، ينكثه نكثاً، وهو نكاث للعهد. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾[1]، واحد الأنكاث: نكث، وهو الغزل من الصوف أو الشعر، تبرم وتنسج، فإذا خلقت النسيجة قطعت قطعاً صغاراً، ونكثت خيوطها المبرومة، وخلطت بالصوف الجديد ونشبت به، ثم ضربت بالمطارق وغزلت ثانية واستعملت، والذي ينكثها يقال له: نكاث، ومن هذا نكث العهد، وهو نقضه بعد إحكامه، كما تنكث خيوط الصوف المغزول بعد إبرامه. بالكسر: الخيط الخلق من صوف أو شعر أو وبر، سمي به لأنه ينقض، ثم يعاد فتله[2].

النّكث اصطلاحاً:

النّكث هو نقض البيعة بعد إبرامها، وقد اطلقت هذه التسمية على أصحاب الجمل فعرفوا بهذا الاسم.

فقد ذكر في حديث علي عليه السلام: أمرت بقتال النّاكثين والقاسطين والمارقين، النّكث: نقض العهد، وأراد بهم أهل وقعة الجمل، لأنهم كانوا بايعوه ثم نقضوا بيعته، وقاتلوه، وأراد بالقاسطين[3] أهل الشام، وبالمارقين الخوارج[4].

وجاء في النهاية في غريب الحديث: (نكث: في حديث علي: أمرت بقتال النّاكثين، والقاسطين، والمارقين. النّكث: نقض العهد. والاسم: النّكث، بالكسر. وقد نكث ينكث. وأراد بهم أهل وقعة الجمل، لأنهم كانوا بايعوه ثم نقضوا بيعته وقاتلوه، وأراد بالقاسطين أهل الشام، وبالمارقين الخوارج)[5].

١-سورة النحل: ٩٢
٢-ينظر: ابن منظور، لسان العرب: ج٢/ ص١٩٧، والزبيدي، تاج العروس: ج٣/ ص٢٧٣.
٣-اي الجائرون فالقسط: الجور. والقسوط: الجور والعدول عن الحق. ينظر: ابن منظور، لسان العرب: ج٧/ ص٣٧٨.
٤-المصدران السابقان.
٥-ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث: ج٥/ ص١١٤.

حرمة نكث البيعة في الكتاب العزيز:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١).

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (٢).

وقال عز من قائل: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ * أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٤).

حرمة نكث البيعة في السنة:

مما جاء من أحاديث عن طريق أهل السّنة في طاعة السلطان وحرمة نقض البيعة(٥):

١- عن سليمان بن حرب، حدثنا حماد، عن الجعد، عن أبي رجاء، عن ابن عباس يرويه قال: (قال النبي: من رأى من أميره شيئاً فكرهه فليصبر، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبرا فيموت إلا مات ميتة جاهلية)(٦).

٢- عن أبي بكر بن أبي شيبة، وعلي بن محمد، وأحمد بن سنان قالوا: ثنا أبو معاوية عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

(ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة، لا يزكيهم، ولهم عذاب أليم:

١- سورة الفتح: ١٠.
٢- سورة النحل: ٩٢.
٣- سورة التوبة: ١٢، ١٣.
٤- سورة النّساء: ٥٩.
٥- على أن الإماميَّة لا تتفق معهم في كثير من هذه الأحاديث والآراء ولكن من باب (من فمك أدينك).
٦- العيني، عمدة القاري: ج٢٤/ ص٢٢٤/ حديث ٧١٤٣.

رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل. ورجل بايع رجلا بسلعة بعد العصر، فحلف بالله لآخذها بكذا وكذا، فصدقه، وهو على غير ذلك. ورجل بايع إماما، لا يبايعه إلا لدنيا. فإن أعطاه منها وفى له، وإن لم يعطه منها لم يف له)[1].

٣- عن أبي بكر بن أبي شيبة. ثنا عبد الله بن إدريس عن حسن بن فرات، عن أبيه، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال:

(قال رسول الله ﷺ: إن بني إسرائيل كانت تسوسهم أنبياؤهم. كلما ذهب نبي خلفه نبي. وأنه ليس كائن بعدي نبي فيكم.

قالوا: فما يكون؟ يا رسول الله!.

قال: تكون خلفاء فيكثروا. قالوا: فكيف نصنع؟

قال: أوفوا ببيعة الأوّل فالأول، أدوا الذي عليكم فسيسألهم الله عزَّ وجلَّ عن الذي عليهم)[2].

٤- عن محمد بن عبد الله بن نمير ثنا أبو الوليد ثنا شعبة. وحدثنا محمد بن بشار ثنا ابن أبي عدى، عن شعبة، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عهد الله قال: (قال رسول الله ﷺ: ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة. فيقال: هذه غدرة فلان)[3].

٥- عن عمران بن موسى الليثي ثنا حماد بن زيد أنبأنا علي بن زيد بن جدعان، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري قال: (قال رسول الله ﷺ: ألا إنه ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة، بقدر غدرته)[4].

٦- عن أبي عمّار، حدثنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل بايع إماماً فإن أعطاه وفا له، وإن لم يعطه لم يف له)[5].

٧- روى الطبراني بإسناده عن موسى بن سعد عن أبيه أنه خرج مع عبد الله

١-سنن ابن ماجة، ج٢/ ص٩٥٨/ (٤٢) باب الوفاء بالبيعة/ حديث ٢٨٧٠.
٢-المصدر السابق: حديث ٢٨٧١.
٣-المصدر السابق: حديث ٢٨٧٢.
٤-المصدر السابق: حديث ٢٨٧٣.
٥-سنن الترمذي: ج٣/ ص٧٦/ (٣٤) باب في نكث البيعة/ حديث ١٦٤٣. قال الترمذي في الحديث: هذا حديث حسن صحيح.

بن عمر فقال عبد الله بن عمر: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أعطى بيعته ثم نكثها لقي الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة وليست معه يمينه)[1].

قال ابن حجر العسقلاني عنه: (أخرجه الطبراني بسند جيد)[2].

٨ــ روى أحمد بن حنبل بأسناده عن عبد الله بن السائب عن أبي هريرة قال:

(قال رسول الله ﷺ: الصَّلاة المكتوبة إلى الصَّلاة التي بعدها كفّارة لما بينهما. قال: والجمعة إلى الجمعة والشهر إلى الشهر يعني رمضان إلى رمضان كفّارة لما بينهما. قال: ثم قال بعد ذلك: الا من ثلاث ــ قال: فعرفت ان ذلك الامر حدث ــ الا من الاشراك بالله، ونكث الصفقة، وترك السنة.

قال: أما من نكث الصفقة أن تبايع رجلا ثم تخالف إليه تقاتله بسيفك، وأما ترك السنة فالخروج من الجماعة)[3].

ورواه الحاكم النيسابوري وقال عنه: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم فقد احتج بعبد الله بن السائب بن أبي السائب الأنصاري ولا اعرف له علة)[4].

وقال ابن حجر: (وورد في الوعيد على نكث البيعة حديث ابن عمر: لا أعلم غدرا أعظم من أن يبايع رجل على بيعة الله ورسوله ثم ينصب له القتال)[5].

الافتاء بحرمة نقض البيعة:

وعلى ذلك أفتى جمهور فقهائهم بحرمة نقض بيعة الحاكم ومما ورد في ذلك:

١ــ قال الشوكاني:

(وفي الصحيح: من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبقلبه، فإن لم يستطع فبلسانه. ويمكن حمل حديث الباب وما ورد في معناه على عدم القدرة على التغيير باليد واللسان، ويمكن أن يجعل مختصا بالأمراء إذا فعلوا منكراً لما في الأحاديث الصحيحة من تحريم معصيتهم ومنابذتهم، فكفى في الانكار عليهم مجرد الكراهة بالقلب، لأن في إنكار المنكر عليهم باليد واللسان تظاهرا بالعصيان، وربما

١-الطبراني، المعجم الأوسط: ج٩/ ص٥٠.
٢-ابن حجر، فتح الباري: ج١٣/ ص١٧٦.
٣-مسند احمد: ج٢/ ص٢٢٩.
٤-الحاكم، المستدرك: ج١/ ص١١٩.
٥-ابن حجر، فتح الباري: ج١٣/ ص١٧٦.

كان ذلك وسيلة إلى المنابذة بالسيف... قوله: وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع. فيه دليل على وجوب طاعة الامراء وإن بلغوا في العسف والجور إلى ضرب الرعية وأخذ أموالهم، فيكون هذا مخصصا لعموم قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [1]، وقوله: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [2][3].

ولا يخفى ما في كلام الشوكاني من الطاعة الكاملة للسلطان وإن كان ظالماً جائراً، بل عمل على تخصيص الآيتين الكريمتين، وإخراج السلطان من عموماتها. فالأمر الوارد في الآيتين من الرد بالمثل إنما ورد على جميع من اعتدى عليك إلا السلطان فإنه لا يحق لك الرد عليه وإنما الانصياع له والتسليم.

٢ـ قال النووي: (أجمع العلماء على وجوبها[4] في غير معصية، وعلى تحريمها في المعصية نقل الاجماع على هذا القاضي عياض وآخرون: قوله: نزل قوله تعالى: [أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسول وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ] في عبد الله بن حذافة أمير السرية. قال العلماء: المراد بأولي الأمر من أوجب الله طاعته من الولاة والأمراء. هذا قول جماهير السلف والخلف من المفسرين والفقهاء وغيرهم. وقيل: هو العلماء. وقيل: الأمراء والعلماء.

وأما من قال الصّحابة خاصة، فقط فقد أخطأ قوله ﷺ: من أطاعني، فقد أطاع الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني. وقال في المعصية مثله؛ لأن الله تعالى أمر بطاعة رسول الله ﷺ وأمر هو ﷺ بطاعة الأمير فتلازمت الطاعة.

قوله ﷺ: عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك. قال العلماء: معناه تجب طاعة ولاة الأمور فيما يشق وتكرهه النفوس وغيره مما ليس بمعصية، فإن كانت لمعصية فلا سمع ولا طاعة. كما صرح به في الأحاديث الباقية فتحمل هذه الأحاديث المطلقة لوجوب طاعة ولاة الأمور على موافقة تلك الأحاديث المصرحة بأنه لا سمع ولا طاعة في المعصية]. والأثرة... أي اسمعوا وأطيعوا وإن اختص الأمراء بالدنيا ولم يوصلوكم حقكم مما عندهم.

١-سورة البقرة: ١٩٤.
٢-سورة الشورى: ٤٠.
٣-الشوكاني، نيل الأوطار: ج٧/ ص٣٦٠.
٤-أي: طاعة السلطان.

وهذه الأحاديث في الحث على السمع والطاعة في جميع الأحوال وسببها اجتماع كلمة المسلمين، فإن الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم)[1].

وقال: (قوله ﷺ: ستكون هنات وهنات. الهنات جمع هنة وتطلق على كل شيء والمراد بها هنا الفتن والأمور الحادثة.

قوله ﷺ: فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأُمّة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان. فيه الأمر بقتال من خرج على الإمام أو أراد تفريق كلمة المسلمين ونحو ذلك، وينهى عن ذلك فإن لم ينته قوتل وإن لم يندفع شره إلا بقتله فقتل كان هدرا، فقوله ﷺ: فاضربوه بالسيف. وفي الرواية الأخرى: فاقتلوه. معناه إذا لم يندفع إلا بذلك. وقوله ﷺ: يريد أن يشق عصاكم. معناه يفرق جماعتكم كما تفرق العصاة المشقوقة وهو عبارة عن اختلاف الكلمة وتنافر النفوس)[2].

وقال: قوله ﷺ: (فإنَّ جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر. معناه ادفعوا الثاني فإنه خارج على الإمام فإن لم يندفع إلا بحرب وقتال فقاتلوه فإن دعت المقاتلة إلى قتله جاز قتله ولا ضمان فيه؛ لأنه ظالم متعد في قتاله)[3].

٣ـ قال العيني: (قال ﷺ: من أطاعني... إلى آخره، قال الخطابي: كانت قريش ومن يليهم من العرب لا يعرفون الإمارة ولا يطيعون غير رؤساء قبائلهم، فلما ولي في الإسلام الأمراء أنكرته نفوسهم وامتنع بعضهم من الطاعة، وإنما قال لهم ﷺ هذا القول ليعلمهم أن طاعة الأمراء الذين كان يوليهم وجبت عليهم لطاعة رسول الله ﷺ، وليس هذا الأمر خاصاً بمن باشره الشارع بتولية الإمام به كما نبه عليه القرطبي، بل هو عام في كل أمير عدل للمسلمين ويلزم منه نقيض ذلك في المخالفة والمعصية)[4].

٤ـ قال الشيخ سيد سابق: (... لوجوب طاعة ولي الأمر فيما ليس بمعصية لله ولرسوله بإجماع المسلمين، كما ذكر ذلك الامام النووي في شرح مسلم في باب طاعة الأمراء)[5].

أقول: هذه بعض فتاوى القوم في

١-النووي، شرح صحيح مسلم: ج١٢/ ص٢٢٢/ باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.
٢-المصدر السابق: ص٢٤١.
٣-المصدر السابق: ص٢٣٤.
٤-العيني، عمدة القاري: ج١٤/ ص٢٢٢.
٥-سيد سابق، فقه السنة: ج٢/ ص٣٩١.

حرمة الخروج على ولي الأمر والحكم بحرمة قتاله وإن كان فاجراً، فكيف إذا كان صاحب البيعة الحق وهو العادل الصالح وأخو رسول الله ؟!!.

وبالتالي ما أفتى به علمائهم من حرمة الخروج على ولي الأمر، والآثار المترتبة على ذلك، كل تلك الأمور تنصب على مَن خرج على أمير المؤمنين عليه السلام.

البيعة والنقض

فبعد ما تقدم من آيات وأحاديث وفتاوى تدلّ على حرمة نقض البيعة، نرجع إلى إثبات أن النّاكثين فعلاً ناكثون، حيث بايعوا أمير المؤمنين عليه السلام ثم نقضوا بيعته. ولهذا الأمر طريقات الأول عن طريق ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله بوجود هذه الفئة والأمر بقتالها. والثاني ما ورد من مصادر تاريخية في نقض جماعة بيعة أمير المؤمنين عليه السلام والخروج عليه.

أما الأول: أمر الرَّسول صلى الله عليه وآله بقتال الناكثين.

وردت عدّة نصوص دلّت على أن النبي صلى الله عليه وآله أمر أمير المؤمنين عليه السلام بقتال ثلاثة طوائف وهم: النّاكثون، والقاسطون، والمارقون أي الخوارج. فمن هذه الأحاديث يستدل على وجود ثلاثة فئات سوف تظهر في عهد أمير المؤمنين عليه السلام وهو مأمور من قبل النبي صلى الله عليه وآله بقتالها، لأنه لا يعقل أن يأمر الرسول صلى الله عليه وآله بحكم مع عدم وجود موضوعه، وهذه شهادة منه ٢ بخروج هؤلاء عن الحق وانحرافهم عنه وإلا كيف يأمر بقتالهم، وهذا من علمه وإعلامه صلى الله عليه وآله بالمغيبات.

ومما ورد في ذلك:

١- عن الأصبغ بن نباتة قال: (قال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه: أيّها النّاس، اسمعوا قولي واعقلوه عني، فإن الفراق قريب، أنا إمام البرية، ووصي خير الخليقة، وزوج سيدة نساء هذه الأُمّة، وأبو العترة الطاهرة والأئمة الهادية، أنا أخو رسول الله، ووصيه، ووليه، ووزيره، وصاحبه، وصفيه، وحبيبه، وخليله، أنا أمير المؤمنين، وقائد الغر المحجلين، وسيد الوصيين، حربي حرب الله، وسلمي سلم الله، وطاعتي طاعة الله وولايتي ولاية الله، وشيعتي أولياء الله، وأنصاري أنصار الله. والذي خلقني ولم أك شيئا، لقد علم المستحفظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله: أن النّاكثين، والقاسطين، والمارقين، ملعونون على لسان النبي الأمي، وقد خاب من

افترى)[1].

٢ــ عن حكيم بن جبير، عن إبراهيم قال: (سمعت علقمة يقول: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: أُمرت بقتال النّاكثين، والقاسطين، والمارقين)[2].

٣ــ عن الفضل شاذان قال: (سَأل المأمون علي بن موسى الرضا عليه السلام أن يكتب له محض الإسلام على سبيل الإيجاز والاختصار. فكتب عليه السلام له: أن محض الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلها واحدا أحدا فردا صمدا، قيوماً سميعاً بصيراً قديراً قديماً قائماً باقيا، عالماً لا يجهل، قادراً لا يعجز، غنياً لا يحتاج، عدلاً لا يجور وأنه خالق كل شيء وليس كمثله شيء لا شبه له ولا ضد له ولا ند ولا كفؤ له وأنه المقصود بالعبادة والدعاء والرغبة والرهبة، وأن محمدا عبده ورسوله وأمينه وصفيه وصفوته من خلقه وسيد المرسلين وخاتم النبيين وأفضل العالمين لا نبي بعده... والبراءة من النّاكثين والقاسطين والمارقين الذين هتكوا حجاب رسول الله ٢ ونكثوا بيعة إمامهم، وأخرجوا المرأة، وحاربوا أمير المؤمنين عليه السلام وقتلوا الشّيعة المتقين رحمة الله عليهم واجبة، والبراءة ممن نفى الأخيار وشردهم وآوى الطرداء اللعناء، وجعل الأموال دولة بين الأغنياء، واستعمل السفهاء مثل معاوية وعمرو بن العاص لعيني رسول الله صلى الله عليه وآله، والبراءة من أشياعهم والذين حاربوا أمير المؤمنين عليه السلام وقتلوا الأنصار والمهاجرين وأهل الفضل والصلاح من السابقين، والبراءة من أهل الاستيثار، ومن أبي موسى الأشعري وأهل ولايته، ﴿**الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا، أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ**﴾، وبولاية أمير المؤمنين عليه السلام ولقائه كفروا، بأن لقوا الله بغير إمامته [فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا] فهم كلاب أهل النّار، والبراءة من الأنصاب والأزلام أئمة الضلالة وقادة الجور كلهم أولهم وآخرهم، والبراءة من أشباه عاقري النّاقة أشقياء الأولين والآخرين وممن يتولاهم، والولاية لأمير المؤمنين عليه السلام والذين مضوا على منهاج نبيهم صلى الله عليه وآله ولم يغيروا ولم يبدلوا، مثل: سلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، وحذيفة اليماني، وأبي الهيثم بن التيهان، وسهل بن حنيف، وعبادة بن الصامت،

١- الشيخ الصّدوق، الأمالي: ص٧٠٢.
٢- الشيخ الصّدوق، الخصال: ص١٤٥/ حديث ١٧١.

وأبي أيوب الأنصاري، وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين، وأبي سعيد الخدري، وأمثالهم رضي الله عنهم ورحمة الله عليهم، والولاية لاتباعهم وأشياعهم، والمهتدين بهداهم، والسالكين منهاجهم، رضوان الله عليهم)[1].

٤- عن محمد بن سنان عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام في حديث طويل يقول في آخره:

(إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لام سلمة: يا أم سلمة اسمعي واشهدي، هذا علي بن أبي طالب أخي في الدنيا وأخي في الآخرة، يا أم سلمة اسمعي واشهدي، هذا علي بن أبي طالب وزيري في الدنيا ووزيري في الآخرة، يا أم سلمة اسمعي واشهدي، هذا علي بن أبي طالب حامل لوائي في الدنيا و حامل لواء الحمد غداً في الآخرة، يا أم سلمة اسمعي واشهدي، هذا علي بن أبي طالب وصيي وخليفتي من بعدي وقاضي عداتي والذائد عن حوضي، يا أم سلمة اسمعي واشهدي، هذا علي بن أبي طالب سيد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وقاتل النّاكثين والمارقين والقاسطين.

قلت: يا رسول الله مَن النّاكثون؟ قال: الذين يبايعونه بالمدينة وينكثونه بالبصرة.

قلت: من القاسطون؟ قال: معاوية وأصحابه من أهل الشام.

ثم قلت: مَن المارقون؟ قال: أصحاب النهروان)[2].

٥- عن عقاب بن ثعلبة قال: حدثني أبو أيوب الأنصاري في خلافة عمر بن الخطاب قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب بقتال النّاكثين، والقاسطين، والمارقين[3].

٦- عن الإصبع بن نباتة عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالب: تقاتل النّاكثين، والقاسطين، والمارقين بالطرقات والنهروانات وبالشعفات.

قال أبو أيوب: قلت: يا رسول الله مع من نقاتل هؤلاء الأقوام؟

١-الشيخ الصّدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١/ ص١٢٩/ باب ٣٥ (ما كتبه الرضا عليه السلام للمأمون في محض الإسلام وشرائع الدين)/ حديث١.
٢-الشيخ الصّدوق، معاني الأخبار: ص٢٠٤/ (باب معنى النّاكثين، والقاسطين، والمارقين)/ حديث ١.
٣-الحاكم، المستدرك: ج٣/ ص١٣٩.

قال: مع علي بن أبي طالب[1].

٧- عن علي بن ربيعة قال: (سمعت عليّاً على منبركم هذا يقول: عهد إليَّ النبي ﷺ أن أقاتل النّاكثين، والقاسطين، والمارقين)[2].

٨- عن علي قال: (عهد إليَّ رسول الله ﷺ في قتال النّاكثين، والقاسطين، والمارقين)[3].

٩- عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: (أُمر علي بقتال النّاكثين، والقاسطين، والمارقين)[4].

١٠- عن أبي سعيد الخدري قال: (أمرنا رسول الله ﷺ بقتال النّاكثين، والقاسطين، والمارقين، فقلت: يا رسول الله أمرتنا بقتال هؤلاء فمع مَن؟ فقال: مع علي بن أبي طالب، معه يقتل عمّار بن ياسر)[5].

١١- عن مخنف بن سليمان قال: (أتينا أبا أيوب فقلنا: قاتلت بسيفك المشركين مع رسول الله ﷺ ثم جئت تقاتل المسلمين؟!

فقال: أمرني رسول الله ﷺ بقتال النّاكثين، والمارقين، والقاسطين)[6].

١٢- عن عمّار بن ياسر (رضوان الله عليه) قال: أُمرت أن أقاتل النّاكثين، والقاسطين، والمارقين [7].

هذا بعض ما روي في هذا الأمر، قال ابن عبد البر عنها: (ولهذه الأخبار طرق صحاح قد ذكرناها في موضعها)[8].

أما الثاني: بعض المصادر التي تدل على بيعة القوم ثم نكثهم.

روى ابن الأثير بإسناده عن يحيى بن عروة المرادي قال:

(سمعت عليّاً عليه السلام يقول: قبض النبي ﷺ وأنا أرى أني أحق بهذا الأمر، فاجتمع المسلمون على أبي بكر فسمعت وأطعت،

١-المصدر السابق.
٢-الهيثمي، مجمع الزوائد: ج٥/ ص١٨٦. قال الهيثمي: رواه أبو يعلي وفيه الربيع بن سهل ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.
٣-المصدر السابق: ج٧/ ص٢٣٨. قال الهيثمي: رواه البزار والطبراني في الأوسط وأحد إسنادي البزار رجاله رجال الصحيح غير الربيع بن سعيد ووثقه ابن حبان.
٤-الطبراني، المعجم الكبير: ج١٠/ ص٩١/ حديث ١٠٠٥٤.
٥-ابن كثير، البداية والنهاية: ج٧/ ص٣٣٩.
٦-المصدر السابق.
٧-مسند أبي يعلى: ج٣/ ص١٩٤/ حديث ١٦٢٣.
٨-ابن عبد البر، الاستيعاب: ج٣/ ص١١١٧.

ثم إن أبا بكر أصيب فظننت أنه لا يعد لها عني، فجعلها في عمر فسمعت وأطعت، ثم إن عمر أصيب فظننت انه لا يعدلها عني، فجعلها في ستة أنا أحدهم، فولوها عثمان فسمعت وأطعت ثم إن عثمان قتل فجاؤوا فبايعوني طائعين غير مكرهين، ثم خلعوا بيعتي فوالله ما وجدت إلا السّيف أو الكفر بما أنزل الله عزَّ وجلَّ على محمد ﷺ)[1].

وروى الشيخ المفيد خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام توضح حال القوم وفيها:

(... فتولى أبو بكر وبعده عمر، ثم تولى عثمان، فلما كان من أمره ما عرفتموه أتيتموني فقلتم: بايعنا. فقلت: لا أفعل. فقلتم: بلى. فقلت: لا. وقبضت يدي فبسطتموها، ونازعتكم فجذبتموها، وتداككتم علي تداك الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها، حتى ظننت أنكم قاتلي، وأن بعضكم قاتل بعض، فبسطت يدي فبايعتموني مختارين، وبايعني في أولكم طلحة والزّبير طائعين غير مكرهين، ثم لم يلبثا أن استأذناني في العمرة، والله يعلم أنهما أرادا الغدرة، فجددت عليهما العهد في الطاعة وأن لا يبغيا للأمة الغوائل، فعاهداني ثم لم يفيا لي ونكثا بيعتي ونقضا عهدي، فعجبا لهما من انقيادهما لأبي بكر وعمر وخلافهما لي، ولست بدون أحد الرجلين! ولو شئت أن أقول لقلت، اللّهم احكم عليهما بما صنعا في حقي، وصغرا من أمري، وظفرني بهما)[2].

وجاء في نهج البلاغة مخاطباً الزّبير وطلحة:

(أما بعد فقد علمتما ـــ وإن كتمتما ـــ أني لم أرد النّاس حتى أرادوني، ولم أبايعهم حتى بايعوني، وإنكما ممن أرادني وبايعني، وإن العامة لم تبايعني لسلطان غالب ولا لعرض حاضر، فإن كنتما بايعتماني طائعين فارجعا وتوبا إلى الله من قريب، وإن كنتما بايعتماني كارهين فقد جعلتما لي عليكما السبيل بإظهاركما الطاعة وإسراركما المعصية، ولعمري ما كنتما بأحق المهاجرين بالتقية والكتمان. وإن دفعكما هذا الأمر من قبل إن تدخلا فيه كان أوسع عليكما من خروجكما منه بعد إقراركما به وقد زعمتما أني قتلت عثمان، فبيني وبينكما من تخلف عني وعنكما من أهل المدينة ثم يلزم كل امرئ بقدر ما احتمل. فارجعا أيّها الشيخان عن رأيكما،

١-ابن الاثير، أسد الغابة: ج٤/ ص٣١.
٢-المفيد، الإرشاد: ج١/ ص٢٤٤.

فإن الآن أعظم أمركما العار، من قبل أن يجتمع العار والنار. والسلام)[1].

وروى الطبري فقال:

(حدثني عمر بن شبة قال حدثنا علي بن محمد قال أخبرنا أبو بكر الهذلي عن أبي الميح قال: لما قتل عثمان ﷺ خرج علي إلى السوق، وذلك يوم السبت لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة فاتبعه النّاس وبشوا في وجهه فدخل حائط بني عمرو بن مبذول وقال لأبي عمرة بن عمرو بن محصن: أغلق الباب. فجاء النّاس فقرعوا الباب فدخلوا فيهم طلحة والزّبير فقالا: يا علي ابسط يدك. فبايعه طلحة والزّبير، فنظر حبيب بن ذؤيب إلى طلحة حين بايع فقال: أول من بدأ البيعة يد شلاء لا يتم هذا الامر. وخرج علي إلى المسجد فصعد المنبر وعليه إزار وطاق وعمامة خز ونعلاه في يده متوكئاً على قوس، فبايعه النّاس وجاؤوا بسعد فقال علي: بايع.

قال: لا أبايع حتى يبايع النّاس، والله ما عليك مني بأس.

قال: خلوا سبيله.

وجاؤوا بابن عمر فقال: بايع.

قال: لا أبايع حتى يبايع النّاس.

قال: ائتني بحميل.

قال: لا أرى حميلا.

قال الأشتر: حل عني أضرب عنقه.

قال علي: دعوه أنا حميله، إنك ما علمت، لسيئ الخلق صغيرا وكبيرا)[2].

وقال ابن عقدة الكوفي:

(فقام إليه النّاس فبايعوه، فأول من قام فبايعه طلحة والزّبير، ثم قام المهاجرون والأنصار وسائر النّاس حتى بايعه النّاس، وكان الذي يأخذ عليهم البيعة عمّار بن ياسر وأبو الهيثم بن التيهان، وهما يقولان: نبايعكم على طاعة الله وسنة رسوله، وإن لم نف لكم فلا طاعة لنا عليكم، ولا بيعة في أعناقكم، والقرآن إمامنا وإمامكم)[3].

وعلى هذا فالقوم قد بايعوا طائعين لا صاغرين، وقد خرجوا على إمامهم الحق، وأصبح هذا الاسم علماً لأهل الجمل يعرفون به، حتى إذا قيل: النّاكثون انصرف إلى مَن قاتل الإمام علي عليه السلام في معركة الجمل من أهل البصرة.

١- نهج البلاغة: ج٣/ ص١١١/ الخطبة (٥٤).
٢- تاريخ الطبري: ج٣/ ص٤٥١.
٣- ابن عقدة الكوفي، فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: ص٩١.

فقد روى الطبري محادثة دارت بين أهل الكوفة وبين إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله التيمي المبعوث على الخراج من قبل عبد الله بن الزّبير، حيث بعثه مع عبد الله بن يزيد ــ الذي بعث كوالي من قبله على الكوفة ــ في حوادث سنة (٦٥) للهجرة ــ عندما أراد القوم الثأر من قتلة الإمام الحسين عليه السلام، هذه المحاورة تبين انطباع هذا الاسم في أذهان النّاس وأنه صار علماً يعرف به القوم ومما جاء:

(... فقال إبراهيم بن محمد بن طلحة: أيّها النّاس لا يغرنكم من السّيف والغشم مقالة هذا المداهن الموادع، والله لئن خرج علينا خارج لنقتلنه، ولئن استيقنا أن قوما يريدون الخروج علينا لنأخذن الوالد بولده، والمولود بوالده، ولنأخذن الحميم بالحميم، والعريف بما في عرافته، حتى يدينوا للحق ويذلوا للطاعة.

فوثب إليه المسيب بن نجبة فقطع عليه منطقه ثم قال: يا ابن النّاكثين أنت تهددنا بسيفك وغشمك! أنت والله أذل من ذلك، إنا لا نلومك على بغضنا وقد قتلنا أباك وجدك، والله إني لأرجو ألا يخرجك الله من بين ظهراني أهل هذا المصر حتى يثلثوا بك جدك وأباك، وأما أنت أيّها الأمير فقد قلت قولاً سديدا، وإني والله لأظن من يريد هذا الأمر مستنصحاً لك وقابلاً قولك.

فقال إبراهيم بن محمد بن طلحة: أي والله، ليقتلن وقد أدهن ثم أعلن.

فقام إليه عبد الله بن وال التيمي فقال: ما اعتراضك يا أخا بني تيم بن مرة فيما بيننا وبين أميرنا، فوالله ما أنت علينا بأمير، ولا لك علينا سلطان، إنما أنت أمير الجزية فأقبل على خراجك، فلعمر الله لئن كنت مفسداً ما أفسد أمر هذه الأُمّة إلا والدك وجدك الناكثان، فكانت بهما اليدان، وكانت عليهما دائرة السوء.

قال: ثم أقبل مسيب بن نجبة وعبد الله بن وال على عبد الله بن يزيد فقالا: أما رأيك أيّها الأمير، فوالله إنّا لا نرجو أن تكون به عند العامة محموداً وأن تكون عند الذي عنيت واعتريت مقبولا. فغضب أناس من عمال إبراهيم بن محمد بن طلحة وجماعة ممن كان معه فتشاتموا دونه فشتمهم النّاس وخصموهم)[1].

١- تاريخ الطبري: ج٤/ ص٤٣٥.

المصادر

١- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد لأبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الشيخ المفيد (٣٣٦ - ٤١٣ هـ) تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث دار المفيد طباعة ـــ نشر - توزيع الطبعة الثانية ١٤١٤ هجرية - ١٩٩٣ ميلادية طبعت بموافقة اللجنة الخاصة المشرفة على المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد - دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع.

٢- الإستيعاب في معرفة الأصحاب أبو عمر يوسف أحمد بن عبد الله أحمد بن محمد أحمد بن عبد البر النمري الأندلسي المتوفى سنة٤٦٣ هـ تحقيق: علي محمد البجاوي الطبعة: الأولى سنة الطبع:١٤١٢المطبعة: بيروت ـــ دار الجيل الناشر: دار الجيل.

٣ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير عز الدين أبى الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المتوفي ٦٣٠هـ دار الكتاب العربي بيروت - لبنان انتشارات إسماعيليان - طهران.

٤-الأمالي للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمي الوفاة: ٣٨١ تحقيق قسم الدراسات الإسلاميَّة - مؤسسة البعثة مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة - قم الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ التوزيع: مؤسسة البعثة طهران - شارع سمية.

٥- البداية والنهاية للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ. حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه علي شيري الطبعة الاولى ١٤٠٨ ـ ١٩٨٨م دار إحياء التراث العربي.

٦- تاريخ الأمم والملوك للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري قوبلت هذه الطبعة على النسخة المطبوعة بمطبعة « بريل» بمدينة ليدن في سنة ١٨٧٩م راجعه وصححه وضبطه نخبة من العلماء الاجلاء (تنبيه) تتميما للفائدة قد ذيلنا هذا الجزء بكتابين: الأول: صلة تاريخ الطبري: لعريب بن سعد القرطبي الثاني: المنتخب من كتاب ذيل المذيل: لأبي جعفر بن جرير الطبري منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان.

٧- تاج العروس لمحب الدين أبي الفضل السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي الوفاة ١٢٠٥: تحقيق: علي شيري سنة الطبع: ١٤١٤

- ١٩٩٤م المطبعة والناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـــ بيروت.

٨- الخصال الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المتوفى ٣٨١هـ صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلميَّة قم المقدسة سنة الطبع: ١٨ ذي القعدة الحرام ١٤٠٣.

٩- عيون أخبار الرضا للشيخ الأقدم والمحدث الأكبر أبي جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (قده) المتوفى سنه ٣٨١ صححه وقدم له وعلق عليه العلامة الشيخ حسين الأعلمي منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـــ بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

١٠- فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني الطبعة الثانية دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت - لبنان.

١١- فضائل أمير المؤمنين عليه السلام لابن عقدة الكوفي الوفاة: ٣٣٣ تحقيق: تجميع عبد الرزاق محمد حسين فيض الدين.

١٢- فقه السنة تأليف السيد السابق الناشر دار الكتاب العربي بيروت ـــ لبنان.

١٣- لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري الوفاة: ٧١١سنة الطبع: محرم ١٤٠٥ الناشر: نشر أدب الحوزة - قم - إيران.

١٤- المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي رحمهما الله طبعة مزيدة بفهرس الأحاديث الشريفة بإشراف د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي طبعة مزيدة بفهرس الأحاديث الشريفة دار المعرفة.

١٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧ بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر جميع الحقوق محفوظة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م بيروت لبنان طبع بإذن خاص من ورثة حسام الدين القدسي مؤسس مكتبة القدسي بالقاهرة دار الكتب العلميَّة بيروت لبنان.

١٦- مسند أحمد، لأحمد بن حنبل، الوفاة٢٤١هـ، دار صادر ـ بيروت ـ لبنان.

١٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧ بتحرير الحافظين

الجليلين: العراقي وابن حجر جميع الحقوق محفوظة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م بيروت لبنان طبع بإذن خاص من ورثة حسام الدين القدسي مؤسس مكتبة القدسي بالقاهرة دار الكتب العلميَّة بيروت لبنان.١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٨- معاني الأخبار للشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المتوفي سنة ٣٨١ عني بتصحيحه علي أكبر الغفاري الناشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة سنة الطبع ١٣٧٩ - ١٣٣٨ش.

١٩- المعجم الكبير للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ٢٦٠هـ-٣٦٠هـ الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة حققه وخرج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي.

٢٠-نهج البلاغة وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام شرح الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبدة مفتي الديار المصرية سابقا لطبعة الأولى سنة الطبع ١٤١٢ - ١٣٧٠ش المطبعة الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان.

٢١- النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين أبى السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (٥٤٤ - ٦٠٦هـ) تحقيق طاهر احمد الزاوي محمود محمد الطناحي مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع قم - إيران.

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام... عن السلام وحوار الثقافات

د. أحمد راسم النفيس

باحث ومؤلف - مصر

المقدّمة:

يواجه العالم الآن واحدة من أخطر المعضلات متمثّلة في الفكر الوهابي التكفيري الذي يسعى جاهداً لبسط نفوذه على العالم وفقاً للنموذج الذي يؤمن به والذي لا يبالي بقيمة ولا بعرف ولا بقانون دولي أو محلي.

لذا فنحن نعتقد اعتقاداً جازماً أنَّ ثمة ضرورةً ملحّةً لإيجاد حلّ جذري لهذه الكارثة التي اتَّسعت وخرجت عن نطاق عالمنا الإسلامي لتهدد كثيراً من بلدان العالم، وأنَّ علينا العودة إلى جذور المشكلة علنا نتمكن من إيجاد حلّ ناجع يريحنا ويريح العالم بأسره ويمنع استمرار هذه الأزمة ومحاولة توظيفها في بازار السياسة الدوليَّة.

ولأنَّ الثقافة التكفيريَّة شكلت ولا تزال أحد أهم أسباب اندفاع كثير من الجماعات الدينيَّة والمذهبيَّة نحو الصدام مع الجماعات المختلفة ثقافيّاً في محاولة منها لحسم الصراع الفكري بالقوّة ولو أدى لذلك لسقوط أنهار من الدماء.

لم يتصرفِ الإمام علي بن أبي طالب يوماً كقائد لحزب أو لجماعة تتنافس من أجل الإمساك بالسلطة، بل تصرف كقائد عظيم لأمَّة عظيمة، إذ كان همّه الأوّل هو تثبيت حزمة من القيم الأخلاقيَّة المستقاة من القرآن العظيم ومن سنّة رسول الله ﷺ، حتى ولو أدى ذلك لخسارة سياسيَّة في الأمد المنظور؛ لأنَّه كان يرى ويؤمن أن الغايات الشريفة والنبيلة لا تتحقق إلّا عبر وسائل وأدوات من ذات النوع، ولم يكن يقبل تلك النظريَّة التي يؤمن بها كثير من الساسة في زماننا وفي كل زمان وهي: (الغاية تبرر الوسيلة).

لا ينكر أحدٌ أن عليَّ بن أبي طالب كان له قصب السبق في مواجهة التيار الخوارجي التكفيري من خلال تأسيس ثقافة الحوار والتسامح، مقابل ثقافة السيف والقهر التي يسعى بعضهم الآن للدمج بينها وبين الإسلام ملقياً باللوم على أحكام الدين وليس على تلك التيارات المنحرفة عن نهج الدين القويم.

المطلب الاول

علي بن أبي طالب: الثقافة والحضارة

لم يظهر مصطلح الثقافة والفكر إلا في الآونة الأخيرة، أمَّا في العصور الأولى فالمصطلح السائد هو مصطلح (العلم).

في مقابل مصطلح العلم المستند إلى فهم صحيح للدين، هناك مصطلح الجاهليَّة الذي يوصف به أي سلوك بشري يستند إلى الأعراف الاجتماعيَّة السائدة بغض النظر عن التزامها بأحكام الدين من عدمه، منها -مثلاً- عادة وأد البنات، فضلاً عن الموروث القبلي الذي يوجب نصرة القبيلة ضد أعدائها، بغض النظر عما إذا كانت هذه القبيلة على حقّ أو على باطل في سلوكها.

أضيف الآن إلى مصطلح الجاهليَّة مصطلح التطرّف والإرهاب الذي هو من وجهة نظرنا نوع من الجاهليَّة، إذ نرى جماعات من البشر تتمسك بفهم قشري سطحي للدين، وترى في كلّ من لا يدين لها ولفهمها القاصر المبتسر كافراً يتعين قتله وانتهاك حرمته، ونرى في الوقت نفسه أنَّ من يفترض أنَّهم علماء الدين يؤثرون السلامة ولا يقومون بواجبهم في تعرية هؤلاء الإرهابيين وفضح زيفهم وانعدام صلتهم بصحيح الدين.

هنا نرى بوضوح أهمية وتقدّم دور الإمام علي بن أبي طالب في مواجهة هذه التيارات المنحرفة التي تعمل بدأب على تقديم الإسلام كدين جاهلي لا يؤمن بالحوار ولا يقدم فكراً أخلاقيّاً راقياً، في حين يقول الواقع إنَّ الإسلامَ سبق الحضارة العالميَّة بتأسيس حزمة من القيم الكفيلة حال الالتزام بها لتأسيس مجتمعات تحظى بالسلم الداخلي وتسهم في تأسيس السلم العالمي.

نقول هذا انطلاقاً من حقيقة ثابتة وهي أن الأديان السماويَّة من دون استثناء جاءت من نبع واحد حاملة ذات القيم الأخلاقيَّة الرفيعة لتخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الجاهليَّة المنحطَّة نحو الرقي والتحضر، وإن اختلفت التفاصيل بين هذا الدين أو ذاك، إلا أن هذه الاختلافات لا تطال الجوهر الأساس لهذه الأديان.

الآن ظهر مصطلح (التنوير) للدلالة على ثقافة أو ثقافات تقف موقف الضدّ من ثقافات يراها بعضهم عودة للسلوك الجاهلي، ويمكن لنا إسنادها إلى قوله تعالى: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ

الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [1].

سيادة التنوير والعلم والمعرفة تحتاج إلى رجال من نوع خاص، وتحتاج إلى تأسيس مجتمعي يضمن استمرار هذه العمليَّة لتتكامل يوماً بعد يوم وتؤسس حضارة تنتمي للإسلام توفر الأمن والسلام لأبناء المجتمع، وتسعى لنشر هذا النور في أرجاء العالم وتؤسس علاقات دوليَّة قائمة على الأمن والسلام والحوار مع الدنيا بأسرها.

الأمم التي تستند في بنائها الحضاري إلى قواعد أخلاقيَّة راسخة هي الأقدر على تحقيق السلام والوفاق الدولي وليست تلك الدول التي بنت حضارتها على السلب والنهب وإبقاء الآخر المختلف في حالة قهر وضعف لئلا يتمكن من الاستفادة من موارده الماديَّة والإنسانيَّة.

قال صمويل هنتجتنون في كتابه صراع الحضارات: «وقد كشف المفكرون الفرنسيون عن فكرة الحضارة وطوروها كنقيض لمفهوم البربرية فالمجتمع المتحضر يختلف عن المجتمع البدائي؛ لأنَّه كان مستقراً ومدينياً وليس أمّياً، كان من الحسن أن تكون متحضراً ومن السيئ ألا تكون».

مفهوم الحضارة قدم معياراً نحكم به على المجتمعات وفي القرن التاسع عشر كرس الأوربيون الكثير من الجهد الفكري والسياسي لشرح المعيار الذي يمكن على أساسه الحكم على المجتمعات غير الأوربيَّة إن كانت متحضرة بما يكفي حتى يمكن قبول عضويتها في النظام العالمي الذي تسيطر عليه أوربا.

أولاً - كيان ثقافي؟؟

الحضارة كيان ثقافي خارج ألمانيا.. لقد وضع المفكرون الألمان في القرن التاسع عشر تمييزا حاداً بين الحضارة التي تتضمَّن الآلات والعوامل الماديَّة وبين الثقافة التي تتضمَّن القيم والمثل والصفات الذهنيَّة والفنيَّة والأخلاقيَّة الراقية في المجتمع، وظلَّ هذا التمييز قائماً في الفكر الألماني وإن لم يقبل في أي مكان آخر.

وهناك اتفاق عام خارج ألمانيا على أن من المضلل أن نحاول فصل الثقافة عن أساسها الحضارة.

١- البقرة (٢٥٧).

الحضارة والثقافة كلاهما يشير إلى مجمل أسلوب الحياة لدى شعب ما والحضارة هي ثقافة على نطاق أوسع وكلاهما يضم المعايير والقيم والمؤسسات وطرائق التفكير التي علقت عليها أجيال متعاقبة أهمية أساسيَّة في مجتمع ما ... الحضارة عند برودل فضاء.. مساحة ثقافية.. ومجموعة من المواصفات الثقافيَّة، وأنَّها ظاهرة يعرفها (وولرشتاين) بأنَّها نظرة مركزة إلى العالم والعادات والبنى الثقافية الماديَّة والراقية معاً التي تكوّن نوعاً من الكلّ التاريخي، والتي تتعايش وإن لم يكن دائماً في نفس الوقت مع ظواهر متنوعة.

الحضارة عند (داوسن) نتاج عمليَّة أصيلة خاصة من الإبداع الثقافي التي هي من صنع شعب ما، هي عند دوركهايم وماوس نوع من وسط أخلاقي يضم عدداً معيّناً من الأمم كل ثقافة وطنيَّة، هي شكل خاص من الكلّ، وعند شبنجلر الحضارة هي المصير الحتمي للثقافة، أي أنَّ الثقافة هي الفكرة العامَّة في كلّ تعريف للحضارة تقريباً.

الحضارات أيضا شاملة بمعنى أن أي جزء من مكوناتها لا يمكن فهمه تماماً من دون الرجوع إلى الحضارة التي تضمه، يقول توينبي: الحضارة تشمل ولا يشملها غيرها.

الحضارةُ هي الكيان الثقافي الأوسع وهكذا فإنَّ الحضارة هي أعلى تجمع ثقافي من البشر وأعرض مستوى من الهوية الثقافيَّة يمكن أن يميّز الإنسان عن الأنواع الأخرى وهي تعرف بكل من العناصر الموضوعيَّة العامَّة مثل اللغة والتاريخ والدين والعادات والمؤسسات والتحقق الذاتي لدى البشر، والحضارة هي أوسع مستوى من التعريف الذي يمكن أن يعرف بها نفسه الحضارات هي نحن الكبرى التي نشعر ثقافياً بداخلها أننا في بيتنا في مقابل هم أي الآخرين خارجنا[1] .

الحضارات فانية أي أنها ليست أبديَّة، إلا أنها أيضاً تعيش طويلاً فهي تتطوّر وتتكيّف، وهي أكثر الجماعات الإنسانيَّة ثباتاً وتحملاً، وكما يقول بوزيمان فإنَّ «التاريخ الدولي يوثق عن حقٍ، أطروحة أن النظم السياسيَّة حيل زائلة على سطح الحضارة وأن مصير كل مجتمع متحد لغويا ومعنويا يعتمد تماما على بقاء أفكار بنية أساسية تجمعت والتحمت حولها أجيال متتالية وبالتالي فهي ترمز إلى استمرارية

١- صراع الحضارات ، ص٦٧-٧١ نشر (سطور).

المجتمع».

تبقى الحضاراتُ وتتطوّر أيضاً وهي حركيَّة تنهض وتسقط تتحد وتنقسم وكما يعرف كل دارس للتاريخ فهي أيضا تندثر وتدفن في رمال الزمان ويرى كويجلي أن الحضارات تتحرك عبر سبع مراحل الامتزاج الحمل التوسع عصر الصراع الإمبراطورية الكونية التآكل الغزو[1].

في مدرسة الإمام علي بن أبي طالب، العلم والمعرفة هما من ضرورات صلاح المجتمع ومن ثم بقاؤه، ولذا نراه يقول لِجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ الْأَنْصَارِيِّ: «يَا جَابِرُ قِوَامُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا بِأَرْبَعَةٍ عَالِمٍ مُسْتَعْمِلٍ عِلْمَهُ وَجَاهِلٍ لَا يَسْتَنْكِفُ أَنْ يَتَعَلَّمَ وَجَوَادٍ لَا يَبْخَلُ بِمَعْرُوفِهِ وَفَقِيرٍ لَا يَبِيعُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ فَإِذَا ضَيَّعَ الْعَالِمُ عِلْمَهُ اسْتَنْكَفَ الْجَاهِلُ أَنْ يَتَعَلَّمَ وَإِذَا بَخِلَ الْغَنِيُّ بِمَعْرُوفِهِ بَاعَ الْفَقِيرُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ»[2].

وغني عن البيان أنَّ قوله (قوام الدين والدنيا) يعني أسس البقاء وضرورات الوجود وليس حاجة زائدة يمكن الاستغناء عنها.

ويحدّد في وصيته لكميل بن زياد النخعي، مواصفات هذا العالم الربّاني الزاهد الذي لا يبحث عمن يشتري منه آخرته بدنياه:«يَا كُمَيْلُ الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ وَالْعِلْمُ يَزْكُوا عَلَى الْإِنْفَاقِ وَصَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ يَا كُمَيْلَ بْنَ زِيَادٍ مَعْرِفَةُ الْعِلْمِ دِينٌ يُدَانُ بِهِ، بِهِ يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ وَجَمِيلَ الْأُحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ وَالْعِلْمُ حَاكِمٌ وَالْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ يَا كُمَيْلُ هَلَكَ خُزَّانُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ»[3].

ثانياً – حروب الإمام علي:

حاول بعضهم –من خلال الدسّ والكذب– تصوير الإمام علي شخصاً دمويّاً، يعشق الحروب والقتل لا لشيء، إلّا لأنَّه كان فارساً مغواراً لا تنثني له راية، بل وذهب بعضهم الآخر إلى أبعد من هذا عندما نسب إليه (قتل من وصفوا بالغلاة عبر إحراقهم بالنار)، في حين يحكي لنا التاريخ صورة مغايرة تماماً لهذه الصورة المختلقة.

١–صراع الحضارات ، ص ٧٢.
٢–شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد، ج ١٩ ، ص ٣٠٣.
٣–شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد، ج ١٩ ، ص ٣٠٣.

عندما طُعن الإمامُ بيد عبد الرحمن بن ملجم في أثناء صلاة الفجر، لم يأمر الإمام باعتقال كل قبيلته، ولا قتل كل من شارك في ارتكاب هذا الجرم على الرغم من معرفته بهم. لم يحدث شيء من هذا بل كانت الوصية واضحة وموجهة لبني عبد المطلب رهط الإمام علي حتى لا يتحوّل الأمر إلى ثأر قبلي فقد جاء الإسلام ليقضي على القبلية ويوحد الأمَّة في إطار التكافؤ الإنساني حاكماً بأنَّ النفس بالنفس وليست القبيلة بالقبيلة ولا البطن بالبطن.

عندما طعن الإمام علي بن أبي طالب أوصى ولديه الحسن والحسين قائلا: «يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لاَ أُلْفِيَنَّكُمْ تَخُوضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضاً، تَقُولُونَ: قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. أَلاَ لاَ تَقْتُلُنَّ بِي إِلاَّ قَاتِلِي. انْظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هذِهِ، فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَةٍ، وَلاَ يُمَثَّلُ بِالرَّجُلِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهﷺ يَقُولُ: «إِيَّاكُمْ وَالْمُثْلَةَ وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ»[1].

هل حقا أمر الإمام بإحراق (الزنادقة)؟؟.

روى البخاري عن عكرمة قال» أتي علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعذبوا بعذاب الله ولقتلتهم لقول رسول الله من بدل دينه فاقتلوه»[2].

تلك الرواية الغريبة التي تناقض بصورة تامَّة وصيته بقتل قاتله ضربة بضربة ونهيه عن المثلة ولو بالكلب العقور.

أمَّا الأدهى من ذلك كله أنَّها تناقض ما هو ثابت عن سيرته في التعامل مع المنشقين عليه فقد روى ابن جرير الطبري أنَّه قال: «إنَّ جائياً جاءني مرة فقال لي في أصحابك رجال قد خشيت أن يفارقوك فما ترى فيهم فقلت إني لا أخذ بالتهمة ولا أعاقب على الظن ولا أقاتل إلا من خالفني وناصبني وأظهر لي العداوة ولست مقاتله حتى أدعوه وأعذر إليه فإن تاب ورجع إلينا قبلنا منه و هو أخونا وإن أبى إلا الاعتزام على حربنا استعنا عليه الله وناجزناه فكف عني ما شاء الله ثم جاءني مرة أخرى فقال لي قد خشيت أن يفسد

١-شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد، ج ١٧، ص ٦.
٢-صحيح البخاري ، البخاري ، حديث رقم (٢٨٥٤).

عليك عبد الله بن وهب الراسبي وزيد بن حصين إني سمعتهما يذكرانك بأشياء لو سمعتها لم تفارقهما عليها حتى تقاتلهما أو توبقهما فلا تفارقهما من حبسك أبدا فقلت إني مستشيرك فيهما فماذا تأمرني به قال فإني آمرك أن تدعو بهما فتضرب رقابهما فعلمت أنه لا ورع ولا عاقل فقلت والله ما أظنك ورعاً ولا عاقلاً نافعاً والله لقد كان ينبغي لك لو أردتُ قتلهم أن تقول اتق الله لم تستحل قتلهم ولم يقتلوا أحداً ولم ينابذوك ولم يخرجوا من طاعتك»[1].

وقد تكرَّر نفس هذا المشهد مع آخرين أشاروا بشن حملة اعتقالات على بعض قادة الخوارج، فقال عليه السلام: «إنا لو فعلنا هذا بكل من نتهمه من الناس ملأنا سجننا منهم و لا أراه- يعني الوثوب على الناس والحبس والعقوبة- حتى يظهروا لنا الخلاف»[2].

المبدأ إذا العقوبة من دون وقوع جرم وليس ثمة عقاب على النوايا.

حروب الضرورة القصوى

وعلى الرغم أنَّ عليَّ بن أبي طالب خاض ثلاثة حروب مع أناس ينتمون للأمَّة الإسلاميَّة في مدّة حكمه التي لم تطل أكثر من خمس سنوات، فالثابت لدينا أنَّه لم يخض أياً من هذه الحروب إلا مضطراً بعد استنفاذ كل الوسائل الممكنة لتجنب المواجهات وسفك الدماء، وعلى سبيل المثال فقد قدم من البصرة إلى الكوفة بداية رجب سنة ٢٦ للهجرة، وأقام بها سبعة عشر شهراً تجري الكتب فيما بينه وبين معاوية وعمرو بن العاص في محاولة للتوصل لحل سياسي يجنب الحرب والمواجهة إلا أن تعنت الطرف الآخر وسعيه الدؤوب للإمساك بالسلطة حالا دون التوصل لمثل هذا التفاهم السياسي.

لم يكن ترك الأمور من دون حسم عسكري طيلة هذه المدّة صدفةً بل عملاً متعمداً من الإمام علي بن أبي طالب عل هذا التمهّل يفضي لتحقيق السلام والوفاق.

وعندما ألحَّ عليه أصحابه بالاستعداد لحرب أهل الشام، بعد أن أرسل عدة رسائل لمعاوية بن أبي سفيان مع جرير بن عبد الله البجلي رد عليهم بقوله: «إِنَّ اسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ وجَرِيرٌ عِنْدَهُمْ إِغْلاقٌ لِلشَّامِ وصَرْفٌ لأَهْلِهِ عَنْ

١-تاريخ الطبري، ج٥، ص ١٣١.
٢-تاريخ الطبري، ج٥، ص ١١٥.

خَيْرٍ إِنْ أَرَادُوهُ ولَكِنْ قَدْ وَقَّتُّ لِجَرِيرٍ وَقْتاً لا يُقِيمُ بَعْدَهُ إلا مَخْدُوعاً أَوْ عَاصِياً والرَّأْيُ عِنْدِي مَعَ الأَنَاةِ فَأَرْوِدُوا (أي تمهلوا)»[1].

لم يكنِ السعي لتحقيق الصلح والسلام مع المتمردين على النظام السياسي القائم وتأجيل خيار الذهاب إلى الحرب أطول فترة ممكنة حال منفصلة عن المنهج السياسي لعلي بن أبي طالب، بل كان جزءًا لا يتجزأ من المنظومة الفقهية والفكريَّة الساعية لبناء العلاقات بين أبناء الأمة الواحدة والأمم المختلفة على أساس الوفاء بالعهد ورعاية العهود والمواثيق، كما كان هذا تطبيقا لقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[2].

يقول الإمام علي في وثيقته السياسيَّة الموجهة لمالك الأشتر:»وَلاَ تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ لله فِيهِ رِضىً، فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ، وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ، وأَمْناً لِبِلاَدِكَ، وَلَكِنِ الْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ فَخُذْ بِالْحَزْمِ، وَاتَّهِمْ فِي ذلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ. وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوٍّ لَكَ عُقْدَةً، أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً فَحُطْ عَهْدَكَ بِالْوَفَاءِ، وَارْعَ ذِمَّتَكَ بِالأَمَانَةِ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أَعْطَيْتَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ الله عز وجل شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اجْتِمَاعاً، مَعَ تَفْرِيقِ أَهْوَائِهِمْ، وَتَشْتِيتِ آرَائِهِمْ، مِنَ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ وَقَدْ لَزِمَ ذلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا اسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ الْغَدْرِ فَلاَ تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ وَلاَ تَخِيسَنَّ بِعَهْدِكَ وَلاَ تَخْتِلَنَّ عَدُوَّكَ، فَإِنَّهُ لاَ يَجْتَرِئ عَلَى الله إِلاَّ جَاهِلٌ شَقِيٌّ. وَقَدْ جَعَلَ اللهُ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أَمْناً أَفْضَاهُ بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ، وَحَرِيماً يَسْكُنُونَ إِلَى مَنَعَتِهِ،يَسْتَفِيضُونَ إِلَى جِوَارِهِ فَلاَ إِدْغَالَ وَلاَ مُدَالَسَةَ، وَلاَ خِدَاعَ فِيهِ، وَلاَ تَعْقِدْ عَقْداً تَجُوزُ فِيهِ الْعِلَلُ وَلاَ تُعَوِّلَنَّ عَلَى لَحْنِ الْقَوْلِ بَعْدَ التَّأْكِيدِ وَالتَّوْثِقَةِ، وَلاَ يَدْعُوَنَّكَ ضِيقُ أَمْرٍ لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ الله، إِلَى طَلَبِ انْفِسَاخِهِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَى ضِيقٍ تَرْجُو انْفِرَاجَهُ وَفَضْلَ عَاقِبَتِهِ، خَيْرٌ مِنْ غَدْرٍ تَخَافُ تَبِعَتَهُ، وَأَنْ تُحِيطَ بِكَ مِنَ الله فِيهِ طَلِبَةٌ لاَ تَسْتَقِيلُ فِيهَا دُنْيَاكَ وَلاَ آخِرَتَكَ»[3].

١-شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٣٢٢.
٢-الأنفال (٦١).
٣-بحار الأنوار ، العلامة المجلسي ، ج ٧٤ ، ص ٢٦٢.

الوفاء بالعهود والمواثيق

إنَّ هذا الكلام الذي ذكره الإمام وسجله في وصية مكتوبة لعامله على مصر مالك الأشتر يجعل من العقود والمواثيق المعقودة بين البشر كل البشر مسلمين كانوا أو غير مسلمين عهدا مع الله عز وجل، وهو عين ما قاله الله سبحانه في محكم كتابه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١).

ويقول سبحانه في سورة البقرة: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (٢).

ينبّه الإمام علي على الأهمية الكونيَّة التي يحظى بها حفظ العهود والتزام القوانين والمواثيق التي ألزم بها المسلمون أنفسهم: «فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ عز وجلّ شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اجْتِمَاعاً، مَعَ تَفْرِيقِ أَهْوَائِهِمْ، وَتَشَتِّتِ آرَائِهِمْ، مِنَ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ، وَقَدْ لَزِمَ ذلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا اسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ الْغَدْرِ، فَلاَ تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ، وَلاَ تَخِيسَنَّ بِعَهْدِكَ، وَلاَ تَخْتِلَنَّ عَدُوَّكَ»(٣).

الوفاء بالعهود فريضة كونيَّة عالميَّة ينبغي أن يكون المسلمون هم السابقين إليها من بين الأمم، -وقد لزم المشركون ذلك فيما بينهم- فأين نحن الآن من هذا الخلق بعد الجرائم التي ارتكبتها الجماعات الإرهابيَّة، وقد تفاخر هؤلاء الغوغاء بما ارتكبوه متجاهلين الآثار الخطيرة التي أفضى إليها هذا الغدر الذي جعل العالم كلّه في ريب من التزام المسلمين بعهودهم ومواثيقهم: «وَقَدْ جَعَلَ اللهُ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أَمْناً أَفْضَاهُ بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ، وَحَرِيماً يَسْكُنُونَ إِلَى مَنَعَتِهِ،يَسْتَفِيضُونَ إِلَى جِوَارِهِ»، وقد استفادوا من ذلك الأمن الذي أفاضه الله تبارك وتعالى بين العباد برحمته وجعل منه حريماً يسكنون إلى منعته و

١-الفتح آية ١٠
٢-البقرة ، اية ١٧٧
٣-شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ،ج ١٧، ص٣٥ وما بعدها .

يستفيضون إلى جواره بعدما ضيق الظلم والطغيان الداخلي عليهم سبل الأمن والأمان وألجأهم للفرار خارج العالم الإسلامي، بحثاً عن الأمان ثم قاموا هم بتضييق ما تبقى لهم من رحمة وحرمة كانت لهم ولغيرهم من خلال تصرفاتهم الخرقاء المنافية للعقل ولكتاب الله ووصايا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة الحق من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

نظرة عامة للعلاقة بين الإسلام والعهود والمواثيق:

يفرد العلّامة الطباطبائي أحد الفقهاء والفلاسفة الكبار المنتمين لمدرسة الإمام علي بن أبي طالب في (تفسير الميزان) فصلاً عن (معنى العهد وأقسامه وأحكامه) ننقل منه بعض الأجزاء لأهميتها، إذ يقول[1] «الإنسان شديد الاهتمام بعقد العقود وتمثيل العهود وما يرتبط بها من اليمين والبيعة ونحو ذلك والعامل الأول في ذلك أن الإنسان لا هم له إلا التحفظ على حياته والوصول إلى مزاياها والتمتع بالسعادة التي تستعقبها لو جرت على حقيقة مجراها والإنسان القاطن في أرض أو الساكن في دار لا يتم له سكناه إلا مع أمنه من ممانعة الناس و مزاحمتهم له في سكناه و التصرف فيه بما يصلح له لذلك».

هذا هو الذي هدى الإنسان إلى اعتبار العقد وإبرام العهد فهو يأخذ ما يريده من العمل ويربطه بما يعينه عليه من عمل غيره ويعقدهما بمثل عقد الحبال الذي يفيد اتصال بعض أجزائها ببعض وعدم تخلف بعضها عن بعض ومثله العهد الذي يعهده إليه غيره أن يساعده في ما يريده من الأمر أو أن لا يمانعه في ذلك.

والعهود والمواثيق كما تمسها حياة الإنسان الذي هو فرد من المجتمع تمسها حياة المجتمع فليس المجتَمع إلا المجتمِع من أفراد الإنسان، فالمجتمع إنسان كبير له من مقاصد الحياة ما للإنسان الصغير والمجتمع في حاجة إلى الأمن والسلام من قبل أجزائه لئلا يتلاشى ويتفرق وإلى الأمن والسلام من قبل رقبائه من سائر المجتمعات.

وعلى هذا جرى دين المجتمعات الإنسانيَّة على ما بأيدينا من تاريخ الأمم فلم يزل ومازال المجتمع من المجتمعات الإنسانيَّة في حاجة إلى أن يعاهد غيره في بعض شؤون حياته السياسيَّة و الاقتصاديَّة فلا يصفو الجو للإقدام على شيء من

١- تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج ٩، ص ١٩٢-١٩٥.

مقاصد الحياة أو التقدّم في شيء من مآربها إلا بالأمن والسلام.

والإسلام بما أنه مهتم بإصلاح حياة الناس العامَّة كاهتمامه بإصلاح حياة الفرد الخاصة فنن كليات ما يرجع إلي شئون الحياة الاجتماعيَّة كالجهاد والدفاع ومقاتلة أهل البغي والنكث والصلح والسلم والعهود والمواثيق وغير ذلك، وقد اعتبر الإسلام العهدَ اعتباراً تامَّاً وأحكمه إحكاماً واعتبر نقضه من طرف أهله من أكبر الإثم إلا أن ينفضه المعاهد الآخر، فيقابل بالمثل فإنَّ الله سبحانه أمر بالوفاء بالعهود والمواثيق وذمّ نقضها ذمَّاً بالغاً في آيات كثيرة جداً: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [1]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِّ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُّ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [2]. وقال: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ [3].

ولم يبح نقض العهود والمواثيق إلّا فيما يبيحه حقّ العدل وهو أن ينقض المعاهد المقابل نقضاً بالبغي والعتو أو لا يؤمن نقضه لسقوطه عن درجة الاعتبار وهذا مما لا اعتراض فيه لمعترض ولا لوم للائم قال تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللهَّ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [4].

فأجاز نقض العهد عند خوف الخيانة، ولم يرضَ بالنقض من غير إبلاغهم به أو اغتيالهم وهم غافلون فكان أن قال (فانبذ إليهم على سواء) فأوجب أن يخبروهم بالنقض المتقابل احترازاً من رذيلة الخيانة.

وأمَّا النقض الابتدائي من غير نقض من العدو المعاهد فلا مجوز له في هذا الدين الحنيف أصلاً وإن كان الوفاء مما يفوت على المسلمين بعض منافعهم ويجلب إليهم بعض الضرر وهم على قدرة من حفظ منافعهم بالبأس والقوة أو أمكنهم الاعتذار ببعض ما تصور لهم الحجّة ظاهراً وتصرف عنهم اللوم فإنَّ مدار الأمر على الحقّ والحقّ لا يستعقب شرا و لا ضراً.

هذه المعاني الموجبة للالتزام بالعهود والعقود التي أبرمها المسلمون مستقاة من كلمات الإمام علي في وصيته لمالك الأشتر

١-المائدة، اية ١
٢-الرعد، اية ٢٥
٣-الإسراء، اية ٣٤.
٤-الأنفال، اية ٥٨.

مؤكداً على أن من قام بنقض العهود مستحق للعقاب الدنيوي والأخروي مقابل ارتكابه جريمة الغدر التي هي من أخس وأسوأ الأعمال التي لا يليق بأي مسلم ارتكابها، معطيا الأولوية الأخلاقيّة للوفاء بالعهد وتنفيذ الالتزام: «وَلاَ يَدْعُوَنَّكَ ضِيقُ أَمْرٍ لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ اللهِ، إِلَى طَلَبِ انْفِسَاخِهِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَى ضِيقٍ تَرْجُو انْفِرَاجَهُ وَفَضْلَ عَاقِبَتِهِ، خَيْرٌ مِنْ غَدْرٍ تَخَافُ تَبِعَتَهُ، وَأَنْ تُحِيطَ بِكَ مِنَ اللهِ فِيهِ طَلِبَةٌ لاَ تَسْتَقِيلُ فِيهَا دُنْيَاكَ وَلاَ آخِرَتَكَ».

المطلب الثاني : النهي عن الغدر والعدوان

يقول الإمام عليه السلام: «إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ ولا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَى مِنْهُ ومَا يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعُ ولَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدِ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْغَدْرَ كَيْساً ونَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحِيلَةِ مَا لَهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ قَدْ يَرَى الْحُوَّلُ الْقُلَّبُ وَجْهَ الْحِيلَةِ ودُونَهَا مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللهِ ونَهْيِهِ فَيَدَعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا وَيَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لا حَرِيجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ»[1].

وقال أيضاً: «وَاللهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي ولَكِنَّهُ يَغْدِرُ ويَفْجُرُ ولَوْ لا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ ولَكِنْ كُلُّ غَدْرَةٍ فُجَرَةٌ وكُلُّ فُجَرَةٍ كُفَرَةٌ ولِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ واللهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ ولا أُسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ[2]. وقال: «بِئْسَ الزَّادُ إِلَى الْمَعَادِ الْعُدْوَانُ عَلَى الْعِبَادِ».

أولاً – أدب الخلاف في الرأي:

«اللهم إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَى عَدُوِّنَا فَجَنِّبْنَا الْبَغْيَ وَسَدِّدْنَا لِلْحَقِّ، وَإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا الشَهَادَةَ وَاعْصِمْنَا مِنَ الْفِتْنَةِ».

تكشف هذه الكلمات عن حسّ أخلاقي عميق يجعل من القتال بين المتخاصمين عملاً مفروضاً من أجل حسم خلاف لم تعد هناك وسيلة أخرى لحسمه وليست عملاً انتقامياً غرائزيّاً يهدف للثأر وإشباع الرغبة في سفك الدماء ويجعل من تطوّر الحرب المفروضة إلى الظلم والبغي والتشفي والانتقام الجماعي عملاً مذموماً ومرفوضاً بنفس درجة رفض الاستسلام للظالمين والقبول بمهانة الرضوخ لهم و لو أدى ذلك إلى الشهادة في سبيل الله عز وجل.

كما ينهى الإمام عن استعمال أساليب السبّ والقذف ضدّ خصومه من أهل

١-نهج البلاغة، خطبة ٤١.
٢-شرح النهج ، ابن ابي الحديد ، ج٢ ، ص ٥٧٢.

الشام طمعاً في هداية من يمكن هدايته منهم؛ ولذا نسمع قوله: «إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ، وَلكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ، وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ، كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ، وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ، وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ: اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنِهِمْ، وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلاَلَتِهِمْ، حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ، وَيَرْعَوِي عن الغي و العدوان من لهج به».

والقصة بحسب رواية نصر بن مزاحم في كتاب صفين[1] (خرج حجر بن عدي، وعمرو بن الحمق، يظهران البراءة واللعن من أهل الشام، فأرسل إليهما علي: أن كفا عما يبلغني عنكما فأتياه فقالا: يا أمير المؤمنين؛ ألسنا محقين؟ قال: بلى، قالا أو ليسوا مبطلين؟ قال بلى، قالا فلم منعتنا من شتمهم؟ قال «كرهت لكم أن تكونوا لعانين شتامين، تشتمون وتتبرءون ولكن لو وصفتم مساوي أعمالهم فقلتم: من سيرتهم كذا وكذا، ومن عملهم كذا وكذا، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر ولو قلتم مكان لعنكم إياهم وبراءتكم منهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم ، وأصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق منهم من جهله، ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به، كان هذا أحب إلى وخيرا لكم» فقالا: يا أمير المؤمنين، نقبل عظتك، ونتأدب بأدبك.

وقال عمرو بن الحمق: إني والله يا أمير المؤمنين ما أجبتك ولا بايعتك على قرابة بيني وبينك، ولا إرادة مال تؤتينيه، ولا التماس سلطان يرفع ذكرى به، ولكن أجبتك لخصال خمس: أنك ابن عم رسول الله ﷺ، وأول من آمن به، وزوج سيدة نساء الأمة فاطمة بنت محمد ﷺ، وأبو الذرية التي بقيت فينا من رسول الله ﷺ، وأعظم رجل من المهاجرين سهما في الجهاد فلو أني كلفت نقل الجبال الرواسي، ونزح البحور الطوامي حتى يأتي على يومي في أمر أقوى به وليك وأوهن به عدوك، ما رأيت أني قد أديت فيه كل الذي يحق على من حقك. فقال أمير المؤمنين علي: اللهم نور قلبه بالتقى، واهده إلى صراط مستقيم، ليت أن في جندي مائة مثلك، فقال حجر: إذا والله يا أمير المؤمنين صح جندك، وقل فيهم من يغشك.

ثم قال حُجر فقال: يا أمير المؤمنين، نحن بنو الحرب وأهلها، الذين نلقحها

١-وقعة صفين ،ابن مزاحم المنقري ، ص ١٠٣ .

ونتجهـا، قـد ضارسـتنا وضارسـناها، ولنـا أعـوان ذو وصـلاح وعشـيرة ذات عـدد، ورأي مجـرب وبـأس محمـود، وأزمتنـا منقـادة لـك بالسـمع والطاعـة؛ فـإن شرقـت شرقنـا، وإن غربـت غربنـا، ومـا أمرتنـا بـه مـن أمـر فعلنـاه.

فقـال عـلي «أكل قومـك يـرى مثـل رأيـك؟» قـال: «مـا رأيـت منهـم إلا حسـنا، وهـذه يـدي عنهـم بالسـمع والطاعـة وبحسـن الإجابـة» فقـال لـه عـلي خـيرا).

ثانيا – الإمام علي و التعامل مع الآخر:

إنَّ هـذه الكلـمات تؤسـس لقاعـدة التعامـل مـع الآخـر وتطـرح فكـرة اسـتبقاء الفرصـة للتفاهـم والإقنـاع والحـوار بـدلاً مـن الانـزلاق الفـوري والمتعجـل للمواجهـة وتجعـل مـن الصـدام خيـاراً أخـيرا وليـس خيـارا مفضـلا أو مقطوعـا بـه منـذ البدايـة.

وعـلى الرغـم مـن مـن توافـر مـا يكفـي مـن الأدلَّـة عـلى عـزم الأمويـين وقتهـا عـلى تصعيـد الأمـور ودفعهـا إلى حافـة الهاويـة فقـد كان الإمـامُ حريصـاً عـلى اسـتبقاء كل الفـرص الممكنـة مـن أجـل الوصـول إلى مصالحـة قائمـة عـلى قاعـدة إقـرار الحـق ولـذا فـإن الدفـع بالأمـور إلى خيـار المواجهـة وتبـادل السـبّ والشـتم والفحـش الإعلامـي مـع كل مـن تبـدو إمكانيـة اختلافـه معنـا في الـرأي أو في الموقـف السـياسي أكـبر مـن إمكانيـة اتفاقـه شـكلت عمـلا خاطئـا حـرص الإمـام عـلى تفاديـه مـا وسـعه ذلـك.

مـن هنـا أيضـا فـإنَّ الإمـامَ ينبـه إلى أهميـة ألا نجعـل لأنفسـنا أعـداء دائمـين وأن كل خصوماتنـا ينبغـي أن نتعامـل معهـا منـذ البـدء بوصفهـا خصومـة مؤقتـة وصداماً عابـراً حتـى يثبـت لنـا بعـد ذلـك بالدليـل الـذي لا يقبـل النقـض ولا التأويـل أنهـا خصومـة وصـدام لا يمكـن تجنبـه وهـو بهـذه الكلـمات يعلـم تلاميـذه كيـف يعرضـون موقفهـم ويسـعون إلى إقنـاع خصومهـم والمتشـككين في هـذا الموقـف بوجهـة نظرهـم وهـو مـا لا يمكـن تحقيقـه مـن خـلال الـصراخ والسـباب المتواصـل ومـا أحوجنـا نحـن المسـلمين في هـذه الحقبـة أن نسـتوعب هـذا الـدرس وأن نتعلـم هـذه الحكمـة لا أن نسـتمرئ أسـلوب السـب و الشـتم والصراخ عـلى المنابـر واعتبـار الجميـع أعـداء للإسـلام و المسـلمين، هكـذا مـن دون تحقيـق و لا تمحيـص فقـد كلفتنـا هـذه الأسـاليب اللاعقلانيـة غاليـا مـن دون أن تحقـق لنا شـيئا مـن أمانينـا أو حتـى الحفـاظ عـلى اسـتقلالنا الـذي أكلتـه الذئـاب وهـذا مـا تؤكـده تلـك النصيحـة العلويـة الغاليـة «أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْناً مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْماً مَا

وأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْناً مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْماً مَا»، إذ ليست كل العداوات دائمة ولا كل الصداقات دائمة فقد ينقلب الصديق على عقبيه فيخون الأمانة ويقطع الإل وقد تزول أسباب العداوة بين المسلمين وغيرهم ومن هنا ينبغي دائماً أن نلزم الخصومة الشريفة مع أعدائنا من المسلمين أو غيرهم وأن نسأل الله تبارك وتعالى ولو كان في أوج الخصومة معهم: «اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا ودِمَاءَهُمْ وأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وبَيْنِهِمْ واهْدِهِمْ مِنْ ضَلالَتِهِمْ حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ ويَرْعَوِيَ عَنِ الْغَيِّ والْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ».

يكشف هذا أيضاً حقيقة أنَّ الإمامَ كان داعية محبة وسلام ولم يكن داعية حرب ودمار غير أن هذه الحروب كلها قد فرضت عليه فرضاً ولم يكن أمامه إلا أن يقبل بهذا الخيار وصدق الله العلي العظيم: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [1]. وهكذا ينبغي علينا نحن المسلمين أن يكون السلام هو خيارنا الأول مع الجميع إلّا إذا فرض علينا غير ذلك.

ثالثاً - علي بن أبي طالب والحوار مع المعارضة:

تحدثنا في بداية هذا البحث عن حاجة الأمة الإسلاميَّة وحاجة العالم بأسره لإيجاد حل جذري ناجع لمسألة التيار التكفيري التي أحدثت قدراً هائلاً من الاضطراب في العلاقات بين الشعوب والدول وهي المعضلة الناجمة عن تطلع بعض الطامحين لتبوء مكانة سياسيَّة لا تستند إلى الواقع الاجتماعي والسياسي ولا أساس فكري ولا فقهي راسخ.

ظهرت هذه المجموعات أول ما ظهرت كحركة متمردة على الإمام علي بن أبي طالب أثناء الأزمة الكبرى التي تسبب فيها التمرد الأموي ثم لجوء الأمويين للتلاعب السياسي والديني عبر طرح التحكيم كوسيلة للفصل في النواع القائم.

في البدء وعند طرح التحكيم كان رأي الإمام علي هو رفض هذا الطرح؛ لأنَّ الطرفَ الآخرَ لم يكن جاداً في دعواه ولم يكن للقوم هدف سوى شق جبهة النظام السياسي الشرعي القائم وشراء الوقت.

وعلى الرغم من ذلك وعندما سارع

١- البقرة، اية ٢١٦.

عدد لا يستهان به من أنصاره لقبول هذا العرض لم يجد الإمام بدّاً من القبول والذهاب حتى نهاية المسار على الرغم من علمه أن القوم ليسوا جادين في التزامهم أحكام القرآن.

في تلك اللحظات سارعت (جماعة الخوارج) للقبول بالتحكيم، وعدَّت أن رفض التحكيم (كفر) بالله وعندما انتهت جولة التحكيم بنتائج لا تسر من قبلوا ولا من رفضوا منذ البدء، تحولت مواقف جماعة الخوارج إلى الاتجاه المعاكس تماما وأصبح قبول التحكيم هو الكفر!!.

يروي ابن جرير الطبري في تاريخه أنَّ عليّاً عليه السلام لما عاد إلى الكوفة دخلها ومعه كثير من الخوارج وتخلف منهم بالنخيلة خلق كثير لم يدخلوها.

فدخل حرقوص بن زهير السعدي وزرعة بن البرج الطائي وهما من رؤوس الخوارج على علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له حرقوص تب من خطيئتك واخرج بنا إلى معاوية نجاهده، فقال له علي عليه السلام إني كنت نهيتكم عن الحكومة فأبيتم ثم الآن تجعلونها ذنبا أما أنها ليست بمعصية ولكنها عجز من الرأي وضعف في التدبير وقد نهيتكم عنه فقال (زرعة) أما والله لئن لم تتب من تحكيمك لأقتلنك أطلب بذلك رحمة الله ورضوانه فقال له الإمام علي: بؤسا لك ما أشقاك كأني بك قتيلا تسفي عليك الرياح، قال زرعة: وددت أنه كان ذلك.

ثم خرج علي يخطب في الناس فصاحوا به من جوانب المسجد لا حكم إلا لله وصاح به رجل (ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) فقال له الإمام: (فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون).

وما زالت الرواية لابن جرير الطبري (أن عليّاً عليه السلام خرج ذات يوم يخطب وإنه لفي خطبته إذ حكمت المحكمة في جوانب المسجد –أي قالوا إن الحكم إلا لله– فقال علي عليه السلام الله أكبر كلمة حق يراد بها باطل إن سكتوا عممناهم وإن تكلموا حججناهم وإن خرجوا قاتلناهم) فوثب يزيد بن عاصم المحاربي فقال الحمد لله غير مودع ربنا ولا مستغنى عنه اللهم إنا نعوذ بك من إعطاء الدنية في ديننا فإن إعطاء الدنية في الدين إدهان في أمر الله عز وجل وذل راجع بأهله إلى سخط الله يا علي أبالقتل تخوفنا أما والله إني لأرجو أن نضربكم بها عما قليل غير مصفحات ثم لتعلمن أينا أولى بها صليا ثم خرج

بهم هو وأخوة ثلاثة معه هو رابعهم فأصيبوا مع الخوارج يوم النهر وأصيب رابعهم بالنخيلة[1].

ثم قام الإمام خطيباً مرة أخرى فقال رجل من جانب المسجد لا حكم إلا لله فقام آخر فقال مثل ذلك ثم توالى عدة رجال يحكمون، فقال علي: «الله أكبر كلمة حق يراد بها باطل أما إن لكم عندنا ثلاثا ما صحبتمونا لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم في أيدينا ولا نقاتلكم حتى تبدءونا»، ثم رجع إلى مكانه الذي كان فيه من خطبته.

رابعاً – المزايدون الحمقى: إنه الوصف الوحيد اللائق بهم من يومها إلى يومنا هذا.

إنَّه الغرور الذي يدفع صاحبه لكراهية أهل الفضل ومحاولة التطاول عليهم والتحقير من شأنهم. إنَّه غرور يستمد مادته من إعجاب بعبادة جسدية لا روح فيها قوة في الأقدام تحفز صاحبها على إطالة الوقوف في الصلاة وحنجرة تعين صاحبها على الترنم بآيات الله ولكنَّها وحسب الوصف النبوي لا ترقى ولا تصعد إلى السماء إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه؛ ولأنَّها لا هي كلم طيب ولا عمل صالح يراد به وجه الله فإنها تحبس داخل هذه الذات المتضخمة لتزيدها تضخما وانتفاخا وصولا إلى الانفجار المحتوم الذي يدمر هذه الذات لتطلق أوساخها التي يظنها صاحبها من افضل من عمل الإنسان.

ما زالت الرواية لابن جرير الطبري، قال: «بعث علي عبد الله بن عباس إلى الخوارج فرجع ولم يصنع شيئا فخرج إليهم فكلمهم حتى وقع الرضا بينهم فدخلوا الكوفة فأتاه رجل فقال له إن الناس تحدثوا أنك رجعت عن كفرك (!!!) فخطب الإمام عليه السلام الناس في صلاة الظهر فذكر أمرهم فعابه فوثبوا عليه من نواحي المسجد يقولون إن الحكم إلا لله فجعل علي عليه السلام يقلب يديه هكذا وهو على المنبر فقال حكم الله ينتظر فيكم»[2].

المعنى الذي نؤكد عليه، أنَّ الإمامَ عليَّ بن أبي طالب لم يسارع لاستخدام السلاح لاستئصال الخوارج وإبادتهم ومن باب أولى لم يحرقهم بالنار كما يزعم الكذابون المغرضون بل حاورهم وسمع

١-بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٣٣، ص ٣٤٥.
٢-بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٣٣، ص ٣٤٥.

منهم مباشرة وأدلى بحجته في مواجهتهم، ثم أرسل عبد الله بن عباس نائبا عنه ليحاورهم وهو كما يعرف الكثيرون من علماء الأمة الإسلاميَّة وقادتها الفكريين.

الأمر الثاني: أن الإمامَ عليَّ بن أبي طالب وضع قاعدة التعامل مع الجماعات المتمردة: (إن سكتوا عممناهم وإن تكلموا حججناهم وإن خرجوا قاتلناهم)، والمعنى أن ليس من حق أحد أن يمنع عنهم حق التواجد داخل المجتمع (إن سكتوا عممناه) ولا حق التعبير (إن تكلموا حججناهم) فالحجة بالحجة والفكرة بالفكرة طالما لم يصل الأمر حد المواجهة المسلحة وساعتها يصبح من واجب الدولة قتال هؤلاء دفعا لشرهم وكفا لأذاهم.

قواعد الحكم الأربعون عند الإمام عليّ عليه السلام.

أ.د. نسيب محمد حطيط

أستاذ محاضر في معهد الفنون الجميلة – الجامعة اللبنانية

تفسير السلوك

مقدّمة

يمثّل الإمام عليّ عليه السلام الأنموذج الرسالي للحاكم في الإسلام بعد رسول الله الكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وبعد توسّع الجغرافيا الإسلامية، وتنوّع شعوبها، وتطوّر مطالبها المعيشية، وزيادة وارداتها، وتنوع مصاريفها، وارتباط ميزانية الدولة بقرار الخليفة المركزي أو الوالي على الإمارات المتعدّدة القريبة منها والبعيدة، على وفق الحكم الشرعي المعتمد على النص القرآني الواضح أو الذي يتطلب تأويلاً وتفسيراً أو على السنة النبويَّة الشريفة قولاً أو فعلاً أو إقراراً أو الاجتهاد أو المشورة أو التسلط!

الإشكالية الأساس التي اعترضت من تسلّم الخلافة والإمارة والولاية صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه كان يعيش في مجتمع جاهلي يرتكز على منظومة «شيخ القبيلة» أو شيخ العشيرة الذي له الكلمة الفصل، والقرار إن أمر، وتجتمع كل السلطات لديه بالتلازم مع أنظمة تعتمد أنظمة ملكيَّة أو أميريَّة، عند الروم والفرس؛ الحضارتين المجاورتين للبيئة والمجتمع الإسلامي والتي كان للملك مطلق الصلاحية في مملكته، مما جعل نظام الحكم محاصراً بين شيخ القبيلة ذي الصلاحية المطلقة، والملك أو الأمير أو السلطان، فضلاً عن الترسبات الجاهليَّة وعدم الحصانة الدينيَّة الكافية، مما أثَّر في سلوكيات الحاكم - الخليفة أو الحاكم الوالي وانحاز في سلوكياته باتجاه هذه المنظومة على المستوى المالي والحكم والبطانة.

ولابدَّ من تحليل شخصيَّة الإمام عليّ عليه السلام وجذور تربيتها العائليَّة والدينيَّة، والتعامل معها على أنَّها شخصيَّة نتاج صناعة نبويَّة، وولادة في بيت إلهي، وأنَّه باب من أبواب مدينة العلم النبويَّة، إذ كان الإمام عليّ عليه السلام أول المسلمين والمؤمنين بالله وبرسوله، حتى انزلق أعداؤه وخصومه إلى موقع اتّهامه في دينه من باب بعدم قبول «إيمان الصبيان» الذين لم يبلغوا؛ لأنَّه كان أسبقهم إيماناً وأسبقهم فداء للدين ورسوله، وأشجعهم وأقربهم حبّاً لله ولرسوله، بالتزامن مع عدم إيمان الكهول والكبار، إلاّ بعد زمن، وبعضهم كان خوفاً أو تحقيقاً لمصلحة وجاه وغنيمة!

استطاع الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بتوفيق وتسديد إلهي أن يصنع من «عليّ» الصبي المؤمن الأنموذج الرسالي المثالي الذي وصل إلى مرتبة القرب من الرسول الأكرم والمشورة والاستخلاف، وأن يكون بمرتبة النبي «هارون» من النبي موسى عليهما السلام مع فارق أنَّه لا نبيَّ بعد الرسول فهو

خاتم الأنبياء.

ووصل إلى مرتبة أن يقول فيه الخليفة عمر بن الخطاب، وهو الذي أسهم في إبعاده عن الخلافة، واستقرَّ مكانه فقال: «أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن»، واطلق مقولته الشهيرة: «لولا عليّ لهلك عمر»، وقال: «لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن"، ويقول خصمه الذي نازعه الخلافة وقاتله معاوية بن أبي سفيان لَمَّا بلغه مقتل الإمام عليّ عليه السلام: «ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب، فقال له أخوه عتبة: لا يسمع هذا منك أهل الشام، فقال له: دعني عنك»[1].

فلسفة استلام الحكم عند الإمام عليّ عليه السلام.

قال الإمام عليّ عليه السلام: «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك»[2].

حدَّدَ الإمام عليّ فلسفته وأهدافه من استلام الحكم، فالسلطة تكون على وفق المنهج الديني الذي يرتكز عليه، المتمثل بالقرآن والسنّة، نافياً أي مصلحة شخصيَّة من مال أو جاه أو سلطة ونافياً أيضاً المنافسة لتسلم الخلافة بوصفها مركزاً سلطويّاً عامّاً بمعناه الدنيوي والأهداف التي حددها الإمام عليّ:

- ردّ معالم الدين التي اندَرَست أو تم تحريفها أو حرقها واخفاؤها عن الناس.

- العمل للإصلاح وإعمامه في بلاد الله (العالم).

- توفير الأعصاب لعباد الله المظلومين بمعناه العام والتفصيلي (الأعصاب العقائدي -الاجتماعي -المعيشي - العبادي)

- إقامة وإحياء أحكام «الحدود» المعطّلة بسبب المحاباة أو مصلحة الحاكم. (الزنا - اللواط - سب النبي عليه السلام أو بضعته الطاهرة عليها السلام أو أحد الأئمة عليهم السلام .تزويج ذمية على مسلمة بغير إذنها - تقبيل المحرم غلامّا بشهوة - السحق - القيادة - القذف.- دعوى النبوة - السحر - شرب المسكر - السرقة - بيع الحر - المحاربة والإفساد. - الارتداد)

١-الاستيعاب، ابن عبد البر، ج٣، ص١١٠٧.
٢-نهج البلاغة - خطب الامام علي - ج٢- ص١٣.

مصادر القرار بالحكم والإدارة عند الإمام عليّ:

ارتكزت مبادئ الحكم والإدارة والسياسة عند الإمام عليّ بعناوينها العامة، وبتفاصيلها الجزئية على ثلاثة مصادر:

- النص القرآني الواضح منه والمُؤول
- السنّة النبويَّة الشريفة معاينةً وسماعاً ومشاهدةً وسؤالاً.
- الاجتهاد الشخصي المعتمد على التعليم، والأنباء النبوي، والمستوى العقلي العالي الذكاء والبلاغة.

ولتحليل مبادئ الحكم والإدارة والسياسة عند الإمام عليّ، لابدَّ من مراجعة المفاهيم والأسس العامَّة العقديَّة والسلوكيَّة التي بنى عليها حكمه وإدارته لشؤون المسلمين، فضلاً عن تحليل رسائله ووصاياه لولاته، لاسيَّما رسالته لواليه على مصر «مالك الاشتر» المعروفة «بعهد الاشتر».

المفاهيم والقواعد العلوية للحكم والإدارة والسياسة.

تعريف وتوصيف الحاكم (الخليفة-الوالي-المسؤول).

إنَّ منصبَ الحاكم يمكن أن يكون دينيّاً، أو إداريّاً، ويمكن الجمع بينهما، إذ إنَّ المنصب الديني الذي يشغله «العالم-الفقيه» أو المرجع في عصر انتهاء النبوة وفي عصر غيبة الإمام المعصوم (المهدي المنتظر) عند الشيعة الإماميَّة، وهو الحاكم المعيّن «إلهيّاً» نبياً أو رسولاً والمعيّن «نبويّاً بمنصب الإمام المعصوم أو المعيّن لنفسه «الولي الفقيه».

الحاكم النبيّ أو الرسول.

خليفة الله ورسوله على الأرض تقترن طاعته ورضاه بطاعة الله ورضاه، على وفق النص الديني الإسلامي ﴿وَأَطِيعُوا اللهَّ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [1]، ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَّ إِنَّ اللهَّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [2] ويصبح الأمر النبوي والقول النبوي أمراً قاطعاً لا نقاشَ فيه، كما هو الحكم الإلهيّ الذي لا يجوز رفضه، لكنَّه يفسح المجال

١-سورة التغابن-آية رقم١٢.
٢-سورة الحشر -آية رقم٧.

للاستفسار والاستفهام والتأويل، لضمان جودة التطبيق وعدم الوقوع في الخطأ، وللتنفيذ عن علم دون جهل وتصل سلطة الحاكم باسم الله» النبي والرسول» إلى مستوى انه اولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ... ﴾[1]، فتصبح الولاية على «المؤمنين برسالته» ولاية مطلقة، يتقدّم فيها الأمر النبوي والحكم النبوي على القرار الشخصي، ومخالفه الأمر النبوي أو الرسولي يعدّ مخالفة لله سبحانه وتعالى ويقتضي تحمّل مسؤولية المعصية والمخالفة التي تستوجب العقاب سواء في الدنيا أو في الآخرة أو في كليهما.

الحاكم - الإمام.

الإمامُ المعصومُ عند المسلمين الشيعة وهم الأئمة الاثنا عشر، وفي مقدّمتهم صلة وحلقة الوصل بين الإمامة والنبوة المتمثلة بالإمام عليّ وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنص إلهي وبلاغ نبوي في خطبه الغدير: «أقبلنا مع رسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في حجتِه التي حجَّ فنزل في بعضِ الطريقِ فأمر الصلاةَ جامعةً فأخذ بيدِ عليّ رضي الله عنه فقال ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسِهم قالوا بلى قال ألستُ أولى بكلِّ مؤمنٍ من نفسِه قالوا بلى قال فهذا وليُّ من أنا مولاه اللَّهمَّ والِ من والاهُ اللهمَّ عادِ من عاداهُ»[2]، «وتترابط السلسلة وتتواصل حتى الإمام المهدي «عجل الله فرجه «وتنقطع الولاية المطلقة بغياب الإمام المهدي لحين عودته واسترداد الولاية المطلقة وروي عن أبي جعفر (الإمام الباقر) انه قال: والله ما ترك الله أرضاً، منذ قبض آدم عليه السلام إلا وفيها إمام يهتدي به إلى الله وهو حجّته على عباده، ولا تبقى الأرض بغير إمّام حجة لله على عباده»[3].

الحاكم الشرعي (الولي - الفقيه أو المرجع - الفقيه).

يعيش المسلمون خارج إطار الولاية المباشرة المطلقة والمعمول به سابقاً، فضلاً عن الحكم الشرعي المستنبط من المرجع الفقيه دون ولاية مطلقة الا باجتهاد بعض الفقهاء بما عُرف «ولاية الفقيه العامة» التي قالت، بإمكانية نقل السلطة الكاملة والولاية الكاملة من الرسول والإمام المعصوم إلى المرجع «الولي–الفقيه» والتي ليست محل إجماع عند الشيعة، بل هو رأي من آراء الفقهاء لإدارة شؤون الأمّة.

١-سورة الأحزاب-آية رقم ٦.
٢-الراوي: البراء بن عازب - المحدث: الألباني - المصدر: صحيح ابن ماجه
٣-الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - الصفحة ١٧٩.

صفات الحاكم

حـدَّدَ الإمـام عـليّ بسـلوكياته وأفعالـه وأقوالـه وبرسـائله إلى ولاتـه، مبـادئ وأسسـس نظـام الحكـم والإدارة الإسـلامية الأصيـل ومواصفـات الحاكـم وقواعـد العلاقـة بـين الحاكـم والرّعيّـة والتنبيـه عـلى الأخطـاء والهفـوات لـكلِّ مـن يتـولّى المسـؤوليَّة عـلى اختـلاف مسـتوياتها ومهامهـا، لتحصـين الحاكـم وبطانتـه مـن الفسـاد ولصناعـة الإنسـان الصالـح والحاكـم الصالـح وصـولا لبنـاء المجتمـع الصالـح. والمجتمـع الصالـح عـلى وفـق القواعـد الإسـلامية–القرآنيَّة والنبويَّـة هـو المجتمـع الإسـلامي الملتـزم البعيـد عـن النفـاق بعناوينـه العامَّـة والجزئيَّـة، بـما فيـه النفـاق السـياسي الـذي يعلـن ويقـول خـلاف مـا يفعـل، والنفـاق العقائـدي الـذي يُظهـر عكـس مـا يُبطـن والنفـاق الاجتماعـي الـذي يعتمـد عـلى الخـداع والمراءات،مما يسـتجلب المقـت والغضـب الإلهـيّ وفسـاد العامـة وفسـاد الحكـم وانهيـاره واسـتخلاف غيرهـم بديـلاً عنهـم.

مثَّلـت رسـالة الإمـام عـليّ إلى واليـه عـلى مـصر «مالـك الاشـتر» والتـي عرفـت «بعهـد الاشـتر» النظـام الاسـاسي لنظـام الحكـم والإدارة وقواعـد العلاقـات بـين الـوالي الرّعيّـة، ووسـائل الحكـم ونظـام الضّرائـب والمواصفـات السـلوكية والأخلاقيَّـة للحاكـم، ولعـلّ رسـالة الإمـام عـليّ إلى» الأشـعث بـن قيـس» وإليـه في «أذربيجـان» أعطـت توصيفـا جوهريـاً لـدور الوالي–الحاكـم وبالتـدرج إلى كل مسـؤول بـأن المنصـب والمسـؤولية «أمّانـة في العنـق» وليسـت «بِطُعْمَـةٍ» للمسـؤول والحاكـم، وقـد أدرج برنامـج الأمـم المتحـدة الإنمائـي في تقريـره عـن التنميـة الإنسـانية العربيـة لعـام ٢٠٠٢، الـذي تـم توزيعـه في جميـع أنحـاء العـالم، سـتة أقـوال للإمّـام عـليّ عليه السلام عن الحكم المثالي.

يتـوزّع المنهـج السـياسي للحكـم والإدارة عنـد الإمـام عـليّ عليه السلام عـلى «أربعـين» قاعـدة وفـق المحـاور الآتيـة:

- قواعد العقيدة التي تحكم الحاكم.
- قواعـد الصفـات والسـلوكيات الشـخصيَّة للحاكـم.
- قواعـد التعامـل مـع الرعيَّـة عـلى مسـتوى الاداب والاخـلاق.
- قواعـد التعامـل مـع الرعيَّـة عـلى مسـتوى الضّرائـب وقوانـين الحكـم.

القاعدة الأولى: المسؤولية، أمّانة:

(وَإنّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ، وَلكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أمّانةٌ، وَأَنْتَ مُسْتَرْعًى لِمَنْ فَوْقَكَ، لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفتَاتَ فِي رَعِيَّةٍ، وَلا تُخَاطِرَ إِلَّا بِوَثِيقَةٍ، وَلَعليّ أَلَّا أَكُونَ شَرَّ وُلَاتِكَ لَكَ، وَالسَّلَامُ.)[1] والمسؤولية امّانة الهية وأمّانة الناس التي بايعت واوكلت امورها لمن يديرها ويحميها ويحرص عليها وليس لتبديدها أو استغلاله للمنافع الدنيوية للمسؤول الحاكم.

القاعدة الثانية: المسؤولية تكليف شرعي.

عدَّ أمير المؤمنين أن تولي الخلافة والمسؤولية والحكم هو تكليف شرعي، لاسيَّما إذا ما تعرّض الدين للتحريف وأهله للقتل والظلم والجور، وخوفا من ان يمسك بالسلطة رجل فاسد على مستوى العقيدة وعلى مستوى السلوك وهذا ما كان عليه حال الإمام الذي رفض الخلافة وبعد اصرار الناس على مبايعته وخوفا من ان يقفز» تيس من بني امية»-كما قال الإمام -فيلعب بكتاب الله عز وجل ويحرّفه أو كما فعل بالحديث النبوي من شراء الرواة واختلاق الاحاديث وفبركتها لصالح معاوية، وذمّاً للإمّام عليّ عليه السلام فيقول أمير المؤمنين: «اللّهُمَّ إنَّكَ تَعلَمُ أنّي لَمْ أُرِدِ الإمرَةَ، ولا عُلُوَّ المُلكِ وَالرِّياسَةِ، وإنَّما أَرَدتُ القِيامَ بِحُدودِكَ، وَالأَداءَ لِشَرعِكَ، ووَضعَ الأُمورِ في مَواضِعِها، وتَوفيرَ الحُقوقِ عَلى أهلِها، والمُضِيَّ عَلى مِنهاجِ نَبِيِّكَ، وإرشادَ الضّالِّ إلى أنوارِ هِدايَتِكَ)[2] ويقول «وَاللهّ ما تَقَدَّمتُ عَلَيهَا [الخِلافَةِ] إلّا خَوفا مِن أَن يَنزُوَ عَلَى الأَمرِ تَيسٌ ۴ مِن بَني أُمَيَّةَ، فَيَلعَبَ بِكِتابِ اللهّ عَزَّ وَجَلَّ»[3]

القاعدة الثالثة: الحُكم بما انزل الله وقول رسوله.

(واردد إلى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب ويشتبه عليّك من الأمور)[4] فقد قال الله تعالى لقوم أحب إرشادهم: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَّ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِّ وَالرَّسُولِ..﴾**[5]

١-رسالة الامام علي إلى الأشعث بن قيس عامل آذربيجان.
٢-موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب و السُّنَّة و التّاريخ ج٢ -ص٣٣٧.
٣-موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب و السُّنَّة و التّاريخ ج٢ -ص٣٣٦.
٤-الرسالة ٥٣: كتابه للاشتر النَّخَعي(واليه على مصر).
٥- سورة النساء - آية رقم٥٩.

إنَّ المنهج السياسي للإمّام عليّ، يقوم على تثبيت القران الكريم والسنّة النبويَّة الشريفة كمرجعية لاستصدار الأحكام والقرارات واحكام القضاء، والضّرائب والتعامل مع الناس وتحديد قواعد النظام العام وان يتم رد كل والأسئلة والقضايا إلى الله ورسوله ثم أولي الامر من الفقهاء والعلماء،باستنباط الاحكام الغير وارده نصاً في القران والسنّة النبويَّة وفق منظومة الاجتهاد المرتبط بالنص االإلهيّ والنبوي.

القاعدة الرابعة:الاحتكام للسنّة النبويَّة.

(لا تُخَاصِمْهُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَّالٌ ذُو وُجُوهٍ تَقُولُ وَيَقُولُونَ... ولَكِنْ حَاجِجْهُمْ بِالسُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصاً)[1].

يؤكد الإمام عليّ،لاعتماد منهجية المحاججة والنقاش والحوار مع الخصم أو صاحب الراي الآخر ويؤكد على وجوب ان يتم النقاش بمحاصرة الطرف الآخر وتضييق مساحة التأويل أو المتشابه والسير، بمنهجية استعمال المصطلحات المحكمة الواضحة ولذا فانه يوصي انصاره بمحاورة الخوارج الذين تعمّقوا في مسالة تأويل النص القرآني وجذبه باتجاه ما يعتقدون أو ما يرغبون ولأنّ الآيات القرآنية تتوزّع على التأويل والمحكم والمتشابه ولا يستطيع (تأويله الا الراسخون في العلم) وطالما ان تصنيف «الراسخون في العلم» ايضا امر مرن غير محكم،فلذا أوصى أمير المؤمنين، بأن يتم الاحتكام للسنة النبويَّة الشريفة والتي هي مصدر التشريع والمرجعية المكمّلة والشارحة والمفصّلة للقران، لأنّ السنّة النبويَّة تعتبر بمثابة الاحكام التطبيقية التي تشرح تأويل النص القرآني، وتجعله في دائرة المحكم والواضح حتى يتم اغلاق منافذ الفرار من الحجة والدليل ولربح الحوار ولذا فعلى الحاكم أو المسؤول أو اي داع إلى الله سبحانه،ان يحتكم للقرآن والسنّة النبويَّة وان يتبع السبيل الذي يوصله للفوز بالحوار مع اي جماعة، ويفهم طريقه تفكيرها و تحليلها للنص ومنهجية الحوار الذي تعتمده حتى يخاطبها بذات المنهجية والوسائل، لضمان اختراق الافكار التي تطرحها ومن ثم تفجير الدليل الذي تستند إليه والتغلب عليها والزامها بالفكر الذي تدعو إليه مقابل فكرها الذي تعتقد به.

١-من وصية له ﷺ لعبد الله بن العباس لما بعثه للاحتجاج على الخوارج .

القاعدة الخامسة: عدم عصمة الحاكم.

(وإِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ لا يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الأُمُورِ ولَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمَاتٌ تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ الْكَذِبِ وإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ إِمَّا امْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَذْلِ فِي الْحَقِّ فَفِيمَ احْتِجَابُكَ مِنْ وَاجِبِ حَقٍّ تُعْطِيهِ أَوْ فِعْلِ كَرِيمٍ تُسْدِيهِ أَوْ مُبْتَلًى بِالْمَنْعِ فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيِسُوا مِنْ بَذْلِكَ مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ مِمَّا لا مَئُونَةَ فِيهِ عَلَيْكَ مِنْ شَكَاةِ مَظْلِمَةٍ أَوْ طَلَبِ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ)[1].

ينفي أمير المؤمنين «العصمة» عن اي حاكم أو مسؤول، (خلافا للرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام) ويعيده إلى طبيعته وسنخته البشرية والتي يمكن ان يصيب أو يخطئ أو ان لا يكون راي سديد، مما يفسح المجال لنقاشه أو حواره أو نقض قوله بالحجة والدليل، فاذا ما اصر الحاكم سواء بصفته السياسيَّة أو الدينيَّة على وجوب الطاعة وعدم الاستئناس بالرأي من أهل الاختصاص، مما يبعث اليأس في نفوس العامة الرّعيّة من الحوار معه أو تصويب قراره ويجعلهم ضحايا قراراته التي نتجت عن اجتهاده الشخصي المحدود، مهما كانت قدراته العقلية أو التنظيمية أو المؤسساتية، مما يوجب فتح النوافذ للحوار والمشورة والاستئناس بالرأي وفي حال عدم طاعة الجمهور العام لا يمكن اتهامه بالكفر والضلال والمعاداة.

القاعدة السادسة: التقوى.

يلجأ الحكام والمسؤولون إلى دائرة الخديعة والدهاء وعدم الالتزام بالعهود،فيسميها البعض بالمصطلح المعاصر «تكتيكا» وبالتعبير الشعبي» شطارة» للتعبير عن الاحتيال والخديعة والغدر وقد ابتلي الإمام عليّ بمكر ودهاء معاوية وعمر بن العاص وغيرهم الذين نكثوا العهود واحتالوا ونصبوا الأفخاخ للناس وظن البعض ان «معاوية» ادهى واكثر ذكاء من الإمام عليّ..فقال (لولا أن المكر والخديعة في النار لكنت أمكر الناس و هيهات، لولا التقى لكنت أدهى العرب).[2]
وقوله عليه السلام: «والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر، لكنت من أدهى الناس، ولكن

١-عهد الامام علي لمالك الاشتر.
٢-تحف العقول-٩٩.

كل غدرة فجرة، وكل فجرة كفرة، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة [1]».

ولأنّه ملتزم بأحكام الدين وبالمبادئ والثوابت الأخلاقية والسلوكية، كمنظومة اخلاقية،لا تفترق عن المثالية الدينيَّة ولأنّه وصيّ رسول الله وعليه ان يتصرف، تصرف الأنبياء والرسل، الذين لا يخادعون ولا يستعملون الوسائل غير الشريفة للأهداف النبيلة والشريفة،فانه ثبت على مبادئه ومثاليته واخلاقه، مما تعلمه من رسول الله الأكرم وهو يرشد ويوصي كل حاكم ومسؤول ان يفر من الدهاء والحكمة والخديعة والاحتيال والكذب ويحشد طاقاته وقوته وفق الحكم الشرعي والمبادئ الأخلاقية،لكي يؤمن مقومات الإنّتصار واذا خسر بالمعطى المادي العسكري فانه يربح عبر التاريخ وهذا ما ظهر عندما قال معاوية لجنوده(اسرعوا إلى الماء وامنعوا عنه جند عليّ... فقالوا.. وماذا لو وصل عليّ إلى الماء.. فقال. لن يمنعكم.. فسالوا لماذا فقال (إنه عليّ..!)

القاعدة السابعة: عدم توزير أعوان الظالمين السابقين.

(إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً، ومن شركهم في الآثام ! فلا يكونن لك بطانة، فإنهم أعوان الأثمة وإخوان الظلمة)[2]

ان تنفيذ المشروع الإصلاحي وتعميم والتنمية وبناء المجتمع الصالح يقتضي تفكيك المنظومة الفاسدة وابعاد ادواتها عن مواقع القرار والحكم وفق خطة الغاء ثقافة الفساد والمنهج السلوكي للفاسدين وتلقيح النظام والهيكلية الإدارية بالمصلحين واصحاب الفكر الذي يخطط لتنمية الدولة وحفظ مصالح العامة دون استبدالها بالمصلحة الخاصة، من اعتاد على تبييض وجه الحاكم الفاسد والشرير مقابل مصالحه...سيكون عائقاً امام الإصلاح الذي يمكن ان يقيله من عمله أو يقيّد سلوكه وفساده، ولأنّ الوزراء هم وجه الحاكم واذرعه والسنته، فإن افسدوا تحمّل الحاكم وزر فسادهم وظلمهم للناس.

القاعدةالثامنة: تعيين المستشارين.

(ولا تدخلنّ في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ولا جباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور، فإن البخل والجبن

١-شرح نهج البلاغة - ابن ابي الحديد-ج١٠-ص٢١١.
٢-عهد الأشتر.

والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله)[1].

يستعين الحاكم أو المسؤول بمستشارين، فضلاً عن الوزراء ويختارهم لمساعدته في ملفات الاختصاص المتنوعة ويصبح المستشار جزءا من تركيبة الحكم والنظام ومؤثراً في قرارات الحاكم، وممثلاً له في أكثر من مهمّة، وهنا يوصي أمير المؤمنين بعدم إدخال «البخيل» في دائرة المستشارين؛ لأنَّه يمنع العطاء للناس ويخوّف الحاكم بالإفلاس ولا يكون «جبانا» يثبط عزيمة الحاكم ويخيفه ويعظّم الأمور، ليبقى قاعداً عن المواجهة وان لا يكون ذا نفس شريرة تلتذ بالظلم والقمع وسلب أملاك الناس وأحلامهم، فإنَّ هذه الغرائز تمثل الشخصيَّة غير الواثقة بالله والمشكّكة بقدرته وتعيش في دائرة سوء الظن بالله، على حين المطلوب أن تكون شخصيَّة المستشار والحاكم من الشخصيّات التي تحسن الظن بالله؛ لأنَّ الله عند حسن ظن العبد فيه..

القاعدة التاسعة: ابعاد المتردّدين.

(وإن توافت الأمور بالقوم إلى الشقاق والعصيان، فانهد بمن أطاعك إلى من عصاك، واستغن بمن انقاد معك عمن تقاعس عنك فإن المتكاره، مغيبه خير من شهوده، وقعوده أغنى من نهوضه)[2].

عند كل ثورة أو حرب أو حتى مشروع تغيير اجتماعي أو تربوي أو ديني، ينقسم الناس إلى فئات أربعة، فإمّا داعم وشريك وإمّا مناهض ومعارض وإمّا محايد وإمّا متردد مُرجف، يعمل على بث الشك والتخويف بين الناس واذا ما نفر وشارك فانه بؤرة ضعف وثغرة في الصف يمكن ان تتوسع وتؤثر على غيرها من ضعاف القلب أو ضعاف العقيدة أو اصحاب المصالح،مما يؤثر على قوة الجمع، فيوصي أمير المؤمنين: بترك هؤلاء المترددين وعدم الاصرار على اشراكهم في المعركة أو في المشروع،لأنّ تركهم خير من حضورهم وينجي من الشقاق والعصيان ويمنع البلبلة والفتنة في الجيش أو الجماعة واقتصار التحشيد والتعبئة على الصادقين الواضحين والملتزمين اوامر الوالي أو الحاكم.

القاعدة العاشرة: الغاية لا تبرّر الوسيلة

لم ينزلق الإمام عليّ إلى المنهج السياسي الذي يقول ان (الغاية تبرر الوسيلة) وانه

١-المصدر السابق.
٢-نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٣ ص٦ وبحار الأنوار ج٣٢ ص٦٧.

يمكن استخدام اي واسطة شريفة أو غير شريفة، شرعيه أو غير شرعيَّة، اخلاقية أو غير أخلاقية، لتحقيق الهدف، ومع انه أدهى من معاوية(كما صرّح) لكنه التزم «التقوى» وكان بيده بيت المال لكنه لم يشتر الذمم، لتامين التأييد والمبايعة وعندما اشار إليه بعض انصاره ونصحوه بإعطاء المال،لبعض الاشراف من العرب وقريش، ليضمن عدم فرارهم إلى معاوية طلبا للدنيا والمال.... فأجابهم(أ تأمروني ان اطلب النصر بالجور!) معتبراً شراء الذمم من اعمال الجور والظلم...

ولذا فإن المنهج العلوي في العمل السياسي، يفرض ان يكون الناطق والممثل والرسول ينسجم مع اخلاقيات الجهة الحاكمة أو الحاكم ولا يمكن لشخصيَّة متهمة في سلوكها أو دينها ان تكون ناطقا وممثلا مقابل حفنة من المال، فالغاية الشريفة لا يمكن تحقيقها على وفق المنهج العلوي النابع من الإسلام إلاّ بوسيلة شريفة على وفق منظومة (شرف الهدف من شرف الوسيلة... وشرف الوسيلة من شرف الهدف).

القاعدة: الحادية عشرة: الزهد وعدم التكبّر.

(أَتَرْجُو أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ وأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ وتَطْمَعُ وأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي النَّعِيمِ تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ والأَرْمَلَةَ أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ وإِنَّمَا الْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَسْلَفَ وقَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ)[1]

إنَّ الزهدَ والتواضعَ من صفات الحاكم الإسلامي، تأسّياً واتّباعاً لسنة الرسول الأكرم والأئمة وكل الأنبياء والرسل (عليهم الصلاة والسلام)، الذين كانوا يعملون ليؤمنوا عيشهم ولم يتكبروا على الناس، فالله يمقت المتكبّرين ويقرّب الزاهدين والمتواضعين، فإذا ما انحاز الحاكم إلى فئة» المتمرغين» بالنعيم والرفاهية واللذيذ من المأكل والمشرب والحرير من اللباس على حساب العامة والفقراء واليتامى والكادحين والعمال من المستضعفين والمحرومين والمساكين،فسينال جزاء ما قام به في الآخرة وسيُعاقب، بعنوان غصب المال العام وسرقته والتصرف به وانتحال صفه الملكية والوكالة عن الله ورسوله واوصيائه ومن ينتظر من هؤلاء الخطائين والمتكبرين ان ينال ثوابا،فانه واهم وخادع لنفسه؛ لأنّ

١-ورسالة الامام علي إلى زياد بن ابيه.

الله تعالى يعلم ويرى (ويوم تشهد عليهم جلودهم..) وتحصي كتبهم ما كانوا يعملون.

وللدلالة على نهيه الحكام والولاة من استغلال السلطة والتنعم والرفاه أن قاضيه شريح بن الحارث قد اشترى لنفسه داراً، فأراد استيقان الخبر، حتى إذا صدق استدعى شريحاً ووعظه قائلا: «بَلَغَنِي أَنَّكَ ابْتَعْتَ دَاراً بِثَمَانِينَ دِينَاراً وكَتَبْتَ لَهَا كِتَاباً وأَشْهَدْتَ فِيهِ شُهُوداً»، فقال شريح: «قَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ»، فنظر إليه الإمام نظرة اقتلعته من مكانه، وقال له: «يَا شُرَيْحُ أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لا يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ ولا يَسْأَلُكَ عَنْ بَيِّنَتِكَ حَتَّى يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصاً ويُسْلِمَكَ إِلَى قَبْرِكَ خَالِصاً فَانْظُرْ يَا شُرَيْحُ لا تَكُونُ ابْتَعْتَ هَذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلالِكَ فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَ دَارَ الآخِرَةِ».

القاعدة الثانية عشرة: عدم الإستبداد.

قال الإمام عليّ عليه السلام: (لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفتَاتَ فِي رَعِيَّةٍ)[1]

إنَّ المعاناة التاريخيَّة للشعوب مع حكّامها، يتمثّل باستبداد السلطة والحاكم ومصادرة الحقوق والرأي والقرار والتعامل مع الرعيَّة كجماعة من العبيد يملكها(الحاكم-السيد)، مرّة بعنوان دنيوي هو الملك، وأخرى بانتحال صفة ممثل الله على الأرض، والإسلام هو جسر العبور من دائرة الاستعباد الطوعي أو الإكراهي إلى دائرة العبوديَّة لله سبحانه للفوز بالحريّة وان كان في الحاكم جرأة على الله سبحانه بأن يستعبد عبيد الله، وهذا عدوان على الذات االإلهيّة واغتصاباً للإمرة والطاعة والشراكة في السيادة فيصبح الإنسان «عبدا» للحاكم السيد الذي ينفي عنه العبودية لله سلحانه!

القاعدة الثالثة عشرة: عدم التكفير... والاتهام بالدين.

لم يبادر أمير المؤمنين لتكفير أحد من المسلمين حتى الخوارج الذين كفّروه وحتى الذين قاتلوه في «صفين» ومعركة الجمل واتهمهم إمّا بالبغي وإمّا بالإفساد، ليرسّخ منهجا رسالياً والتزاماً بالأمر الإلهيّ بأنَّ التكفيرَ والإيمانَ متعلّق بالعلم والقرار الإلهيّ، وأنَّ الله هو الذي يحدّد الكافر والمؤمن، ولا سلطة لبشر كي يصادر حكم الله قبل الحساب؛ لذلك عندما سئل عن الخوارج -الذين قاتلوه

١-المصدر نفسه

وكفّروه هل هم كفّار - أجاب:»من الكفر فرّوا... قيل: فمنافقون؟ قال... إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً

قيل فما هم؟

قال: هم قوم أصابتهم فتنة، فعموا وصموا، وبغوا علينا، وقاتلوا فقاتلناهم، وقال لهم: لكم علينا ثلاث: لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله، ولا نبدأكم بقتال، ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم معنا».

وهذا درس وعظة لكل المسلمين مهما تغيّر الزمان والمكان حتى ظهور الإمام المهدي(عجّل الله فرجه) بوجوب عدم التكفير، لاسيّما داخل المذهب الواحد والدين الواحد، فاذا ما تعارض رأي مع رأي أو اجتهاد مع اجتهاد، فليس من الحكم الشرعي أن يتم تكفير الآخر لتناقضه معك في السياسة أو الاجتهاد الجزئي.

القاعدة الرابعة عشرة: النصر من الله سبحانه.

النصر أمر تكفّله الله سبحانه لمن ينصره بعد توفير واعداد السبل الماديَّة من القوة اللازمة للنصر، فإنَّ الاعتقاد الرئيس المطلق والحصري، للنصر دون أي شك أو تشويش بانه من الله ﴿**وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**﴾ [1] وان مسالة «انتصار» الفرد أو الجماعة نتيجة تبادلية لنصرهم لله بالقلب واليد واللسان، وصولاً إلى التضحية بالمال والأنفس وكل ما يملكون ﴿**وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**...[2]﴾ وفي حال حدوث أي تشويش عقدي لهذه المعادلة التباديليَّة تؤدي إلى ظنّ الفرد والجماعة أنَّهم قادرون على النصر بقوتهم وعديدهم، فتكون مقدّمة حتميَّة للهزيمة وفي التاريخ الإسلامي شواهد كثيرة، فمن قاتل في سبيل الله انتصر ولا يزال منتصراً حتى الآن حتى لو استشهد ومن انتصر لغير الله ولنفسه ولأسرته أو قبيلته أو قوميته، فقد باد وغاب عن التاريخ وتحوّل إلى مهزوم ملعون!

القاعدة الخامسة عشرة: الرحمة والرعاية للرعيّة.

(وأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ والْمَحَبَّةَ لَهُمْ واللُّطْفَ بِهِمْ ولا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ)[3]

١-سورة الأنفال-آية رقم ١٠.
٢-سورة الحج -يية رقم ٤٠.
٣-عهد الأشتر.

وجوب معاملة الرعية والناس من منطلق الأخوة في الدين أو النظارة في الخلق من دون تمييز عرقي أو قومي أو على أساس النسب واللون انطلاقاً من الحديث النبوي» يا أيُّها الناسُ إنَّ ربَّكمْ واحِدٌ ألا لا فضلَ لِعربِيٍّ على عجَمِيٍّ ولا لِعجَمِيٍّ على عربيٍّ ولا لأحمرَ على أسْودَ ولا لأسودَ على أحمرَ إلَّا بالتَّقوَى إنَّ أكرَمكمْ عند الله أتْقاكُمْ»، وعدم الوثوب إلى العقاب القاسي عند أي خلل أو زلل يقوم به فرد أو جماعة، بل سلوك طريق العفو والصفح كالذي تطلبه من الله سبحانه وتعالى عندما تُذنب أو تخالف أو تقصر، فتستغفر وتطلب وتدعو الله سبحانه أن يتجاوز ويغفر لك عن الذنب وتذكر أن الله عينك لتكون فوقهم في القرار والإمرة وفوقك واليك الذي عيّنك والله فوق من ولاّك، فإن اخطأت بحقهم بسبب الالتباس والخطأ في فهم السلطة والقوة، فيمكن أن يعاقبك الذي فوقك وإن أخطأ، سيعاقبه الذي فوقك وفوقه وفوق البشر جميعا(الله)، وبخلاف ذلك نصبت نفسك لحرب الله ومعاداته، وإن زللت فستبوء بغضبه وتخسر عفوه ورحمته فيحاكمك بعدله وان حكمك بعدله دون رحمته فستكون من الخاسرين حتى تنقذك رحمه الله...

القاعدة السادسة عشرة: انصاف العامة.

(وإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ وجِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ والْعُدَّةُ لِلأعْدَاءِ الْعَامَّةُ مِنَ الأمَّةِ فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ لَهُمْ ومَيْلُكَ مَعَهُمْ).

أوصى الإمام عليّ عليه السلام كلَّ حاكم ومسؤول أن يعطي رعايته ويوجهها «للعامة» من الناس لأنّهم عماد الدين وأنصاره وجنوده والذين يبادرون للتضحية والفداء والقتال والجهاد خلاف «الخاصة «التي تقطف ثمار الحكم من تجارة وجاه ومناصب، وأنَّ على الحاكم إذا تزاحم سخط العامَّة مع سخط الخاصَّة، فعلى الحاكم أن يبادر إلى إرضاء العامَّة؛ لأنَّ سخط الخاصة يعدّ إرضاء للعامَّة، وان انعكس الأمر، بحيث انحاز الحاكم إلى رضا الخاصَّة التي تمثل عبئاً على الحاكم الذي يؤمن مؤونتها في الرخاء ولا تساعده عند البلاء والضراء، وان اعطاها لا تشكر وان منعها فإنَّها تنفضّ عنه وتنحاز إلى خصومه، ولا تصبر على مدلهمات الامور أو ضياع التجارة وخسارتها، فهي تأخذ ولا تعطي،بينما ديدن العامة ومنهجها،هو أن تعطي مقابل أن لا تأخذ أو تأخذ القليل والفقراء من العامَّة هم رجال الله في الميدان وفي كل حراك دفاعاً عن الدين وفي كل مناسبة أو

مجلس يحيى به ذكر الإسلام والصالحين.

القاعدة السابعة عشرة: رعاية كل طبقات الرعية.

(واعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إلا ببَعْضٍ ولا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ فَمِنْهَا جُنُودُ اللهِ ومِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ والْخَاصَّةِ ومِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ ومِنْهَا عُمَّالُ الإنْصَافِ والرِّفْقِ ومِنْهَا أَهْلُ الْجِزْيَةِ والْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ ومُسْلِمَةِ النَّاسِ ومِنْهَا التُّجَّارُ وأَهْلُ الصِّنَاعَاتِ وَ مِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ والْمَسْكَنَةِ وكُلٌّ قَدْ سَمَّى اللهُ لَهُ سَهْمَهُ ووَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَةً فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ عَهْداً مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظاً).

أوصى أمير المؤمنين بوجوب التخطيط الشامل الذي يراعي كلّ طبقات المجتمع من دون إعطاء حق لفئة على حساب فئة أخرى، فالمجتمع قائم على دائرة التكامل والتعاون وتأمين مقوّمات العيش والعمل لكلِّ افراده، فإذا تعطلت مصالح فئة من هذه الفئات، نتيجة ظلم أو ضرائب أو قرارات، فإنَّها ستؤثر في العدالة الاجتماعيَّة من جهة وعلى زعزعة الدورة الاقتصاديَّة للمجتمع.

القاعدة الثامنة عشرة: تعيين القضاة.

(اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ... مِمَّنْ لا يَزْدَهِيهِ إطْرَاءٌ ولا يَسْتَمِيلُهُ إغْرَاءٌ وأُولَئِكَ قَلِيلٌ)

أوصى الإمامُ عليّ بضرورة اختيار أصحاب النفوس المحصّنة من الأهواء والإغراء وأصحاب الشهوة الذين لا يبيعون العدل بهدية أو رشوة أو متاع أو مصلحة خاصة؛ ولأنّ للقاضي حرية القرار والحكم على المتهم براءة أو ادانة، فلابدَّ من اختيار الأشخاص الذين يتّقون الله ويحكمون بالعدل مع اخباره بأنَّ هؤلاء ليسوا كثرة بل فئة قليلة، ولابدَّ من التفتيش عنها والتدقيق والتحقيق بمواصفات وسلوكيّات من يتم تعيينه قاضياً بين الناس لضمان العدالة والإنصاف وحماية الحقوق ومعاقبة المذنب لإعمام الأمن والاستقرار الاجتماعي.

القاعدة التاسعة عشرة:توظيف الأكفأ

(فَاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِبَاراً ولا تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وأَثَرَةً... وتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ والْحَيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ والْقَدَمِ فِي الإسْلامِ الْمُتَقَدِّمَةِ)[1]

إنَّ التوصية بتوظيف وتعيين أبناء

١-عهد الاشتر.

البيوت الصالحة والمؤمنة، ليس اعتماداً على التمييز الطبقي أو العنصري أو بعنوان التفاضل بالدين نتيجة النسب؛ بل من باب أنَّ البيت الصالح يمثّل حاضنة تربويَّة ودينيَّة للطفل، ويضعه في دائرة القيم والأخلاق الحسنة، والسلوكيَّات المنسجمة مع الدين وأحكامه وأوامره ونواهيه، فضلاً عن أنَّ أصحابَ التجربة والخبرة يمكن أن يوفّروا على الدولة وعلى الناس الخسائر والهفوات التي تهدر الأموال وتقتل النفوس وتضيّع التعب، فيصبح المجتمع ساحة تجارب تعيق تقدمه، وربما تؤدّي إلى فقدان الثقة بحكمة وعقلانيّة وعلم ومعرفة الحاكم، مما يجعل الناس تتردد في طاعته وصولاً لرفض تنفيذ أوامره لما لاقته من خسارات في تجاربها السابقة.

القاعدة العشرون: الإثراء غير المشروع:

يعدّ الإمام علي أول حاكم أو مسؤول يصرّح عن ثروته عند استلامه السلطة، الذي أُعتمد في الدول الحديثة لتبيان مدى استغلال السلطة والنفوذ والإثراء غير المشروع، إذ صرّح عند استلامه الخلافة عن ممتلكاته وطلب من الناس محاسبته إن خرج من السلطة بغير ما أتى به عند وصوله للكوفة؟، إذ خاطب أهل الكوفة: «يا أهل الكوفة إذا أنا خرجت من عندكم بغير راحلتي ورحلي وغلامي فلان، فأنا خائن، وكانت نفقته تأتيه من غلته بالمدينة بينبع وكان يطعم الناس الخبز واللحم ويأكل هو الثريد بالزيت"[1]، ووصل به الأمر إلى إطفاء شمعة بيت المال للتحادث في أمر خاصّ مع أحد الزوار تحت ضوء القمر..!

ويقول وهو الصادق (فَوَ اللهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْرًا ولَا ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْرًا ولَا أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْرًا ولَا حُزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شِبْرًا ولَا أَخَذْتُ مِنْه إِلَّا كَقُوتِ أَتَانٍ دَبِرَةٍ ولَهِيَ فِي عَيْنِي أَوْهَى وأَوْهَنُ مِنْ عَفْصَةٍ مَقِرَةٍ).

القاعدة الحادية والعشرون: عدالة الضّرائب.

(وتَفَقَّدْ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وصَلَاحِهِمْ صَلَاحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ ولا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلا بِهِمْ لأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وأَهْلِهِ ولْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ لأَنَّ ذَلِكَ لا يُدْرَكُ إِلا بِالْعِمَارَةِ ومَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلادَ وأَهْلَكَ الْعِبَادَ).

١- المجلسي بحار الأنوار ٤١/ ١٣٤.

إنَّ هدفَ تحصيل الخراج والضّرائب من عامَّة الناس يكون لتأمين مصارفات الدولة وخدماتها العامَّة من الحماية والانضباط وتنفيذ المشاريع العامة وإعمار الأرض وتطوير الخدمات في ضمن علاقة تبادليَّة بين الناس والحاكمي(ممثلاً للسلطة)، إذ يدفع الناس الضّرائب مساهمةً تعاونيَّة عامَّة، من دون إرهاق أو ظلم أو تمييز بين المكلفين، فلا يتم إعفاء بعضهم وتكليف بعضهم الآخر، وإذا ما وصلت القوانين لإرهاق الناس نتيجة الفساد أو سوء الإدارة أو الاختلاس، فعلى الحاكم أن يعيد تصويب الأمر إلى وجهته الأساسيَّة من إعمار الأرض وبناء الدولة وتأمين الخدمات لا أن تذهب إلى جيوب الحاكم سواء أكانت مالاً شرعيّاً من الخمس والزكاة والصدقات أم كانت ضريبة ماليَّة إداريَّة، فهي ملك العامة(الشعب) والحاكم له وكالة الإدراة والصرف..وليس مالكاً لها!

القاعدة الثانية والعشرون: منع الاحتكار..

(فَامْنَعْ مِنَ الاحْتِكَارِ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَنَعَ مِنْهُ ولْيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً بِمَوَازِينِ عَدْلٍ وأَسْعَارٍ لا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ والْمُبْتَاعِ فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَنَكِّلْ بِهِ وعَاقِبْهُ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ)[1].

إنَّ أسوء سلوكيَّات التجَّار ما يعرف باحتكار السلع والمواد المتنوّعة التي يحتاجها الناس سواء في ظروف الحرب أم الجفاف، ابتغاء رفع أسعارها والتحكّم بحاجات الناس ومطالب معيشتها الضروريَّة وقد يتسبب الاحتكار باستنزاف قدرات الناس الماليَّة ومنعهم من بعض السلع والحاجات أو الدواء والذي يمكن أن يسبب لهم الجوع والمرض مع توفر هذه البضاعة، فإنَّ تقاعس الحاكم وأجهزته عن قمع هذا السلوك اللاأخلاقي، فإنَّه يسهم في فساد المنظومة التجاريَّة ويزعزع الأعصاب الاجتماعي للناس ويحدث والفوضى، ولابدَّ أن يكون التاجر مستقيماً وملتزماً بالحكم الشرعي الذي يمنع الاحتكار على وفق النص النبوي والإمامي، وعلى الحاكم أن تكون له أجهزة الرقابة لقمع المخالفين ومعاقبتهم.

القاعدة الثالثة والعشرون: استقبال ذوي الحاجات الخاصة.

«واجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ وتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً

١-عهد الأشتر.

عَامّاً فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ للهِ الَّذِي خَلَقَكَ وتُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وشُرَطِكَ حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ».

إنَّ الاستماعَ لحاجات الناس الخاصَّة مع حفظ ماء الوجه وعدم إذاعه السرّ حفظاً للكرامات وللأسرار، هي من واجبات الحاكم والمسؤول، بأن يخصص مجلساً مفتوحاً على وفق الإمكانيَّة والاستطاعة بشكل أسبوعي أو دوري لمعرفة أحوال الناس من أفواههم وعدم الاتّكال على العيون والعسس والمخبرين، وإذا لم يستطع فيمكن أن يكون له وكلاء ثقة يستمعون لحاجات الناس لحلِّها ومعالجتها بشكل سري(من دون حرج أو صعوبة أو خوف من القول والبوح) من دون معرفة الآخرين، فلكلِّ فرد خصوصياته وحاجاته ومشاكله الخاصة التي لا ترتبط بحاجات ومشاكل الناس العامة، وإنَّ معالجة الحالات الفرديَّة في المجتمع في ضمن إطار اقتلاع بؤر الضرر وسد الثغرات كاقتلاع الشوك من حقل القمح؛ للحفاظ على الأمن الاجتماعي والنفسي في ضمن الإطار الذي يوصي به الإسلام.

القاعدة الرابعة والعشرون: الالتزام بالحق وعدم التمييز.

(وأَلْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ والْبَعِيدِ وكُنْ فِي ذَلِكَ صَابِراً مُحْتَسِباً وَاقِعاً ذَلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ وابْتَغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ فَإِنَّ مَغَبَّةَ ذَلِكَ مَحْمُودَةٌ).

وفقا للأمر الإلهيّ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ للهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أو الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِنَّ يَكُنْ غَنِيًّا أو فَقِيرًا فَاللهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِنْ تَلْوُوا أو تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾ [1].

إنَّ انحياز «الحاكم» للحق من دون اعتبار للقرابة أو المصلحة أو الجنس أو القوميَّة أو الدين هو من واجبات الحاكم الرسالي، مع ضرورة وحسن البدء بإلزام نفسه وإعطاء الحق لصاحبه حتى لو كان مناقضاً لمصلحة الحاكم أو بطانته أو أسرته أو قرابته؛ لأنَّ الانحياز للحقّ وإنْ ترتب عليه خسارة ماديَّة أو معنويَّة في الدنيا، فإنَّها الأكثر سلامة وربحاً في الآخرة،

١- سورة النساء-آية رقم ١٣٥.

وإذا انحاز الحاكم للحق وأيّده، كان مثالاً وأنموذجاً وحجّة على الناس بأن يلتزموا الحق، فإذا أصدر قراراً بإعادة حق لصاحبه، وجب على الناس القبول؛ لأنّه بدأ بنفسه من دون انحياز، وإعطاء كلّ ذي حقّ حقّه يرفع الظلم ويحقّق العدالة والمساواة، مما يحصّن المجتمع والحكم معاً، ولا يكون هنا أي مسوّغ لأي فرد أو جماعة -تعيش تحت سلطة الحاكم- أن تنتفض عليه أو أن تكون من أعوان خصومه؛ لإقالته والانقلاب عليه.

القاعدة الخامسة والعشرون: المسؤولية والرعاية الشاملة

(اتَّقُوا اللهَ فِي عِبَادِهِ وبِلادِهِ فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ والْبَهَائِمِ)[1].

إنَّ مسؤولية الحاكم والمسؤول تشمل رعاية المنظومة الكاملة للحياة من البشر والحيوان والطبيعة، البشر (الرعية) سواء أكانوا مؤيدين ومبايعين أو غير مؤيدين وحتى المؤمنين والكافرين أو من أهل الذمة على المستوى الإنساني، على وفق النص القرآني: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾، وتشمل رعاية الحاكم والمسؤول كلّ ما يتعلّق بالحيوان والطيور وكلّ دابة على الأرض على اختلاف أجناسها وأنواعها، فضلاً عن حفظ البيئة وعدم إفساد الماء أو الهواء أو إحراق الشجر؛ لحفظها بما يؤمن حاجات الجيل الحاضر والأجيال المستقبليَّة، فالحاكم راع لرعيته، وكلّ ما يتعلّق بها من طير وحيوان ونبات وشجر وماء وفضاء وكل ما خلقه الله لإحداث التوازن الطبيعي على وفق الإتقان والإبداع الإلهيّ للخلق وما يحتاجه البشر؛ لذا فقد شملت بعض الأحكام الشرعيَّة حقوق الدواب من الخيل وغيرها وتأمين غذائها وعدم إرهاقها وصولاً أن بعض الأوقاف شملت تأمين مراعي للحيوانات المريضة أو التي هرمت ولا يمكن الاستفادة منها.

القاعدة السادسة والعشرون: منع الرشوة وشراء الحق.

(أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ مَنَعُوا النَّاسَ الْحَقَّ فَاشْتَرَوْهُ وأَخَذُوهُمْ بِالْبَاطِلِ فَاقْتَدَوْهُ)[2]

من الأمور التي تعترض الناس في تحصيل حقوقهم، هو فساد الحاكم أو المسؤول المختصّ أو السلطة، بما يعرف الآن باسم الحكومة أو الوزارة، إذ يضطر

١-نهج البلاغة-خطب الامام علي عليه السلام-ج٢-ص٨٠.
٢-(ومن كتاب له عليه السلام لما استخلف إلى أمراء الأجناد.

صاحب الحق أن يشتري حقّه (وظيفة أو راتباً أو قضية في محكمة أو قبولاً في جامعة وغيرها) من السلطة أو من المسؤول بعنوان الرشوة أو الهدية أو «الإكرامية» حتى يقوم هذا المسؤول وهذه الحكومة بإعطائه هذا الحق المسلوب وينبّه أمير المؤمنين إلى وجوب عدم سلوك هذا المسلك الفاسد الذي يعدّ معصية لله ورسوله وإفساداً في الأرض وكسباً للمال الحرام، وما له من تأثيرات في قبول العبادات من الصلاة والصيام والحج والصدقة وغيرها وأنّه يؤدي إلى هلاك الفرد أو الجماعة أو السلطة التي تسلكه، وحتى لا يصبح هذا الباطل قدوةً وسلوكاً ومنهجاً، بما يخالف المنظومة العامَّة للإسلام ويلغي منظومته الأخلاقيَّة والتربويَّة والسلوكيَّة، مع أنّ الرسولَ الأكرم صلى الله عليه وآله قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق»، ولابدَّ من إعمام ثقافة إعطاء الحق لأصحابه من دون بدل أو أجرة، مهما كانت تسميتها للالتفاف على الحكم والتوصيف الشرعي بعنوان الهدية غير المفروضة، لكنها في الحقيقة مفروضة بشكل غير مباشر.

ويروى أنَّه استعمل رجلاً من بني أسد يقال له: «ضبيعة بن زهير»، فلمّا قضى عمله أتى بجراب فيه مال، فقال: يا أمير المؤمنين...، إنّ قوماً كانوا يهدون لي حتى اجتمع منه مال فها هو ذا...فإن كان لي حلالاً أكلته، وإن كان غير ذاك فقد أتيتك به فقال عليّ عليه السلام: «لو أمسكته لكان غلولاً(خيانة). فقبضه منه وجعله في بيت المال"[1].

القاعدة السابعة والعشرون: الوفاء بالعهود.

(وإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وبَيْنَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً فَحُطْ عَهْدَكَ بِالْوَفَاءِ وارْعَ ذِمَّتَكَ بِالأَمَانَةِ).

إنَّ الوفاءَ بالعهد وعدم الغدر أو فسخ العقود على مستوى الفرد أو الجماعة أو الأمَّة، بشخص الحاكم أو الخليفة أو الوالي، أمور لابدَّ من مراعاتها والالتزام بها وفق النص القرآني: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾، وهنا يعمم الإمام ثقافة التفاوض والالتزام بالعقود والعهود والمعاهدات، طالما انه تم التوقيع عليها طواعية من دون إكراه وإعطاء الصورة الإيجابيَّة عن الفرد المسلم أو الجماعة المسلمة، فإنْ أعطت الأمان صدّقها الناس، وإنْ أعطت الأمان فإنَّها لا تغدر ولا تخون، سواء أكان العهد مع خصم أم عدو أو صديق، وهذه هي سنَّة النبوي الأكرم صلى الله عليه وآله عندما وقع المعاهدات

١-موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ج ٤، ص ١٥٥ نقلاً عن أخبار القضاة، ج ١، ص ٥٩.

مع أعدائه وضمن لهم الحماية وحريّة التصرّف بالمال وحريّة الحركة.

وقد تعرّض أمير المؤمنين، لنقض العهود من بعض المسلمين، وكذلك ابنه الإمام الحسن الذي وقع الصلح مع معاوية، فمزّقه ولم يلتزم به، وكذلك فعل أهل الكوفة بخيانتهم للمواثيق والعهود التي حملتها رسائلهم إلى الإمام الحسين، تدعوه للقدوم إلى الكوفة؛ لإصلاح الأمر، ومع ذلك يؤكّد أمير المؤمنين أنّه إذا اعتمد الخصم أو العدو نهج الغدر ونقض العهود، فعلى المسلم أن يبقى ملتزماً؛ لأنّها من أساسيات وعناصر الشخصيّة الإسلاميّة الرساليّة.

القاعدة الثامنة والعشرون: عدم سفك الدماء.

(إِيَّاكَ والدِّمَاءَ وسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى لِنِقْمَةٍ ولا أَعْظَمَ لِتَبِعَةٍ ولا أَحْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ وانْقِطَاعِ مُدَّةٍ مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا واللهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِئٌ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

إنَّ سفكَ الدماء وقتل الأنفس (من دون سبب شرعي) من الذنوب الكبرى في الإسلام، قال تعالى: ﴿**مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا**﴾، «ودم المسلم على المسلمين حرام..»، وكذلك الذمّي وكلّ إنسان لا حقّ لك عنده، أو لم يكن معتدياً عليك أو ظالماً لك.

وسفكُ الدماء نهج تاريخي عند كلّ الحكّام والملوك والفراعنة، عقاباً عن عدم الطاعة أو لقمع التمرّد على الحاكم أو ترهيباً لجماعة لتخويف ما تبقى منها أو خوفاً من خطر قادم كما فعل فرعون بقتل الأطفال حماية لنفسه من ولادة «الطفل» الذي صار النبي موسى عليه السلام وسفك الدماء بدون حق استدعاء للنقمة على الفاعل وسلب للنعمة والسلطة منه ولقد كان الإمام حريصاً على ألا يبدأ القتال في أي معركة لاسيَّما المعارك بين المسلمين في(صفين والنهروان والجمل..) ولكن كان يتركهم ليبدأوا القتال، فيصبح قتاله دفاعاً عن النفس حتى لا يتحمّل وزر الدماء المسفوكة.

القاعدة التاسعة والعشرون: عدم المنّ على الرعيّة.

(وإِيَّاكَ والْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ أَوِ التَّزَيُّدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الإِحْسَانَ والتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ).

على الحاكم أو المسؤول أو الموظف أو القاضي وعالم الدين، مهما كانت رتبته ألّا يمنّن أهله بما أعطاهم وأحسن إليهم من عدل وحسن حكم وإدارة ومشاريع، وألّا يُخلف عهوده ومواعيده ومواقيته حتى لا يقع في دائرة المقت والغضب الإلهيّ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾ [1] وان يُتبع قولَه بفعل وتنفيذ ما وعد فإنَّ المنَّ على الرعيَّة يُذهب ثواب الإحسان إليها، وإنَّ خيانة العهد وعدم الوفاء بما وعد يسلبه نور الحق ويُدخله في دائرة الباطل والتضليل، مما يستجلب حقد الرعيَّة عليه وعدم احترام مواثيقه وعدم تصديقه ويتحوّل إلى الحاكم الكاذب أو المسؤول الكاذب، فيحفر خندقاً بينه وبين الرّعيّة، ويقع الفراق بينهما، مما يؤدي إلى الخصومة والنزاع، فتُسفك الدماء وتُنتهك الأعراض وتُسلب الأموال ثم يزول حكمه.

القاعدة الثلاثون: عدم الاستئثار بالوظائف.

(وإِيَّاكَ والاسْتِئْثَارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ)

من الموبقات والأخطاء القاتلة التي يقع فيها الحاكم إذا كان شخصاً أو إذا كان حزباً أو طائفة أو قومية، أنَّه يستأثر بوظائف الحكم لبطانته وأنصاره ومؤيديه، سواءً أكانوا أصحاب كفاءة وعلم وخبرة أم لم يكونوا، على وفق ما تتطلب الوظيفة، فيكفي الانتماء بالنسب أو بالدين أو بالانتساب التنظيمي، ليحتل هؤلاء كلّ الوظائف ويمنع الناس الآخرين الذين تجمعهم المساواة وتكافؤ الفرص، فيظلم الحاكم أو الجهة الحاكمة جزءاً كبيراً من رعيتها ويتحوّل من حاكم للجماعة إلى حاكم باسم أسرته أو حزبه أو طائفته، وتتحوّل بقيه الرعية إلى عبيد يعملون عند الجهة الحاكمة وبطانتها، مثال الأنظمة العنصريَّة أو الطائفيَّة في العالم العربي أو الحزبيَّة أو حتى الأحزاب في ضمن الطائفة أو المذهب الواحد، إذ يصادر التنظيم حصة الطائفة التي يمثلها ويعطيها لأنصاره، وهذا مخالف للشرع الإلهيّ وللعدالة بين الناس، مما يستجلب النزاع وانحسار التأييد للحاكم أو التنظيم أو الجماعة ويفتح النوافذ والابواب أمام أي رياح خارجيَّة، تعصف بالحاكم والجهة الحاكمة؛ لأنَّ العامَّة المتضرّرة من الناس بسبب التمييز والاستئثار، ستكون إمّا ذراعاً بمواجهة الحاكم أو على الحياد بانتظار سقوطه.

١- سورة الصف-الآية رقم٢.

أعطى أمير المؤمنين المثال على عدم إيثار أو تمييز أهله فيقول لأخيه عقيل، الذي جاء يطلب شيئاً فوق نصيبه من بيت المال، فيقول له الإمام: «إذا خرج عطائي فهو لك». فقال عقيل: «وما يبلغ مني عطاؤك»، فأسرّها الإمام في نفسه، وأعطاه وأعطانا درساً بليغاً، فأحمى حديدة قرّبها منه فضجّ عقيل منها، فقال الإمام: «ثكلتك الثواكل يا عقيل، أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه، وتجرني إلى نار سجّرها جبارها لغضبه، أتئن من أذى، ولا أئن من لظى».

القاعدة: الواحدة والثلاثون: وضوح الموقف.

(والتَّغَابِيَ عَمَّا تُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ فَإِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ وعَمَّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ عَنْكَ أَغْطِيَةُ الأُمُورِ ويُنْتَصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ).

ينهى أمير المؤمنين أي حاكم أو جهة حاكمة أو مسؤول عن سياسة الخداع والتضليل وكتمان الحقائق وعدم كشف الأمور وتوضيحها، سواء أكانت حسنة أم سيئة، كانت خطأً أم صواباً، واجتناب أي محاولة تغيير الحقيقة لعدم إثارة الناس وإسكاتها، سواء بإصدار قرارات تضر بمصلحتهم أم معاهدات أو مواقف سياسيَّة أو عقائديَّة تضرّ بالإسلام وأهله، ويحذر الحاكم أو الجهة الحاكمة أنَّه ستنكشف الحقائق في لحظة ما وأنَّ ما غاب عن الناس يوم أمس، سينكشف يوم غد أو بعده، وإذا انكشفت الحقائق، فسيبادر المظلوم أو المخدوع لاستعادة حقّه ومحاسبة من خدعه.

إنَّ المصداقيَّة والوضوح والصدق في القول من صفات الحاكم القوي والواثق بنفسه والمُطيع لله ورسوله؛ لأنَّ المؤمن لا يكذب.

القاعدة: الثانية والثلاثون: المساواة بين الرعية.

(فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ وأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ وابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ والنَّظْرَةِ حَتَّى لا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ ولا يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ)[1].

إنَّ المساواة بين الرعية بين أغنيائها وفقرائها، وزيرها وجنديها، ذكورها وإناثها، واجب شرعي وأخلاقي على الحاكم بإظهار الوجه الليّن والمتسامح

١- ومن عهده عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر حين قلده مصر.

اللطيف برعيته، وألّا يكون ممّن يتّبعون التمييز بين الرعية، فتكون الرعية طبقتين: عليا وسفلى، ومنهم من يتم استقباله وبعضهم يتم الاحتجاب عنه وضرورة التنبّه إلى كيفيه المساواة ليس بالعطاء المالي أو الخدمات فقط حتى بالكلمة، أو الابتسامة، أو الزيارة، أو تفقد الأحوال حتى يتم إضاءة الأمل في عيون المظلومين والفقراء، بأنَّ هناك جسراً يُوصل إلى الحاكم، لرفع المظلوميَّة أو قضاء الحاجة، ولابدَّ من تهديم الجسور والأسوار بين قصر الحكم وأحياء الناس الفقيرة وأسواق الباعة والتجار والمصلين في المساجد، فالناس سواسية، كأسنان المشط، ولا فضل لعربي على أعجمي، ولا لقبيلة على قبيلة، ولا لصاحب مال على فقير أو مسكين.

القاعدة الثالثة والثلاثون: تنقية العلاقات.

(واعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلاتِكَ، وَمِنْها فَإِنَّهُ لا سَوَاءَ إِمَامُ الْهُدَى وإِمَامُ الرَّدَى ووَلِيُّ النَّبِيِّ وعَدُوُّ النَّبِيِّ ولَقَدْ قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله إِنِّي لا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِناً ولا مُشْرِكاً أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللهُ بِإِيمَانِهِ وأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللهُ بِشِرْكِهِ ولَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقٍ).

يقع الحكّام والمسؤولون ومن يتسنمون لقباً أو سلطة دينيَّة أو زمنيَّة في فخ المجاملات والعلاقات الاجتماعيَّة التي تطلبها المواقع أو الأهواء الشخصيَّة والمصالح، فيختلط عليهم التمييز بين مستوى العلاقات، بين المؤمن والكافر، بين الصالح والفاسد، بين المنافق والصادق؛ ولأنَّ هذه المنظومة من المخادعين تكون أكثر مالاً وخبرة في استمالة الأشخاص، عبر استدراجهم لتأمين مصالحهم الضيقة، فيقع الحاكم في فخ مساواة أهل الهدى مع أهل الظلام، وأهل الخير مع أهل الشر والسوء، وبعضهم يقدّم أهل الضلالة والفساد والنفاق على أهل الإيمان والصلاح والتقوى، بحجّة أن هؤلاء يمثّلون مفاصل اجتماعيَّة وسياسيَّة وماليَّة نحن بحاجة إليها وعلى وفق المقولة: (اليد التي تعطي ليس كاليد التي تأخذ)، فأكثر الأيدي التي تعطي القليل، تعود وتأخذ الكثير الكثير لمصالحها.

القاعدة الرابعة والثلاثون: الاثراء غير المشروع.

وكان أمير المؤمنين يُلزم نفسه بشكل صارم لعدم الإسراف والزهد حتى الحافة من الفقر والجوع والعمل لتحصيل قوته، مؤكّداً على وجوب أن يكون الحاكمُ أنموذجاً ومثالاً للعامَّة من الناس الفقراء

والضعفاء، فيقول: «إِنَّ اللهَّ تَعَالَى فَرَضَ عَلَى أَئِمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ كَيْلا يَتَبَيَّغَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ»، ويراه الناس يرتعد من البرد وهو يرتدي (قطيفة سملة)، ويسأله: (يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهلك في هذا المال نصيباً، ثم أنت تفعل هذا بنفسك)، فيقول الإمام:»ما أرزأكم شيئاً.. وما هي إلا قطيفتي التي أخرجتها من المدينة".

القاعدة الخامسة والثلاثون:عدم فساد المصلح.

كثيراً ما يقع المصلح أو الثائر أو قائد حركة الإصلاح في فخ الفساد دون أن يدري أو يعلم، إذ تزل قدمه تحت عنوان الحفاظ على السلطة، فينحو لإقرار بعض الاصلاحات الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والماليَة على مرتكزات غير شرعيَّة وغير مشروعة، فيبادر مثلا للإصلاح الاقتصادي أو التعافي الاقتصادي الذي تكون نتائجه التضحية بالأعصاب والعدالة الاجتماعيَّة وتهديد مقومات العيش الكريم، فيتحوّل من قائد للإصلاح إلى فارض للضرائب أو لإقرار بعض التشريعات التي تُطلب أو تُفرض من الخارج وبحجّة عدم الوقوع في العزل الدولي أو في الحصار أو بعنوان التعايش والسلم الأهلي أو الإقليمي، فيبدأ بالتنازل عن أفكاره وتعديلها شيئاً فشيئاً ليتحوّل إلى شخصيَّة جديدة، لا تشابه الشخصيَّة التي حملت بندقيتها وصدحت حنجرتها بوجوب تأمين العدالة الاجتماعيَّة، وتكافؤ الفرص وحقوق المواطنين وحريتهم وضمان أمنهم وهذا هو أخطر نتائج « فساد المصلح»؛ لأنَّه سيعيق عملية الإصلاح ويجهض التجربة ويشكك بجدوى أي تجربة جديدة والأسوأ، إذا كان هذا «المصلح «يحمل فكراً دينياً، فإنه يحمّل الدين وزرَ أخطائه وعدم كفاءته وعدم تحصين نفسه أو سوء إدارة الحكم!.

القاعدة السادسة والثلاثون: المساواة بالعطاء..وعدم ربطه بالشأنية.

(ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ يرى أن الفضل له على من سواه لصحبته، فإن الفضل النير غدا عند الله، وثوابه وأجره على الله، وأيما رجل استجاب لله وللرسول فصدق ملتنا ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا، فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده، فأنتم عباد الله، والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية، لا فضل فيه لأحد على أحد، وللمتقين عند الله غدا أحسن الجزاء وأفضل الثواب، لم يجعل الله

الدنيا للمتقين أجرا ولا ثوابا وما عند الله خير للأبرار).

إنَّ التمييز بالعطاء والحقوق الشرعيَّة أو المناصب الوظيفيَّة، بعنوان «الشأنية» أو النسب أو المسؤولية والرتبة أو العمل الدعوي، مناف لمنهج الإمام عليّ والذي اعتمده بعد توليه الخلافة، فساوى بين القائد والجندي، وبين السيد والعبد الذي اعتقه قبل يوم(بثلاثة دنانير).

هناك آفة أُبتلي بها المجتمع الديني في ما عرف» بالشأنية» أو «علو المقام» عند بعضهم، مما استدعى أن تكون له شقة فاخرة، أو قصر أو منزل واسع وحدائق، وأن يكون له من السيارات فوق حاجته بحجّة الأعصاب أو الجاه، وحتى الصرف من الأموال الشرعيَّة، فإنَّه يتخطَّى ما تعيشه العامَّة، بحيث يصبح المستلم للمال الشرعي هو الوكيل الذي يعطي نفسه، فيميّزها من الفقير، الذي يعطيه «فتات» المال الشرعي ويأخذ لنفسه «عسل» المال الشرعي (وليست قاعدة عامة بل هناك بعض الاستثناءات والنماذج الجميلة عن زهد العلماء والمراجع وبعض المسؤولين المجاهدين).

إنَّ هذا التصرفَ مخالف للسنّة النبويَّة والإماميَّة. ويوضّح أمير المؤمنين أن من عمل في سبيل الله ومن قاتل في سبيل الله، فأجره على الله في الآخرة ويلقى ثواب عمله وجروحه أو حتى شهادته من الله سبحانه وتعالى وليس من بيت المال.

القاعدة السابعة والثلاثون: المال...مال الله.

(وَفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْتَ مِنْ خُزَّانِهِ حَتَّى تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ..)[1]

لا يجوز التصرّف بالمال العام سواء أكان مالاً شرعيّاً(الخمس والزكاة وكل السلسلة الماليَّة الشرعيَّة)، أو مالاً من الضّرائب والتجارة أو الجزية أو كل السلسلة المتعلّقة به، فالحاكم والمسؤول والفقيه أو عالم الدين «أمين المال وحارسه»، وليس مالكاً له يتصرّف به كما يشاء على نفسه وعائلته حتى طريقة توزيعه على المحتاجين.

القاعدة الثامنة والثلاثون: العدل والمودّة.

(وإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوُلاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلادِ وظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ وإِنَّهُ لا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلا بِسَلامَةِ صُدُورِهِمْ ولا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلا بِحِيطَتِهِمْ عَلَى وُلاةِ الأُمُورِ).

إنَّ تثبيتَ ركائز ونظام العدل وإعمامه بين الرعية وبناء علاقة المودة والاحترام والحرص بشكل تبادلي بين الحاكم ورعيته يعطيان قيمة مضافة من القوّة والاستقرار، فمودة الحاكم لرعيته تتمثّل بعدم إرهاقها

١-المصدر السابق.

بما لا تطيق، والعمل على تأمين وتوفير موارد معيشتها وأمنها الاجتماعي، تقابله الرعية بالنصرة والطاعة والمساهمة في تطوير الدولة والمجتمع والدفاع عن الانجازات وحماية الحاكم والحكم، فإذا اجتمع العدل والمودة رابطاً بين الطرفين يضاف لرابط الأخوة في الدين حصد الحاكم والرّعيّة النتائج الإيجابيَّة لهذه العلاقة التي تمنع كل نزاع وتستجلب التنازلات المتبادلة لمصلحه الطرفين.

القاعدة التاسعة والثلاثون: العبرة والاتعاظ ممن سبق وحكم.

على الحاكم أن يستعرض ويعرف تاريخ من سبقوه في الحكم وما فعلوه من عدل وجور؛ لأنَّ الناس سينظرون إلى الحاكم الجديد مقارنة وقياساً بما فعله الحاكم الماضي سواء أكان ظالماً أم عادلاً ويتعاملون معه على وفق ما قالوا ب بمن سلف، فإن ساعدوك وبايعوك للتغلب على حاكمهم لظلمه واستبداده سيعاونون ويبايعون من يحاربك للتخلص من ظلمك...إذا كنت ظالما وسيقاتلون معك ضد عدوك وخصمك ان كنت عادلا، فإن لم تتعظ غلبك جهلك وكتبت حكاية هزيمتك وفرّطت بما اعطاه الله اليك والحقت الخسارة بنفسك وبالإسلام.

القاعدة الأربعون:العفو عند المقدرة والسلطة.

(واكْظِمِ الْغَيْظَ وتَجَاوَزْ عِنْدَ الْمَقْدَرَةِ واحْلُمْ عِنْدَ الْغَضَبِ واصْفَحْ مَعَ الدَّوْلَةِ).

إنَّ كظمَ الغيظ من صفات الإنسان المؤمن، قال تعالى: ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[1] على الحاكم أو المسؤول أن يتمتع بهدوء الأعصاب وسعة الصدر وكظم غيضه، وعدم الانتقام أو الثأر والحلم عند الغضب والصفح عند المقدرة وامتلاك القوة أو الامساك بالسلطة وهذا هو نهج الرسول الأكرم ﷺ، عندما عاد إلى مكة فاتحاً، وسأله المشركون الذين حاصروه بشعاب مكة وهجّروه منها وآذوه ثم قاتلوه في كل المعارك، فقال لهم:

(اذهبوا فانتم الطلقاء).

إنَّ الحاكم الذي يستغل السلطة للتنكيل بمن خاصمه أو بمن يعارضه، فليتذكر القدرة الإلهيَّة عليه عند المعصية، فبدل أن يعاقبه الله ويؤذيه، فقد فتح له باب الاستغفار الدائم والتوبة النصوح والكفّارات التي تمحو الذنوب، قبل الوصول ليوم الحساب وعلى الحاكم أن يربّي نفسه على التسامح والعفو.

١-سورة آل عمران - آية رقم ١٣٤.

المراجع والمصادر

- القرآن الكريم.
- نهج البلاغة.
- الاستيعاب، ابن عبد البر.
- صحيح ابن ماجه
- الكافي –الشيخ الكليني.
- موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب و السُّنَّة و التّاريخ.
- تحف العقول.
- المجلسي–بحار الأنوار

واقعة الغدير

رسالة تعايش ووحدة واستقرار للأمة الإسلامية

م. هاشم محمد محمد باقر الباججي

مدير مركز الامام أمير المؤمنين عليه السلام
للدراسات والبحوث التخصصية

إمام الخليقة

مقدمة

الحمدُ لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمدٍ وعلى آله الغرّ الميامين.

إنَّ التعايشَ والاستقرارَ بين بني البشر جميعًا هو مدعاة إلى وضع مرغوب من الإخاء والتسامح بين كلّ الناس بصرف النظر عن أجناسهم وألوانهم ومعتقداتهم ، فالتعايش الإنساني في داخل المجتمع الواحد مطلوب موضوعيًّا واجتماعيًّا وحتى شرعيًّا، مهما اختلفت الأفكار والمفاهيم والعادات والتقاليد والقيم والمبادئ، والتعايش والتفاهم وقبول الآخر، يتم عن طريق التواصل بشكل مباشر، وبشكل يومي أو شبه يومي في القرية والمدينة والمُجتمع الواحد بشكل عام، ولا يجوز الهروب أو رفض هذا الواقع، الذي يضمّ في أكنافه تناقضات واختلافات عديدة، في وجهات النظر أو العقائد والمفاهيم وخلافه.

ويعدّ الإسلامُ دينَ التسامح والمحبَّة والسلام، وهو عقيدة قويّة تضمّ جميع الفضائل الاجتماعية والمحاسن الإنسانية؛ لذا أولى الإسلام قيمة للتعايش ومكانة مهمّة، وظلّت هذه القيمة سمة من سمات حضارة الإسلام عبر العصور والتاريخ، والتعايش مبدأ من المبادئ التي عمَّق الإسلامُ جذورها في نفوس المسلمين، وأصبحت جزءًا من كيانهم، وهو غاية الإسلام في الأرض، ومن مبادئ الإسلام الراسخة، وهو الأساس الثابت الذي تقوم عليه علاقة المسلم مع أهل الأديان، ومن هذا المبدأ تنبع رؤية الإسلام إلى التعامل مع غير المُسلمين، فلا تكتمل عقيدة الإسلام إلا إذا آمن بالرسل جميعًا، لا يفرق بين أحد منهم، وهذا هو البعد الإنساني الذي يعطي للتسامح في الإسلام مساحات واسعة، وواقعة الغدير قد أرست كثيرًا من مفاهيم الاستقرار والتعايش وضمان وحدة الأمَّة وهديها باتّباع الرسول الأكرم ﷺ.

المطلب الأول:

مفهوم التعايش المجتمعي في القرآن الكريم والسنّة النبويَّة الشريفة

أولاً: التعايش في اللغة والاصطلاح:

في اللغة: «تعايش يتعايش أي عاشوا على المودّة والعطاء وحسن الجوار، "تعايش الرفيقان في غربتهما على الألفة، تعايشت الدولتان تعايشا سلمياً، والتعايش السلمي بين الدول: الاتفاق

بينها على عـــدم الاعتداء. تعايـــش الناس: وجـــدوا في نفـــس الزمان والمـــكان»[1].

ويُعـــرّف التعايـــش الســـلمي في اللغـــة: «أنَّـه تعبـير مركّـب واضـح المعنـى، إذ يعنـي الاشـتراك في العيـش، وبهـذا يكـون التعايـش الســـلمي بمعنـــى العيـــش المشـــترك بـــين شـخصين فأكثـر عـلى أسـاس الـودّ والحـبّ والوئـام، وسـيرًا عـلى المعنـى اللغـوي تكـون كلمـــة الســـلمي وصفـــاً مؤكـــداً لطبيعـــة التعايـش، وهـو بصيغـة التفاعـل بـين أكثـر مـــن طـــرف صرفيـــاً التـــي تقتـــضي وتحتـــم التشـــارك في أمـــر مـــا»[2].

في الاصطـلاح: فهـو نبـذ الحـرب بوصفها وسـيلةً لتسـوية الخلافـات الدوليَّـة، واعتـماد المفاوضـــات والتفاهـــم المتبـــادل واحـــترام السـيادة للـدول الأخـرى والإقـرار بالتكافـؤ والمنفعـــة المتبادلـــة أساسًـــا في العلاقـــات الدوليَّـة؛ فضـلًا عـن احـترام الآخـر وعـدم اقصائـه وتهميشـه واسـتعمال مبـدأ الحـوار بـين الطرفـين وسـيلةً مهمـةً لتحقيـق التوافـق بـين الطرفـين[3].

ثانيًـا: أقسـام التعايـش: يُقسـم التعايـش عـلى أقسـام متعـددة هـي:

١ـ التعايش بين الأفراد.

٢ـ التعايـش بـين الزوجـين في الأسرة الواحـدة.

٣ـ التعايش بين الجماعات.

٤ـ التعايش بين الشعوب والدول.

وهـذا النـوع – الرابـع – مـن التعايـش هـو الـذي يركّـز فيـه القـرآن الكريـم في رؤيتـه لخريطـة العـالم العقديَّـة والسياسـيَّة، ففيـما يتّصـل بالعقيـدة إذ يؤكـد عـلى أنـه لا سـبيلَ لفـرض العقيـدة بالقـوّة، كـما في قولـه تعـالى: ﴿**لَا إِكْـرَاهَ فِي الدِّيـنِ قَـدْ تَبَـيَّنَ الرُّشْـدُ مِـنَ الْغَـيِّ**﴾[4]، أي لا تُكرهـوا أحـدًا عـلى الدخـول في ديـن الإسـلام، فإنـه بـيِّن واضـح جـلِيٌّ دلائلـه وبراهينـه.

ثالثًـا: مفهـوم التعايـش المجتمعـي في القـرآن الكريـم

تنـاول القـرآن الكريـم التعايـشَ بوصفـهِ صفـة أو خصيصـة مـن الصفـات والخصائص اللازمـة لـكلّ فـرد مسـلم ودعامـة أساسـيَّة مـن دعائـم التعايـش بـين أبنـاء المجتمـع الواحـد، وذلـك في آيـات عـدة، عـبّر عنـه

١ – معجم اللغة العربية المعاصرة ، د أحمد مختار عبد الحميد عمر ،ج ٢، ص ٥٣٨.
٢ – مبادئ التعايش السلمي في الإسلام منهجا وسيرة ، عبد العظيم إبراهيم ،ص ٨٩.
٣ – التعايش السلمي ، روحه وسلوكه في بناء الأمم والحضارات ، طارق رضوان ،ص ٥٤.
٤ – سورة البقرة ، اية ٢٥٦.

فيها بالعفو والحلم والصفح الجميل، وهنالك مجموعة من الآيات تدفع إلى إعلاء مبدأ التعايش داخل المجتمع بوصفه أسلوبًا يخطّه الإسلام ويعتمده في التعامل مع الذين لا يعتنقون أو يعتقدون بالإسلام.

إذ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [1]، ودلالة الآية كما يذكر السيد الطباطبائي في تفسيره، «وهذا غاية ما يمكن مراعاته من أصول الفضيلة وحفظ الكرامة ونشر الرحمة والرأفة وشرافة الإنسانيَّة اعتبره القرآن الكريم، وندب إليه الدين القويم»[2]، وجاء في الرواية أنَّ أحدَ المشركين (عبدة الأصنام) سأل عليًّا عليه السلام بعد إلغاء المعاهدة فقال: «يا ابن أبي طالب، لو أراد أحد أن يواجه النبي بعد هذه المدة « الأشهر الأربعة « ويسأله أو يسمع كلام الله منه، أهو آمن؟!، فقال علي عليه السلام: أجل، إن الله يقول: وإن أحد من المشركين استجارك فأجره»[3].

هكذا تبنى المجتمعات على التسامح والتعايش، وقد شرح ابن الجوزي الآية قائلًا: «وإنْ أحد من المشركين الذين أمرتك بقتلهم استأمنك يبتغي أن يسمع القرآن وينظر فيما أمر به ونهي عنه، فأجره، ثم أبلغه الموضع الذي يأمن فيه. وفي قوله تعالى: ذلك بأنهم قوم لا يعلمون قولان: أحدهما: أن المعنى: ذلك الذي أمرناك به من أن يعرفوا ويجاروا لجهلهم بالعلم. والثاني: ذلك الذي أمرناك به من رده إلى مأمنه إذا امتنع من الإيمان، لأنهم قوم جهلة بخطاب الله»[4].

٢- وقوله تعالى في موضع آخر: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [5]، ويمكن إدراك دلالة الآية عن طريق الروايتين الآتيتين: إذ قال الإمام الصادق عليه السلام: «(قولوا للناس حسنا)، أي للناس كلهم مؤمنهم ومخالفهم، أمَّا المؤمنون فيبسط لهم وجهه، وأمَّا المخالفون فيكلّمهم بالمداراة لاجتذابهم إلى الإيمان، فإنّ بأيسر من ذلك يكف شرورهم عن نفسه وعن إخوانه المؤمنين»[6]، وبذلك يعيش الجميع

١- سورة التوبة، الآية ٦
٢- تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج ٩، ص ١٥٤.
٣- تفسير البرهان، البحراني، ج٢، ص١٠٦.
٤- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ج٢، ص ٢٣٧.
٥- (سورة البقرة، الآية ٨٣)
٦- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٧١، ص ٣٤١.

بسلام، والأخرى: عن أبي جعفر عليه السلام، قال في قول الله عز وجل «(وقولوا للناس حسنا)، قال: قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال فيكم»[1]، وبذلك تنتشر المحبَّة بين المجتمع، قال السيوطي في تفسير هذه الآية: «وأخرج ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس في قوله: (وقولوا للناس حسنا)، قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمرهم أن يأمروا بلا إله إلا الله من لم يقلها». وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: (وقولوا للناس حسنا) قال: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن علي بن أبي طالب في قوله: (وقولوا للناس حسنا) قال: يعني الناس كلهم، وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن عطاء وأبي جعفر في قوله: (وقولوا للناس حسنا قالا: للناس كلهم، وأخرج أبو عبيد سعيد بن منصور وابن المنذر عن عبد الملك بن سليمان أن زيد بن ثابت كان يقرأ وقولوا للناس حسنا، وكان ابن مسعود يقرأ كذلك»[2].

٣- وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[3]، فقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام في دلالة هذه الآية: «المؤمن أخو المؤمن عينه، ودليله لا يخونه، ولا يظلمه، ولا يغشه، ولا يعده عدة فيخلفه»[4]، وعنه عليه السلام: «لأن أصلح بين اثنين أحبّ إلي من أن أتصدق بدينارين»[5].

ويذهب القرطبي في تفسيرها ثلاث مسائل: «الأولى: قوله تعالى: إنما المؤمنون إخوة أي في الدين والحرمة لا في النسب، ولهذا قيل: أخوة الدين أثبت من أخوة النسب، فإنَّ أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب.

الثانية: قوله تعالى: فأصلحوا بين أخويكم أي بين كلّ مسلمين تخاصما. وقيل: بين الأوس والخزرج، على ما تقدّم. وقال أبو علي:أراد بالأخوين الطائفتين; لأنّ لفظ التثنية يرد والمراد به الكثرة، كقوله تعالى: بل يداه مبسوطتان، وقال أبو عبيدة: أي أصلحوا بين كل أخوين، فهو آت على الجميع.

١- الكافي، الكليني، ج ٢، ص ١٦٥.
٢- الدر المنثور، السيوطي، ٢١٠.
٣- (سورة الحجرات:١٠)
٤- الكافي، الكليني، ج ٢، ص ١٦٥.
٥- المصدر نفسه، ص٢٠٩.

الثالثة: في هذه الآية والتي قبلها دليل على أنَّ البغي لا يزيل اسم الإيمان؛ لأن الله تعالى سماهم إخوة مؤمنين مع كونهم باغين. قال الحارث الأعور: سئل علي بن أبي طالب - عليه السلام - وهو القدوة عن قتال أهل البغي من أهل الجمل وصفين : أمشركون هم ؟ قال: لا ، من الشرك فروا. فقيل: أمنافقون ؟ قال: لا ؛ لأن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلًا. قيل له: فما حالهم ؟ قال إخواننا بغوا علينا»[1].

٤- وقوله تعالى في موضع آخر: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾[2]، بينَّ الإمام علي عليه السلام دلالة هذه الآية قائلًا: «ثبات الدين بقوة اليقين»[3]، أي لابدَّ للمؤمن من أن يكون مؤمنًا بثبات دينه وعقيدته في قلبه، لا مؤمنًا بالإكراه والقسر، قال السيد الطباطبائي في تفسيره: «نفى الدين الإجباري، لما أن الدين وهو سلسلة من المعارف العلميَّة التي تتبعها أخرى عمليَّة يجمعها أنها اعتقادات، والاعتقاد والإيمان من الأمور القلبيَّة التي لا يحكم فيها الإكراه والإجبار»[4]، وبينَّ ابن الجوزي: «المعنى أن دين الإسلام في غاية الوضوح وظهور البراهين على صحّته بحيث لا يحتاج أن يكره أحد على الدخول فيه، بل يدخل فيه كل ذي عقل سليم من تلقاء نفسه دون إكراه ويدل على ذلك قوله: (قد تبين الرشد من الغي)، أي قد تبيّن أنَّ الإسلامَ رشدٌ وأنَّ الكفرَ غيٌّ، فلا يفتقر بعد بيانه إلى إكراه، وقيل معناها الموادعة، وأن لا يكره أحد بالقتال على الدخول في الإسلام ثم نسخت بالقتال وهذا ضعيف؛ لأنَّها مدنيَّة، وإنما آية المسالمة وترك القتال بمكة»[5].

وأوصى القرآن الكريم المسلمين أن يتعاون الناس فيما بينهم لحلِّ الأمور العالقة، قال تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾[6]. قال الطبري في تفسير هذه الآية: «عني جل ثناؤه بقوله: وتعاونوا على البر والتقوى وليعن بعضكم أيها المؤمنون بعضًا على البرّ، وهو العمل بما أمر الله بالعمل به، والتقوى: هي اتقاء

١- الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي، ج ١٦، ص ٢٩٣ -٢٩٤.
٢- (سورة البقرة ، الآية ٢٥٦)
٣- ميزان الحكمة ، محمد الريشهري ، ج ٢ ، ص ٩٥٥.
٤- تفسير الميزان ، السيد الطباطبائي - ج ٢ ، ص ٣٤٢.
٥- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي،ج ١، ص ٣٠٤ - ٣٠٦.
٦- (سورة المائدة ، الآية ٢)

ما أمر الله باتقائه واجتنابه من معاصيه وقوله ولا تعاونوا على الإثم والعدوان: يعني: ولا يعن بعضكم بعضًا على الإثم، يعني: على ترك ما أمركم الله بفعله. والعدوان يقول: ولا على أن تتجاوزوا ما حد الله لكم في دينكم، وفرض لكم في أنفسكم وفي غيركم»[1].

رابعًا: التعايش في السنّة النبويَّة:

ورد عن الرسول الأعظم ﷺ مجموعة من الأحاديث النبويَّة الشريفة التي تؤكّد على وجوب التعايش بسلام بين الناس مَهْمَا اختلفت أجناسهم وقومياتهم، وقد ورد في الحديث مجموعة من الأحاديث النبويَّة الشريفة التي تحثّ المسلمين على ذلك:

قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخوانًا»، وفي رواية": لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى هاهنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشرّ أن يحقر أخاه المسلم، كلّ المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[2]، وروي عنه ﷺ قال: «إياكم والظنّ فإنَّ الظنّ أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم الله تعالى...»، «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره»[3].

وعن أبي عبد الله ﷺ قال: «إنَّ المؤمنَ أخو المؤمن، عينه ودليله، لا يخونه ولا يظلمه ولا يغشه ولا يعده عدة فيخلفه»[4].

وروي عنه ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يعيبه ولا يخذله ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عليه الريح إلا بإذنه ولا يؤذيه بقتار قدره إلا أن يغرف له غرفة ولا يشتري لبنيه الفاكهة فيخرجون بها إلى صبيان جاره ولا يطعمونهم منها»[5].

ثم قال النبي ﷺ: «احفظوا ولا يحفظ منكم إلا قليل»[6].

١- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، بن جرير الطبري، ج٨، ص٥٢
٢- بلوغ المرام من أدلة الأحكام، ابن حجر العسقلاني، ص ٥٤٧.
٣- شرح رسالة الحقوق، الإمام زين العابدين ﷺ، ص ٦٣٤.
٤- الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ١٦٧.
٥- تفسير الثعلبي، الثعلبي، ج ٩، ص ٧٩. جامع المسانيد والسُّنَن ابن كثير، ج ١٠، ص ٤٤٤.
٦- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج ١٦، ص ٢٩٣.

المطلب الثاني

دروس من واقعة الغدير في التعايش ووحدة الأمّة الإسلاميّة

إنَّ التعايشَ والإيمانَ بالآخر في منهج الإسلام المحمّدي يؤلّف ثقافة أصيلة متكاملة، لها أبعادها ومجالاتها وقيمها ومظاهرها، وأنَّه أسس منهجيَّة متكاملة عن طريقها يتجذّر هذا المفهوم، وسنستعرضها من خلال تواضعه وإيمانه بالحريّة والاختلاف، والمساواة والتعدديَّة ومكانة الحوار وغيرها، وفي واقعة الغدير كثير من المواقف، التي تدلّ على تمسّكه ﷺ بروح التعايش والإيمان بالآخر، ويمكن أن نقف على بعض صور تعايشه وإيمانه بالآخر، والذي له صور متعدّدة أساسها المبادئ المتجذّرة في فكر أهل البيت عليهم السلام، وتصلح منطلقًا لإصلاحات دينيَّة لا تزال ننتظرها، ولخطاب ديني منفتح لانزال نتطلع إليه[1].

أولًا: دروس من عيد الغدير:

تجسّدت صور التعايش والإيمان بالآخر لدى الرسول الأعظم ﷺ، بعدّة ركائز من عيد الغدير ودروس للمسلمين منها أهمّية الوحدة الإسلاميَّة والتعايش السلمي.

ومن دروس عيد الغدير في المجتمع، أن رؤيتنا تجاه الدين الإسلامي يجب أن تكون رؤية شاملة وأن نعدّ الإسلام مجموعة كاملة من القيم والشعائر والعقائد وذلك لقوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[2].

تدلّ الآية الكريمة أنَّ الدينَ مجموعةٌ متكاملةٌ من القيم والتعاليم يجب أخذها كلها معاً بالحسبان، وإن تطبيق الدين لابدَّ أن يكون جميعًا، لا باستثناء مبدأ من مبادئه؛ لأنَّ ذلك لن يضمن السعادة للإنسان وذلك لقوله: «أكملت» في الآية المباركة.

والدرس الآخر الذي من الممكن أن نستفيد منه هو أن عيد الغدير يجسّد نوعًا من التعايش المجتمعي والسلمي الذي نعرفه اليوم تحت عنوان الوحدة الإسلاميَّة.

وتعتقد مدرسة أهل البيت صلوات الله عليهم أن من يعتقدون أنَّ الإمامَ عليَّ بن أبي طالب عليه السلام هو خليفة النبي ﷺ مباشراً،

١- ثقافتنا بين التعصب والتسامح: جابر عصفور، ص٨٠.
٢- (سورة المائدة، اية ١٣)

لكنَّ الإمامَ عليَّ بن أبي طالب عليه السلام عندما يرى أنَّ شروط خلافته غير متوافرة، فهو لا ينخرط بأيِّ شكل من الأشكال في الفوضى وخلق الاضطرابات في نظام المجتمع الإسلامي، بل يعيش حياة سلميّة مع تلك الجماعات التي تجاهلت حقّه، كما جاء في الرسالة التي أرسلها الإمام عليه السلام إلى مالك بن الأشتر النخعي عندما ولّاه الحكم على مصر: «فإنّهم إمّا أخٌ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق، أعطِهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحبّ أن يعطيك الله من عفوه وصفحه».[1]

ثانيًا: هدف الرسول من يوم الغدير:

أراد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وهو المسدّد من وحي السماء أن يجمع الأمّة على كلمة واحدة سواء في منصب خلافته وهو يستعدّ للالتحاق بالرفيق الأعلى، أراد أن يوحّد الأمَّة وأن لا تفترق كما افترقت الأمم السابقة، إرادة النبي صلى الله عليه وآله في تجميع كلمة المسلمين على ولاية علي عليه السلام، وإقامة الحجّة عليهم فتقوى بذلك أواصر الأخوة الإسلاميَّة في المجتمع الإسلامي بل والبشري عمومًا، فيكون كتلة واحدة تقف بوجه الأعداء، أراد للمسلمين أن يكونوا كالجسد الواحد يترحم أحدهم على الآخر ويتألم إذا تألّم أخاه، ويواسيه في أحزانه ويشاركه أفراحه، وهذا المبدأ دعا له الإسلام ومارسه الرسول صلى الله عليه وآله في حياته وأمر به، إذ قال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[2]، ومن الأمور الأخرى التي تجسَّدت في تلك الواقعة، هي أنّ عرض الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام تم في تلك الظروف الصعبة، وفي ذلك الجو الحارّ وبعد مشقّة الحجّ لتأتي مسألة تحمل الولاية وعرضها والإيمان بها والحفاظ عليها، وهذه رسالة مهمّة للثبات على ولايته عليه السلام وتحمّل الظروف الصعبة والمشقة التي تمرّ بالإنسان وقد تجعله يضعف أمام مغريات الدنيا ولذائذها أو صعوبات الحياة ومشاقها فيقل تمسّكه بولاية أهل البيت عليهم السلام والسير على نهجهم، بل عليه أن لا يجعل أي ظرف يثنيه عن حبه وولائه لهم سلام الله عليهم فاختار النموذج الأرقى للامة.. اختار ما يجسد قيم السماء على الأرض.. اختار إسلام يمشي على الأرض ليكون مثالًا يحتذى به.. لكن البعض لم يختر ما اختاره الرسول،

١- نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج ٣، ص ٨٤.
٢- ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج ٤، ص ٢٨٣٧.

بل اختار ما اختارت قريش.. فقال لقد اختارت قريش وأصابت ووفقت»[1]، وهو خلاف اختيار الله ورسوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2].

إنَّ تنصيبَ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يوم غدير خم من قبل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، هو دعوة لشعوب الأرض وكافة الأمم لاختيار النموذج الأرقى والأصلح للامة، وأن يتركوا الخيار للسماء ورسلها؛ لأنَّهم على دراية بما يصلح الأمَّة وقيادتها وعزها.

لقد تجسدت في يوم الغدير كلّ القيم بمعانيها السامية من حوار ومسائلة وإفهام لكل الذين في قلوبهم مرض أو الذين يريدون أن يستفهموا الواقع، فوجدوا عند الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم صدرًا رحبًا وافهامًا تدريجيًّا.. وسؤالا أبويًّا رحيمًا، حينما قال: «من أولى المسلمين بأنفسهم»؟

لقد جاء الخطاب الإلهي يوم الغدير: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[3] و لّما نزلت هذه الآية أخذ بيده و قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم والِ من والاه و عادِ من عاداه» ، فلقيه عمر فقال: «هنيئاً لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة»[4].

أراد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من هذه البيعة صون الأمَّة من الانزلاق وراء الفتن والدنيا والابتعاد بالمسلمين من حال الارتداد والفوضى وإثارة النعرات الطائفيَّة والقوميَّة والتعصّب.

لأنَّ يومَ الغدير يوم اكتمال الدين، وإتمام نعمة الله على عباده، لأنَّ الرسولَ الأكرم والإمام أمير المؤمنين (سلام الله عليهما) هما أبوا هذه الأمّة، وهما الراعون لمصالحها.

لذا كان هدف الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بتوصية من العلي الأعلى أن يكون هذا اليوم (يوم الغدير) يوم التنصيب الإلهي يوم الوحدة بين المسلمين؛ لأنَّ رسولهم الذي لا ينطق عن الهوى قد اختار لهم من أجل وحدتهم وعدم تنافرهم.. حتى

١ – المسترشد – محمد بن جرير الطبري ، ص ٦٨٤
٢ – القصص ، اية ٦٨ .
٣ – المائدة ، اية ٦٧ .
٤ – التفسير الكبير ، ج١٢ ، ص ٤٢ .

يبدأ التعايش بين الأفراد والأسرة الواحدة والقبيلة والمجتمع وبين شعوب الأرض جميعًا، وقد ترجمها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «النَّاسُ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ»[1].

وإنَّ لواقعة الغدير وهذا الحدث الكبير أبعادًا كثيرةً ومتعددةً، ونركز هنا في بُعدها الاجتماعي، وحريٌّ أن نعطي لهذا البعد حجمه الطبيعي ونركز فيه ونقرأه قراءة واعية ونعمل على تطبيقه على أرض الواقع ، فحادثة الغدير وإنْ كانت جديرة لإثبات مسألة الولاية والإيمان بإمامة علي بن أبي طالب عليه السلام عقائديًّا وفكريًّا، إلّا أن لها جوانبَ اجتماعيَّة مهمّة تجسّدت بأمور من خلال الرسائل الاجتماعيَّة التي وصلت لنا عبر رسالة الغدير والاختياريَّة الإلهيَّة لعلي بن أبي طالب عليه السلام بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم هي أنَّ المجتمع يحتاج إلى القائد الواعي الاجتماعي الذي يفكر بالمجتمع وبمصالحه المستقبليَّة للدين والدنيا، وهذا القائد.. وهذه الشخصية تجسَّدت في أمير المؤمنين عليه السلام، وهنا جاء دور النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليجعل من هذا الشخص الذي يحمل تلك الروح المسؤولة والواعية والقيادية خليفة له من بعده، تلتف حوله تلك الثلّة المؤمنة المصدقة بما نزل من السماء على لسان النبي.. والاحتياج لهذه القيادة الواعية الاجتماعيَّة القريبة من الناس، والعارفة بكلّ شؤون حياتهم بصغيرها وكبيرها، قديمها وحديثها، مستمرة في عصر العصمة وفي عصر الغيبة إلى عصر الظهور المبارك.

ثالثًا: يوم الغدير رسالة قيم وتسامح واستقرار بين المسلمين.

يتجدّد الأمل والتفاؤل، وتتجلّى قيم التسامح والمحبّة، في يوم الغدير؛ لأنَّه يذكر الأمّة بأهمية التواصل والتلاحم بين المسلمين لاسيّما عند اجتماعهم في حرّ الظهيرة وتلبيتهم نداء الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ورضاهم بما أمر الله ورسوله من خلال فرحتهم وتهنئتهم للإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه، فيوم الغدير هو التعبير عن الحبّ والتقدير لعلي بن أبي طالب وأهل البيت الطاهرين، إنه يوم للتأمّل والاحتفال بتراثنا الديني الغني، فهو يعكس قيم العدل والإنصاف، ويجسد رسالة المساواة والوحدة بين المسلمين، فهو يوم للتواصل والتلاقي والاستقرار بين أفراد المجتمع.

ففي يوم الغدير، نستذكر تعاليم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ودور الامام أمير المؤمنين عليه السلام في رعاية المجتمع وتوجيهه نحو

١ - نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام ، ج ٣ ، ص ٨٤.

الخير والسلام، وتجديد العهد والوفاء بالتعاليم الإسلامية، والسعي للتطور والتقدم بمنتهى الأخلاق والقيم.

لقد تجلى يوم الغدير، بالتضحية والولاء، وتتجلى فيه روح المحبة والمودة بين المؤمنين، لأنه يوم تآزر فيه المسلمون لبناء المجتمع القوي والمترابط، وكان فرصة كبيرة لوقوف المجتمع آنذاك بوجه الفرقة والعمل على نشر السلام والمحبة والتفاهم و نبذ الخلافات وتعزيز الوحدة والتعاون.

لذا يعدّ عيد الغدير مناسبة عظيمة في الإسلام لاسيّما مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ويحمل العديد من المعاني والقيم الراسخة؛ لأنَّ تلك اللحظة التاريخيَّة في حياة الأمّة الإسلاميَّة والتي شهدت إعلان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تعيين علي بن أبي طالب خليفته ووصيه، فكان يوم الإرادة الإلهيَّة والتوجيه السماوي الذي يحتفل به المسلمون، ليتذكروا قيم العدل والمحبة والوحدة التي علّمنا إياها علي بن أبي طالب، من خلال بناء المجتمع القوي والمترابط على أساس التعاون والتسامح.

ويعكس عيد الغدير رسالة سلام وتعايش سلمي ومجتمعي بين المسلمين، فهو يوم يدعونا للتعاطف والتفاهم وتعزيز روح التسامح والاحترام المتبادل.

والاحتفال بدور القيادة الإلهية بتعيين الإمام علي بن أبي طالب خليفةً ووصيًّا للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بحضور نخب الصحابة وعامة المسلمين، لترسيخ مبادئ العدالة والمرونة التي أرساها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في تاريخ الإسلام.

مثَّل يوم الغدير فرصة للتواصل الروحي والتأمّل في تعاليم الإسلام لاسيّما مدرسة أهل البيت عليهم السلام، من خلال تجديد للعهد بالقيم الإلهية والمبادئ الأخلاقية التي يمثلها علي بن أبي طالب عليه السلام.

لذا فإنَّ يوم الغدير، هو يوم الاحتفال بالتعايش السلمي والمحبّة والتضامن، بعد الرضا بقضاء الله وخيرته من أجل إرساء قيم العدالة والسلام في جميع أنحاء العالم؛ لأنَّه يجسد روح التعاون والتآزر بين المسلمين، إذ يجتمع المؤمنون في هذا اليوم للتذاكر بما أراده الله ورسوله والرضا بما اختاره الله ورسوله.

فيسود السلام والمحبة في قلوب الناس، ويتحقق التعايش السلمي والتفاهم الذي يحقق الآمال وتطلعات الأمّة؛ لأنَّه يمثّل فرصة للتأمّل والتفكير في قيمنا الإنسانيَّة والروحانيَّة، ولتجديد العهد بالقيم العالية

والتزامنا به، فتتجلى في عدة جوانب تعطيه أهمية كبيرة في قلوب المسلمين لاسيّما محبي محمد وآل محمد صلوات الله عليهم؛ لأنَّ تعيين الإمام علي بن أبي طالب في عيد الغدير تأكيدًا رسميًا كخليفة ووصي للنبي محمد ﷺ بأمر من الله، إنه يوم تجسد فيه إرادة الله وتوجيهه السماوي للمسلمين.

وتحقيق العدل والإصلاح في ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لأنه قدوة في مجال العدل والإصلاح، إذ عمل على حفظ وتطبيق قوانين الإسلام وتوجيه المسلمين نحو الخير والسعادة، وأهمية العدل والإصلاح في حياة الامة الإسلامية ، فضلًا عن تعزيز روح التعاون والتلاحم بين المسلمين ونبذ للتجاوز والخلافات والتوحد تحت راية الإسلام وتعاليمه، وللعمل سويًا من أجل تحقيق الخير والتقدم ، والسلام والمحبة والسعي لنشرها في مجتمعنا والعالم وبذلك تحقيق وتعزيز للتفاهم والتعايش السلمي بين الناس.

وفضلا عن ذلك فان عيد الغدير يحمل فضلاً عظيمًا، إذ يعزز القيم الإسلاميَّة العظيمة ويوجهها نحو الخير والعدل، فهو يوم للتأمل والتواصل الروحي وللعمل على تحقيق السلام والتقدم في حياة الامة الإسلامية ومجتمعاتها.

الخاتمة والنتائج..

عني الإسلام بمسألة التعايش المجتمعي السلمي بين الشعوب، وبين الأفراد، وقد حثّ القرآن الكريم على التعايش المجتمعي، وأكّد على ذلك في كثير من الآيات القرآنية كما وضح ذلك البحث.

حثّت السنّة النبويَّة الشريفة على التعايش السلمي وأكدت على أهميته، وقد تجلّى ذلك في كثير من الأحاديث النبويَّة الشريفة وروايات آل البيت عليهم السلام وأقوالهم على ذلك.

لقد وضع النبي الأكرم والإمام (صلوات الله عليهما) مجموعة من الأهداف التي تؤمن بالتعايش السلمي والإيمان بالآخر، ولا بدَّ من المزيد من الدراسة، لمعرفة حيثيات التعايش وعوامله، ولابدَّ من دراسة شخصية الرسول الاكرم وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما بوصفهما مدرسة في التعايش المجتمعي السلمي والإيمان بالآخر، والتي حقنت دماء المسلمين، فهما بحق من أشهر رجالات السلام والتعايش السلمي في التاريخ الإسلامي.

أراد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله من تنصيب الإمام علي عليه السلام في يوم الغدير أن يوحد الامة ويجعلها صفًا واحدًا من خلال القيادة الواحدة الرشيدة المتمثلة بالامام علي عليه السلام، وعدم اختلاف الناس عليها لانها من اختيار الله ورسوله ، وبذلك يطمئن المجتمع ويعيش بكل سلام وطمأنينة.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- الكافي ، الشيخ الكليني ، تحقيق: علي اكبر غفاري ، قم – ١٤١٢ه.
- أخلاقيات أمير المؤمنين عليه السلام: السيد هادي المدرسي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار تأليف العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي ، مؤسسة الوفاء بيروت – لبنان.
- بلوغ المرام من أدلة الأحكام: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) ، المحقق: الدكتور ماهر ياسين الفحل الناشر: دار القبس للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤٣٥ هـ – ٢٠١٤ م.
- تحف العقول عن آل الرسول: الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، مؤسسة الأعلمي، بيروت،٢٠٠٢ م.
- التعايش السلمي ، روحه وسلوكه في بناء الأمم والحضارات : طارق رضوان ، منشورات: دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١- بيروت.
- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠ هـ) ، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر – د عبد السند حسن يمامة الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.
- تفسير الميزان ، السيد محمد حسين الطباطبائي ، اسماعيليان للنشر ، قم – ١٩٨٤م.
- ثقافتنا بين التعصب والتسامح : جابر عصفور ، مجلة العربي ، العدد ٥٦٧ – شباط ، ٢٠٠٦ م ، ص٨٠.
- الجامع لأحكام القرآن ، تفسير القرطبي: أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤م.
- جامع المسانيد والسُّنَن الهادي لأقوم سَنَن: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) ، المحقق: د عبد الملك بن عبد الله الدهيش ، الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، طبع على نفقة المحقق ويطلب من مكتبة النهضة الحديثة – مكة المكرمة ، الطبعة: الثانية، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.
- حاشية السندي على سنن ابن ماجه، محمد بن عبد الهادي التنوي : نور الدين السندي ت١١٣٨هـ، دار الجيل، بيروت– ٢٠١٠م.
- حقوق المرأة ومسؤولياتها في النظام الإسلامي: اصدار المعاونية الثقافية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب

الاسلامية، طهران،٢٠٠٦م.

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : ابو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، دار السعادة، القاهرة – مصر،١٩٦٩م ، الجزء الثالث.
- الدر المنثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، الناشر: دار الفكر – بيروت .
- زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.
- سيرة الأئمة الاثني عشر: هاشم معروف الحسني ت١٩٨٣م، منشورات الإمام الرسول الأعظم صلى الله عليه واله عليه السلام، بيروت،١٣٨٢هـ ، الجزء الثاني.
- شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين، السيد حسن القبانجي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت،٢٠٠٢م، الجزء الثاني.
- عيون أخبار الرسول الأعظم صلى الله عليه واله عليه السلام، الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي المتوفى ٣٨١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١٨هـ، الجزءان الأول والثاني.
- غرر الحكم ودرر الكلم: جمع عبد الواحد الآمدي التميمي، دار الكتاب الإسلامي ،بيروت ،١٤١٠ه.
- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي ت٧٠٩هـ ، تحقيق عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، بيروت،١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
- قصص الأئمة اسلوب قصصي هادف، فارس الفقيه، مؤسسة الأعلمي ، بيروت،٢٠٠٧م
- كشف الغمة في معرفة الأئمة : أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي،(ت٦٩٣ه) ، منشورات دار الفجر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت،١٩٨٥ م،
- مبادئ التعايش السلمي في الإسلام منهجاً ، وسيرة: عبد العظيم إبراهيم ، منشورات: دار الأسوة –عمان ، ط١– ٢٠١٣م.
- نهج البلاغة – خطب الإمام علي عليه السلام ،الشريف الرضي، دار المحجة ، بيروت، ٢٠٠٩.
- ميزان الحكمة ، محمد الريشهري ، دار الحديث ، قم ، ١٩٨٤م.

حادثة الغدير في النصوص المعاصرة

(قراءات في النص الاستشراقي)

م.د خديجة حسن علي القصير

جامعة الكوفة- كلية الآداب

الوري
غيث

الملخص:

شغلتْ حادثة الغدير عناية الباحثين العرب والغربيين على حدٍّ سواء؛ لأهميتها في التاريخ الإسلامي ولكونها الركيزة الأساس التي تنطلق منها مشروعيّة الخلافة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأحقيته بعد الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ومن هنا كان حريّاً بنا تسليط الضوء على هذه الحادثة المهمة في التاريخ؛ لأنها لم تكن حدثاً عابراً، بل حدثاً ترتّب عليه تغيير جذري في مجرى الأحداث السياسيَّة في الدولة العربيَّة الإسلاميَّة بعد وفاة الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

عني المستشرقون عناية بالغة بدراسة التراث الإسلامي بشتى مفاصله، لاسيّما السيرة النبويَّة وأحداث التاريخ الإسلامي المرتبطة بها، فكانت حادثة الغدير والبيعة للإمام علي بخلافة الأمَّة من بين أولياتهم، فنجد كثيراً من المستشرقين من خاض في غمار حديث الغدير، ووقف بعضهم موقف التشكيك منه، وحاول بعضهم الآخر إنكاره والطعن في سنده وروايته. فكانت اتجاهاتهم متباينة في قراءة حديث الغدير قبولاً ورفضاً، ومرة تكون قراءة جديَّة أحدثت تغييراً كبيراً في مجرى الرسالة المحمديَّة وترتب عليها تغييرات كثيرة في واقع الأمَّة الإسلاميَّة وعلى صعيد تأسيس دولة إسلاميَّة موحدة، ومرة أخرى ترفض رفضاً قطعيَّاً هذا الحديث وما ترتَّب عليه من تغييرات.

سنحاولُ في هذا البحث أن نبيِّن أنَّ المستشرقين مَهْمَا بلغوا من درجة في الحياديَّة والتزام الموضوعيَّة في أبحاثهم، لابد أن يقعوا في الخطأ بسبب الذاتيَّة والميول وعدم المصداقيَّة، وهذا ينطلق من الاختلاف الواضح في الدافع الاستشراقي وماهية الغاية التي يسعى إلى تحقيقها من جهة، فضلاً عن أنَّ الرؤية الاستشراقيَّة تنطلق من رؤية عقليَّة ماديَّة لا تؤمن بالغيبيات، ومن ثَمَّ لابدَّ أن تمارس نوعاً من التكسير والتجريح في النصوص، سواء أكانت القرآنيَّة منها أم الأحاديث التي رويت عن الرسول فترتطم بذلك بالبدهيات والمسَلَّمات من جهة أخرى.

يتألف البحثُ من ثلاثة مباحث ومقدمة وختم بعدد من النتائج وكما يأتي:

- المبحث الأول: منهجية البحث.
- المبحث الثاني: ماهية الاستشراق ونشأته.
- المبحث الثالث: حديث الغدير في النص الاستشراقي بين الرفض والقبول.

- الكلمات المفتاحية: حديث الغدير- الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام- النبي محمد ﷺ- المستشرقون- النص الاستشراقي- بيعة الغدير.

Abstract

The Ghadir incident has attracted unparalleled attention by Western and Arab researchers alike due to its importance in Islamic history and its being the main pillar from which the legitimacy of the caliphate of the Commander of the Faithful Ali Ibn Abi Talib, peace be upon him, and his entitlement after the Messenger Muhammad, may God bless him and his family and grant him peace, stems from here. Light on this important incident in history because it was not a passing event, but rather an event that resulted in a radical change in the course of political events in the Arab Islamic state after the death of the Messenger Muhammad, may God bless him and his family and grant him peace.

The orientalists paid great attention to the study of the Islamic heritage in all its aspects, especially the biography of the Prophet and the events of Islamic history associated with it. The incident of al-Ghadir and the pledge of allegiance to Imam Ali for the succession of the nation were among their priorities, so we find many orientalists who delved into the depths of the hadith of al-Ghadir, and some of them took the position of questioning it and others tried to deny it and cast doubt on it.

His chain of transmission and narration. Their attitudes were almost different between a reading of the Hadith of Al-Ghadeer, but it is a serious reading that brought about a great change in the course of the Muhammadan message and resulted in many changes in the reality of the Islamic nation and in terms of establishing a unified Islamic state, and another reading that categorically rejects this hadith and the changes that follow from it. We will try to show in this research that the orientalists, whatever their degree of impartiality and commitment to objectivity in their research, they must fall into error and that their studies and research have a kind of lack of credibility, and this stems from the clear difference in the

orientalist motive and what is the goal that it seeks to achieve from On the one hand, in addition to the fact that the orientalist vision stems from a materialistic mental vision that does not believe in the unseen, and therefore it must practice a kind of breaking and defamation in the texts, whether they are the Qur'anic ones or the hadiths that were narrated from the Messenger, so it collides with axioms and postulates on the other hand.

The research consists of three sections, an introduction, and a conclusion with a number of results, as follows:

The first topic: research methodology

The second topic: the nature and origin of Orientalism

The third topic: Hadith Al-Ghadeer in the Orientalist text between rejection and acceptance

Keywords: Hadith of Ghadir - Imam Ali Ibn Abi Talib, peace be upon him - Prophet Muhammad, may God bless him and his family and grant him peace - Orientalists - Orientalist text - Allegiance to Ghadir.

المقدمة:

من المسلّمات الأساسيَّة في الأديان السماويَّة السابقة للإسلام إنَّه لا بدَّ من وجود وصي أو خليفة يتولَّى شؤون الأمَّة بعد النبي، وهذا هو ديدن الشرائع السماويَّة فنجد على سبيل المثال في اليهوديَّة أنَّ (هارون) كان وصياً لموسى عليه السلام ومواكب له في أحداث رسالته السماويَّة، وبذلك من غير المعقول أن يترك النبيّ محمد ﷺ أمَّته من دون وصي من بعده، وهو النبيُّ الخاتم الذي جاء ليتمم ما بعث به الأنبياء من قبله؟ فهل من المعقول أن يترك النبيّ ناحية تشريعيَّة أو نقص في المجتمع الذي أنشأه ويحاول جعله قدوة للأمم الأخرى؟.

سيكون بحثنا وقفة على حديث الغدير الذي نصَّ على أحقيَّة الإمام علي بتولّي شؤون الأمَّة بعد الرسول محمد ﷺ ولكن من وجهة نظر استشراقيَّة؛ لنورد أهم الاختلافات لدى المستشرقين -باختلاف مدارسهم- حول رفض حديث الغدير أو قبوله، وماترتّب عليه من أحداث في تاريخ الأمَّة الإسلاميَّة بعد النبي ﷺ.

المبحث الاول: منهجيَّة البحث

أولاً: مشكلة البحث:

تعدّد الدراسات الاستشراقيَّة التي تناولت مخرجات التاريخ الإسلامي وعصر الرسالة لاسيَّما الدراسات المغرضة التي حاولت تشويه تلك المخرجات أو إنكار مصداقيتها.

رفض أغلب الدراسات الاستشراقيَّة لحديث الغدير وماترتب عليه من أحداث في الدولة العربيَّة الإسلاميَّة.

في مقابل كثرة الدراسات الاستشراقيَّة التعصبيَّة ضد الإسلام والأحداث المصيريَّة فيه، نجد قلّة النتاجات والردود المضادة لها.

الانبهار الواسع بالأفكار الاستشراقيَّة الذي جعل بعض الكتّاب يقف صامتاً أمام ما ورد فيها من انتهاكات.

ثانياً: أهميّة البحث:

عدَّ أغلبُ المستشرقين أنَّ حديث الغدير وما ترتّب عليه من حادثة مهمَّة في التاريخ الإسلامي تتمثّل بإقرار الوصاية للامام علي بخلافة الأمَّة بعد النبي ﷺ، ماهو إلّا حادثة عابرة، قد أوليت عناية كبيرة، متناسين أنَّ هذه الحادثة قد غيَّرت

في مجريات الرسالة الإسلاميَّة، وأوجدت خلافات في صميم الأمَّة التي ما زالت تعاني من تبعاتها إلى يومنا هذا. وعلى الرغم من هذه الأهمّية لهذه الحادثة إلّا أنَّها غيبت في فكر بعض المستشرقين وكاد البعض منهم يتغاضى عنها عمداً.

ثالثاً: أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

التعرّف على موقف الدراسات الاستشراقيَّة من حديث الغدير وكيفيّة تناوله في أبحاثهم.

تحديد موقف المستشرقين من حادثة القبول وأصداء هذه الحادثة في فكرهم بين الرفض والقبول.

التعرّف على المستشرقين المنصفين الذين تناولوا حديث الغدير بمصداقية وحاولوا بثّ أفكارهم عن طريق المقالات والبحوث التي خصصت لهذا الغرض.

رابعاً: فرضية البحث:

يسعى البحثُ إلى الوصول لنتائج حقيقية عن طريق جمع آراء بعض المستشرقين المهتمين بدراسة السيرة النبويَّة وما ترتّب عنها من أحداث مهمّة للتعرّف على فرضية البحث التي تنص على» أحداث السيرة النبويَّة كانت محط أنظار المستشرقين وكانت دراستهم لها متذبذبة بين الإنصاف لشخص الرسول الكريم ودعوته وما صدر عن من تشريعات في صالح الأمَّة الإسلاميَّة، وبين من تعصَّب ضد شخصه الكريم، واتَّهمه باتهامات لا يُمكن أن تقال بحق نبي من الأنبياء عليهم السلام».

خامساً: أسلوب البحث:

أُستخدم المنهج الوصفي في هذا البحث بجمع آراء بعض المستشرقين المتعلقة بحديث الغدير وتحليلها واستنباط الاستنتاجات بالشكل الذي يتماثل مع المشكلة (موضوع البحث).

المبحث الثاني: مدخل مفاهيمي للاستشراق ونشأته

أولاً: مفهوم الاستشراق

الاستشراق لغةً:

كلمة الاستشراق في اللغة مشتقة من مادة: «شرق»، يقال شرقت الشمس شرقا وشروقاً إذا طلعت[١]، والاستشراق فعله شرق الشين والراء والقاف أصلٌ واحدٌ يدلُّ على إضاءةٍ وفتح. من ذلك شرقت الشّمسُ، إذا طلعت[٢]. ووصف المنطقة بالشرق يعني في المقام الأول المنطقة التي أشرقت فيها شمس المعرفة وليست الشمس بمعناها الحسي المعروف[٣] وهذا ماتم الاتفاق عليه مجازياً.

الاستشراق اصطلاحاً:

عُرّف الاستشراق اصطلاحاً بتعريفات عدّة منها بأنّه: «علم الشرق أو العالم الشرقي»[٤]، ويعرّفه بعضهم الآخر على أنّه تعبير يدلُّ على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كلّ من يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم. ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثّل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، التي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته. ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربيَّة عن الشرق عامَّة وعن العالم الإسلامي بصورة خاصَّة، معبراً عن الخلفية الفكريَّة للصراع الحضاري بينهما[٥].

أمَّا مكسيم رودنسون[٦] فيعرف الاستشراق بقوله: «نظام خاص تم تكريسه لدراسة علوم الشرق، حيث لم يكن باستطاعة من تخصص بدراسة العلوم الشرقية أن يقوم بتأسيس جمعيات

١-مجمع اللغة العربيَّة، المعجم الوسيط ، القاهرة، ١٩٦٠م، ص٤٨٢
٢-ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين (ت:٣٩٥هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٧٩م، ج٣، ص٢٠٤.
٣-النعيم ، عبد الله محمد الامين، الاستشراق في السيرة النبويَّة (دراسة تاريخيَّة لاراء وات – بروكلمان- فلهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلاميَّة ، مطبعة المعهد العالي للفكر الإسلامي ، بلام ، ١٩٩٧م، ص١٦.
٤-بارت، رودي ، الدراسات الإسلاميَّة والعربيَّة في الجامعات الألمانية ،تأليف وترجمة: د. مصطفى ماهر ، القاهرة، ١٩٦٧م،ص١١.
٥-الجهني، مانع ، الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان والأحزاب المعاصرة ، ط٤ ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر ، ١٤٢٠،ج٢، ص٦٨٧؛ الجبري، عبد المتعال محمد ، السيرة النبويَّة واوهام المستشرقين ، مكتبة وهبة ، مصر ، بلا.ت،ص٩.
٦-اركون، محمد، الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، ترجمة: هاشم صالح، ط٢، دار الساقي، د.م ، ٢٠٠٠م، ص١٦١.

أو مجلات تتخصص في بلد معين، لذلك تم تصنيفهم تحت مسمى المستشرقين».

ويعرّفه الدكتور ادوارد سعيد[1] بقوله: إن أسهل طريق لتعريف الاستشراق: هو نوع من التبيين الأكاديمي لهذا الاصطلاح، وفي الحقيقة إنَّ هذا المصطلح يستعمل في الجامعات والأوساط الأكاديمية لمن يدرّس مواضيع الشرق، أو يبحث حول هذا الموضوع؛ سواء كان متخصصاً في علم معرفة الإنسان، أم في علم الاجتماع، أو مورخاً، أو متبحراً في علم اللغة بمعناه العام أو الخاص. فهو مستشرق، ويطلق على عمله في هذا المجال «الاستشراق»، ويعرفه أيضاً: أنَّه أسلوب غربي للسلطة، ونوع من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة حكم الغرب للشرق[2].

وبهذا يتبين لنا أنَّ الاستشراق ما هو إلاّ اتجاه فكري يعنى بدراسة حضارة الأمم الشرقيَّة بصفة عامَّة وحضارة الإسلام والعرب بصفة خاصَّة، وقد كان هذا الاتجاه في بدايات ظهوره مقصوراً على دراسة الإسلام واللغة العربيَّة فحسب، ثم اتَّسع ليشمل دراسة الشرق كلّه بلغاته وتقاليده وآدابه.

ثانياً: نشأة الاستشراق:

اُختلف في تحديد تاريخيَّة الاستشراق والمدّة الزمنيَّة لظهوره، ولكن يكاد يتفق على أن بداياته تعود إلى الراهب الفرنسي «جربر دوي أوريك» الذي قصد بلاد الأندلس الإسلاميَّة وتتلمذ على يد أساتذتها في إشبيلية وقرطبة حتى أصبح أوسع علماء عصره اطّلاعاً[3].

في حين نجد من يتعارض مع ما ذُكر، ويجد صعوبة في نسبة الاستشراق إلى سنة معينة، ولكن كان من الطبيعي أن يسترعي الإسلام نظر رجال الدين المسيح منذ ظهوره، لاسيّما بعد مانسب إلى الكاردينال كوبنج رئيس اساقفة النمسا الذي أشاد بجهود يوحنا الدمشقي واعتماده في كتاباته على علم الكلام عند المسلمين، أردف قائلاً: وبناءً على هذا ترجع بداية الاهتمام بالإسلام ودراسته إلى نحو مئة سنة بعد ظهوره، ثم التقى الإسلام بالمسيحية في الأندلس. وأقبل المسيحيون على دراسة الإسلام ودراسات العربيَّة وآدابها بحماسة استرعت نظر علماء رجال الدين المسيح

١-سعيد، ادوارد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة: د.محمد عناني، رؤية للطباعة، بلا.م، ٢٠٠٨، ص٤٧-٤٨.
٢-سعيد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق،ص٥٠-٥١.
٣-الجهني، الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان والأحزاب المعاصرة ، ص٦٨٧.

أنفسهم؛ لأنَّ أتباعهم قد أغرقوا في قراءة الشعر العربي والقصص العربيَّة ودرسوا فلسفة المسلمين وعنوا بإتقان العربيَّة والتعبير بها[1].

هنا نستنتج أن الاستشراق كان وليد الاحتكاك بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي أيام الفتوحات الإسلاميَّة للغرب، وإبَّان الاستعمار الغربي الصليبي للشرق، وعن طريق السفارات والرحلات، وكان الدافع الأساس لحركة الاستشراق هو الرغبة في نشر المسيحيَّة في البلاد العربيَّة بغية تحطيم الإسلام من داخله بالدس والكيد، وإثارة الشكوك حول مبادئه وقيمه وشرائعه وتاريخه.

وعلى الرغم من هذه الاختلافات حول بدايات الاستشراق إلّا أنَّنا لا نستطيع أن نغفل الإنجازات التي حقَّقها بعض المستشرقين، فعلى الرغم من الغموض والريبة الواسعة التي تحيط بأهداف بعضهم إلاّ أنَّنا لا نستطيع أن ننكر أنَّه كان له الأثر الكبير في حفظ المخطوطات الأدبيَّة من الضّياع ونشرها وطبعها؛ وقد تصل هذه المخطوطات العربيَّة في مكتبات أوروبا إلى عشرات الآلاف، فضلاً عن هذا فقد حاول علماء الاستشراق أن يحيطوا بالأدب العربي إحاطة كاملة، فبحثوا في كل ما يتعلّق به معتبرين تاريخه أساساً لذلك فدرسوا الأدبَ العربيّ عن طريق تأريخه وتقسيمه إلى عصور مختلفة دراسة جديدة فرضها عليه تطور الدراسات الأدبيَّة في العالم، حتى سلك المستشرقون مسلك مؤرخيهم الغربيين في دراسة آدابهم المختلفة. وهكذا أخذوا اتجاهاً جديداً في دراسة الأدب العربي أيضاً.

ولم يكتفِ بعضهم بنشر النصوص الأدبيَّة، بل تعداه إلى ترجمة مئات الكتب العربيَّة والإسلاميَّة إلى اللغات الأروبية كافّة. إذ نقلوا إلى لغاتهم كثيراً من دواوين الشعر والمعلّقات وكتب التاريخ والعلوم الدينيَّة وفي أمثلة ذلك نذكر ما ترجمة المستشرق الفرنسي فاتيه «تاريخ ابن مكين» المتوفي (١٢٩٢)م وقد ذيله بتاريخ العرب باسبانيا، وكتابي علم المنطق والأمراض العقليَّة لابن سينا المتوفي(٦٥٠)هـ، والرثاء للطغراني المتوفي(٥١٥)هـ[2]. فضلًا عما قام بترجمته البارون دي ساسي من أعمال

١-مراد، الدكتور:يحيى، معجم أسماء المستشرقين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلميَّة بيروت– لبنان،بلا.ت، ص٢٩.
٢-خريوش، عبد الرؤوف، دور المستشرقين الفرنسيين في نقل الثقافة العربيَّة الى الغرب، بحث منشور في موقع الكتروني،ص٤٠٧.

المقريـزي منها:»نبـذه عـن العقـود في امـور النقود»(١٧٩٦)م،و»أصـل الأدب الجاهـلي عنـد العرب»و»كليلـة ودمنة»و»مقامـات الحريـري»(١٨١٢)م مذيلـة بـشرح بالعربيَّـة[١].

المبحـــث الثالـــث: حديـث الغديـر في النـص الاسـتشراقي بـين الرفـض والقبـول

«مـن كنـت مـولاه فهـذا عـلي مـولاه»[٢] يقـدح في مسـامعنا هـذا الحديـث ويـتردّد؛ لأهميتـه وعمقـه في نفـوس الموالـين لأهـل البيـت عليهم السلام، بـل هـو عـرف يتكـرّر في كل سـنة في الثامـن عـشر مـن ذي الحجـة، لم يكـن حديثـاً عابـراً أو مجـرد كلـمات أراد الرسـول صلى الله عليه وآله أن يختـم حجتـه بهـا، بـل سـنداً وتبليغـاً مـن خاتـم النبيـين لأمّتـه، وهـو أمـر واجـب الطاعـة، ويكفـي أهمّيـة لهـذا الحديـث صحّـة سـنده وروايتـه فقـد ذُكـرت المصـادر التاريخيَّـة الموثوقـة أن ١١٠ مـن أصحـاب الرسـول محمـد صلى الله عليه وآله قـد تناقلـوه في العـصر الأول مـن الهجـرة، وعنـد مجـيء عـصر التابعـين قـد نقلـه ٨٩ شـخصاً مـن الصحابـة، ورواة الحديـث فيـما بعـد[٣]، والـذي يلفـت التنبّـه أنَّ بعضهـم قـد ألـف كتبـاً خاصـة تحمـل اسـم الغديـر، أذكـرُ منهـا -عـلى سـبيل المثـال لا الحـصر- كتـاب الغديـر في الكتـاب والسـنة والأدب لعبـد الحسـين الأمينـي، واقعـة الغديـر الكـبرى لمحمـد الدشـتي، وواقعـة الغديـر دراسـة توثيقيـة لمحمـد الحسـيني القزوينـي، فضـلاً عـن المـؤرخ الكبـير الطـبري الـذي وضـع كتـاب الولايـة في طـرق حديـث الغديـر ونقلـه عـن الرسـول صلى الله عليه وآله.

-وتعـدّ حادثـةُ الغديـر مـن الحـوادث المهمّـة في تاريـخ الأمَّـة الإسـلاميَّة، فهـو لم يكـن حدثـاً عابـراً، بـل ترتـب عليـه مصـير الأمَّـة فيـما بعـد؛ لأنَّ الحادثـةَ أسسـت للخلافـة التـي تمثّـل ركنـاً أساسـيّاً في المنظومة السياسـيَّة للمسـلمين، فمـن غـير الطبيعـي أن يـترك الرسـول محمـد صلى الله عليه وآله الأمَّـة مـن بعـده مـن دون خليفـة، لاسـيَّما أنَّـه صلى الله عليه وآله جـزء مـن ذلـك المجتمـع، وبذلـك فهـو عـارف بطبيعـة

١-خربوش، المصدر نفسه.
٢-تـم تخريـج هـذا الحديـث بسـنده في العديـد مـن المصـادر الشـيعية والسـنية عـلى حـد سـواء وهنـا اعتمدت عـلى نقلـه مـن كتـاب: الطـوسي، محمـد بـن الحسـن (ت:٤٦٠)هـ، الامـالي، تحقيـق: قسـم الدراسـات الإسـلاميَّة، مؤسسـة البعثـة للطباعـة والنـشر والتوزيـع دار الثقافـة، قـم المقدسـة، ١٩٩٣م، ص٢٥٤.
٣-للمزيـد حـول ذلـك ينظـر: الاميني، الشـيخ عبـد الحسـين النجفي، الغديـر في الكتـاب والسـنة والادب، مؤسسـة الاعلمـي لمطبوعـات، بـيروت، ١٩٩٤م، ج١، المقدمـة.

أمزجتهم وأهوائهم المختلفة؛ لذلك أعطى أولويَّة كبيرة في تحديد من يتولّى شؤون الأمَّة من بعده، على خلاف مايحاول أن يظهره بعضهم من أن الرسول ﷺ فارق الدنيا من دون أن يخلف من بعده من يتولّى شؤون المسلمين.

ومن هنا بدأتِ الاختلافات بين الدارسين المهتمين بسيرة النبي محمد ﷺ وموضوع الخلافة من بعده، وأخصُّ بالذكر موضوع بحثنا (المستشرقين) فنجدهم قد انقسموا حول هذا الأمر صنفين: منهم كان متفقاً مع الوصاية التي تكللت بحديث الغدير وبأحقية الإمام علي في الخلافة بعد الرسول، والصنف الآخر: كان ضد فكرة الاختيار، بل حاول بشتى الطرق أن يتغاضى عنها، ولا يعطي أي أولوية لحديث الغدير وماترتب عليه فيما بعد، وسأذكر نماذج من الصنفين، مع تحليل آرائهم.

يعدّ المستشرق (ايرفنج) من أكثر المستشرقين تأييداً لحديث الغدير وبيعة النبي لعلي بالخلافة، معتمداً في ذلك على أسبقية علي في الإسلام، إذ قال:» قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني ربي أن أدعوكم إليه، فأيكم يجيبني إلى هذا الأمر ويؤازرني عليه، فيكون وصيي ووزيري ويكون أخي ؟»[1]، وهذا يؤيد صدق كلامنا من أن الرسول ﷺ قد خلف عليّاً عليه السلام من بعده.

ويؤيد ذلك المستشرق (سيديو) ويذكر أنَّ الإمامَ عليّاً هو المؤهل للخلافة بعد النبي مستنداً في ذلك على مواقفه الإيجابيَّة الداعمة للرسول ﷺ من أجل رفع راية الإسلام ونشره، فلا ريبَ في أنَّ النبيَّ محمداً قد اختاره ونصبه خليفة على المسلمين بعده، إذ قال: «إن إيمان علي المبكر حقيقة لا سبيل إلى الطعن بها، وذلك لأن عليّاً كان حقاً أول المؤمنين وأول المؤازرين لمحمد الرسول. ومما لا يمكن نقضه أو الانتقاص منه هو ان الرسول قد عيّنَ عليّاً ونصبّهُ أخاً ووصياً وخليفةً على كل المسلمين أمام زعماء قريش، وذلك عندما عرضَ عليهم أمر رسالته وطلبَ مؤازرتهم فرفضوا جميعاً عرضه إلاّ علي الذي قَبِلَ هذا العرض وأعلن وقوفه الكامل إلى جانبه»[2].

١-نقلا عن: ايرفنج، واشنطن، محمد وخلفاؤه، ترجمة: د. هاني يحيى، المركز الثقافي العربي – بيروت ١٩٩٩م، ص٦٥.
٢-نقلا عن: سيديو، خلاصة تاريخ العرب، ترجمة: علي باشا مبارك، ط دار الآثار – بيروت – ١٤٠٠هـ ص١٤.

وأيَّد المستشرق (يان ريشار) أحقّية الإمام علي بعد الرسول بالخلافة، وقد تحدّث عن أفضليَّة الإمام علي عليه السلام من دون غيره بقوله:» فإذا نظرنا إلى عامَّة المسلمين وجدنا أنَّ علياً هو النموذج الأمثل للحاكم الواعي والملهم، وفي الأصل فإنه كان يقوم بما يشبه وظيفة الوزير في حكومة النبي، وكان قوياً كالأسد، ومسلحاً بسيفه ذو الفقار الذي كان له حدان، ولكنَّه تحوّل بحكم الايديولوجيا المناضلة إلى شهيد في سبيل العدالة. وحقاً أنَّه كان في وسعه أن يثور على تعيين الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه. وعلى العزل الكامل الذي وضعه في عثمان، وكان بوسعه أن يحتال على معاوية، كمقدمة لإضعافه أي موالاته اولا للهجوم عليه فيما بعد بصورة المفاجأة، وكان بإمكانه أن يتجاوز بالحيلة ماعلق في رؤوس الرماح من وريقات القرآن في معركة صفّين واستخدم تفوقه العسكري فيها حتى النهاية»[1]، ثم يستأنف الحديث عن الغدير ويؤكّد أحقية الإمام بقوله:» أول قضية تراثيَّة يتسلح بها الشيعة من غير أن ترفضها السنة رفضاً كليّاً هي تلك التي تجعل ولاية الخلافة لعلي، ابن عم النبي وصهره، ولاية شرعيَّة على جماعة المسلمين»[2].

أمَّا في عقيدة الشيعة فجاء المستشرق (دونلدسن) ليحسم الجدال حول هذا الأمر فيقول: «إنَّ محمداً صلى الله عليه وآله عند عودته من حجّة الوداع نزل مكاناً يعرف بغدير خم، وفيه أعلن لمن كانوا معه رغبته في نصب علي خليفة من بعده وينقل هذا الكلام عن اليعقوبي، ويعقب ذلك بالقول ولا يغرب عن بالنا أنَّ علياً لم يكن ابن عم الرسول وصهره فحسب، بل أنَّ أباه، أبا طالب كفل محمداً ورباه وحماه، فلا غرو أن يرغب الرسول في أن ينظر المسلمون إلى علي نظرهم إلى المرجع الثاني في الأهمّية بعده، فلا عجبَ في أن يقول محمد من كنت مولاه فعلي مولاه»[3].

في حين نجدُ صنفاً من المستشرقين لم يتناول حادثة الغدير، بل حاول أن يتجاوزها عندما يذكر حجَّة الوداع والمعطيات التي ترتبت عن طريقها بل لم يعترف بالبيعة للإمام علي والوصاية له،

١- جياد، حاتم كريم، الإمام علي في كتابات المستشرقين دراسة تاريخيَّة تحليلية، ديوان الوقف الشيعي، بغداد، ٢٠١٢م، ص٢١٣

٢- جياد، الإمام علي في كتابات المستشرقين دراسة تاريخيَّة تحليلية، ص٢١٣-٢١٤.

٣- دونلدسن، دوايت م.، عقيدة الشيعة، تعريب: ع.م، مكتبة الخانجي، مطبعة السعادة، القاهرة، بلا.ت، ص٢٢-٢٤.

وفي مقدمتهم المستشرق (كارل بروكلمان) فقد تحدَّث في كتابه تاريخ الشعوب الإسلاميَّة عن كثير من الأحداث الخاصة بعصر الرسالة، وعندما ذكر حجَّة الوداع لم يتناول واقعة الغدير، على الرغم من أنَّه عندما أشار إلى المرحلة التي توفي فيها الرسول محمد ﷺ ذكر النزاعات التي حدثت بعد وفاته من أجل الاستيلاء على منصب الخلافة، ولكنَّه لم يذكر ماحدث في غدير خم، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، إذ عدَّ أنَّ الإمامَ عليّاً عليه السلام كان طامعاً في الخلافة بعد الرسول بقوله: «ادعى علي ابن عم النبي وزوج ابنته لنفسه الحق في الخلافة كرئيس للدولة بوصفه أقرب الناس رحماً إليه»[1].

وينكر (مونتغمري وات) إنكاراً قطعياً أن يكون الرسول قد عيَّن خليفةً من بعده ليتولّى شؤون الأمَّة باستثناء موضوع الصلاة الذي كلف به أبا بكر وذلك بقوله:» لم يحضر محمد قبل موته أي تحضيرات للاستمرار في إدارة أمور الدولة الإسلاميَّة ماعدا تعيينه أبا بكر لقيادة المسلمين في الصلوات»[2] وهو افتراء واضح من مستشرق له مكانته العلميَّة ونتاجاته القيمة في الحقل الاستشراقي، بل واستنقاص واضح منه لعقليَّة فذة كعقليَّة النبي محمد وان يترك هذا الكيان الذي بذل جهوداً جبارة في تأسيسه وبذل مابذل لديمومته من دون أن يوصي أحداً أن يتولاه بعده.

ومن بين من رفض حديث الغدير المستشرقة (لورا فاغليري) التي كتبت موضوعاً بعنوان: (اختلاف علي مع أبي بكر)، ذكرت فيه أنَّ الشيعة قد ابتدعوا كلاماً حول علي نسبوه إلى محمد وفسّروه بما يتناسب مع معتقداتهم، من أن الرسول أراد تنصيب ابن عمه وصهره خليفة، وبذلك فهي لم تذكر حديث الغدير على الرغم من أنَّها في مقالها قد اعتمدت على مصادر نقلت هذا الحديث، ومنها كتاب واقعة صفين لابن مزاحم، والذي ذكر فيه نص الحديث: «من كنت مولاه فعلي مولاه»[3].

وعلى الرغم من التطوّر الذي شهدته

١-بروكلمان، كارل، تأريخ الشعوب الإسلاميَّة، ترجمه: نبيه أمين فارس / منير البعلبكي، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠١م، ص٨٣.
٢-الشمري، ماهر جواد كاظم، النبي محمد ﷺ في مؤلفات مونتجمري وات، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العتبة العباسية المقدسة، العراق، ٢٠١٩م، ص٣٤٧.
٣-الحمداني، جمعة ثجيل عكلة، موقف المستشرقين من احداث السيرة النبويَّة(حادثة الغدير انموذجا)، بحث منشور في مجلة جامعة ي قار، ٢٠٢١م، ص٢٢٢.

الأمَّة في عهد محمد إلا أنَّه ترك أمر تنظيم خلافته، وعلى الرغم من أنَّه كان يعيش في يثرب بضعة رجال أكْفَاء، إلاّ أنَّه لم يشأ إعطاء السلطة لأحد في حياته، ولا أحدَ يعرف إذا كان لدى النبي فكرة مساعدة آل بيته للوصول إلى السلطة، ويؤكد كلامه بقوله لأنَّ النبي لم يكن لديه من أبنائه من بقي على قيد الحياة غير فاطمة، ثم يستطرد ويروي أنَّ عليّاً كان على مقربة من محمد عند وفاته، وتؤكّد الأخبار ذلك فيما روي عن علي من أنَّ الرسول مات ورأسه في صدري، وسال دمه من فمه على يدي، وتكفلت بتغسيله وساعدتني بذلك الملائكة[1] فهذه الرواية لا تثبت للمستشرق ولغيره ممن يشكك بالوصاية لعلي بقربه من الرسول محمد ﷺ بل وأحقيته بهذا الأمر من بعده؟. وتؤيد المستشرقة (يوجينا غيانة) ذلك بالقول إنَّ الرسولَ محمداً عندما توفي بالمدينة بعد هجرته إليها، لم يوصِ بالخلافة لأحد قبل موته؛ ولذلك وقع النزاع بين المهاجرين والأنصار، حتى قال بعضهم منا أمير ومنكم أمير،[2] ولا يخفى على المهتم بالدراسات الإسلاميَّة وتحديداً الدراسات المتعلقة بالسيرة النبويَّة والأحداث الملازمة لها بما فيها موضوع الغدير، يجد كثرة الدراسات والبحوث التي وضعت حول هذا الأمر وليس هناك مجال لاحصائها لاسيّما الدراسات الاستشراقيَّة المعاصرة؛ لأنَّ النتاجات العلميَّة مازالت مستمرة في هذا المجال، ولا تنضب وقد ارتأت الباحثة أن تختار نموذجاً من الصنفين: الدراسات المؤيدة لحادثة الغدير والأخرى الرافضة لها، وفي الحالين لم يكن الغرض من بحثنا هذا إحصاء آراء المستشرقين من حديث الغدير والبيعة للإمام علي وموقفهم بالرفض أو القبول بقدر ماهو توضيح الاهتمام الغربي لكلّ حدث يتعلق بالأمَّة الإسلاميَّة ومحاولة إظهار تأثيراته المستقبليَّة، وهذا يجعلنا أمام حقيقة مفادها أنَّ أغلب الدراسات التاريخيَّة التي تناولتها أقلام المستشرقين تعتمد بالدرجة الأساس على الجذور المعرفيَّة المتعلقة في أفكارهم والتي تختلف كلّ الاختلاف عن معتقداتنا ومايرتبط بها من قضايا الإمامة والعصمة من جهة، وإلى المنهجيَّة العلميَّة التي يتبعها هؤلاء المستشرقون والتي تميل إلى اعتماد الجوانب العلميَّة بعيداً عن الغيبيات والمسائل الاعتقاديَّة الراسخة من جهة أخرى؛ لذلك نجدهم يشككون في كلّ حدث يمثّل نقطة تحول مصيريَّة في تاريخ الأمَّة ويحاولون إنكاره.

١-كونسلمان، جرهارد، سطوع نجم الشيعة، ترجمة: محمد أبو رحمة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٢م، ص١٢-١٣.
٢-تاريخ الدولة الإسلاميَّة وتشريعها، ص٣٧-٣٨.

الخاتمة:

توصلتُ في هذا البحث إلى جملة من النتائج في مقدمتها:

اتَّصفت أغلب الدراسات الاستشراقيَّة بأنَّها غير منصفة للأحداث التاريخيَّة البارزة والمؤثرة في حياة الأمَّة الإسلاميَّة.

حاول أغلب المستشرقين إنكار حادثة الغدير والوصاية لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم بتولّي زمام الأمور.

تعتمد الدراسات الاستشراقيَّة على الجوانب العلميَّة التطبيقية أكثر من اعتمادها على الجوانب المصيريَّة ذات التأثر الوجداني في النفوس.

نجد التحامل الواضح من بعض من المستشرقين على أهل البيت عليهم السلام ومحاولة اعتبارهم متساويين مع غيرهم، ومن ثَمَّ إنكارهم لأمور العصمة والإمامة وغيرها من الجوانب.

بشكل عام كانت النظرة الاستشراقيَّة تجاة السيرة النبويَّة وما ارتبط بها من أحداث نظرة تعصبيَّة بعيدة عن الإنصاف ويتضح ذلك في كتابات بعض منهم.

المصادر والمراجع:

- مجمع اللغة العربيَّة، المعجم الوسيط ، القاهرة، ١٩٦٠م.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين (ت:٣٩٥هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٧٩م، ج٣.
- النعيم ، عبد الله محمد الامين، الاستشراق في السيرة النبويَّة (دراسة تاريخيَّة لاراء وات – بروكلمان– فلهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلاميَّة ، مطبعة المعهد العالي للفكر الإسلامي ، بلام ، ١٩٩٧م.
- بارت، رودي ، الدراسات الإسلاميَّة والعربيَّة في الجامعات الألمانية ،تأليف وترجمة: د. مصطفى ماهر ، القاهرة، ١٩٦٧م.
- الجهني، مانع ، الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان والأحزاب المعاصرة ، ط٤ ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر ، ١٤٢٠،ج٢.
- الجبري، عبد المتعال محمد ، السيرة النبويَّة واوهام المستشرقين ، مكتبة وهبة ، مصر ، بلا.ت.
- اركون، محمد، الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، ترجمة: هاشم صالح، ط٢، دار الساقي، د.م ، ٢٠٠٠م.
- سعيد، ادوارد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة: د.محمد عناني، رؤية للطباعة، بلا.م، ٢٠٠٨م.
- مراد ، الدكتور:يحيى، معجم أسماء المستشرقين ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلميَّة بيروت– لبنان،بلا.ت.
- خريوش، عبد الرؤوف، دور المستشرقين الفرنسيين في نقل الثقافة العربيَّة إلى الغرب، بحث منشور في موقع الكتروني.
- الطوسي، محمد بن الحسن (ت:٤٦٠)هـ ، الامالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع دار الثقافة، قم المقدسة، ١٩٩٣م.
- الاميني، الشيخ عبد الحسين النجفي، الغدير في الكتاب والسنة والادب، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات،بيروت،١٩٩٤م،ج١.
- ايرفنج، واشنطن، محمد وخلفاؤه،

ترجمة: د. هاني يحيى، المركز الثقافي العربي – بيروت ١٩٩٩م.

- سيديو، خلاصة تاريخ العرب، ترجمة: علي باشا مبارك، ط دار الآثار – بيروت – ١٤٠٠هـ.
- جياد، حاتم كريم، الإمام علي في كتابات المستشرقين دراسة تاريخيَّة تحليلية، ديوان الوقف الشيعي، بغداد، ٢٠١٢م.
- دونلدسن، دوايت م.، عقيدة الشيعة، تعريب: ع.م، مكتبة الخانجي، مطبعة السعادة، القاهرة، بلا.ت.
- بروكلمان، كارل، تأريخ الشعوب الإسلاميَّة، ترجمه: نبيه أمين فارس / منير البعلبكي، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠١م.
- الشمري، ماهر جواد كاظم، النبي محمد صل الله عليه وآلة وسلم في مؤلفات مونتجمري وات، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العتبة العباسية المقدسة، العراق، ٢٠١٩م.
- الحمداني، جمعة ثجيل عكلة، موقف المستشرقين من احداث السيرة النبويَّة(حادثة الغدير انموذجا)، بحث منشور في مجلة جامعة ي قار، ٢٠٢١م.
- كونسلمان، جرهارد، سطوع نجم الشيعة، ترجمة: محمد أبو رحمة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٢م.

فكر
الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام
والممارسة التربويَّة المعاصرة

أ.د. حسيب فقيه

أستاذ جامعي وباحث من لبنان

كشاف الكتب

تعدّ عمليَّة البحث في عطاء الإمام علي عليه السلام من أصعب ما يمكن الكتابة عنه؛ لغزارة وعمق وفكر هذه الشخصيَّة وما تحويه فيها من الإيمان الديني المطلق؛ لأنَّها متكاملة مع شخصيَّة الإنسان الرسالي الذي يطلق عليه العديد من التسميات تحمل كلّ تسمية خاصية، لها دلالاتها الواقعيَّة. تعبّر ما يحمله من صفات فريدة منها سيد العدالة وسيد الأحكام، أبو تراب، الكرار، ذو الفقار، وكل نهج البلاغة، وباب علوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، هو المؤمن الأول، لا تغلب تسمية على أخرى لكثرة فضائله ومناقبه وعلومه وفقه وقوّته فهو ذاك الايقونة التي يقتدى بها. والمرجعيَّة التي يعود إليها المنتمي والمعارض له.

كانَ الإمامُ عليٌّ عليه السلام يطمح إلى الوصول لتطبيق المنهج الإسلامي وإطاره الفكري التي يجب أن يعيها ويعترف بحقيقتها من علم بها أنّ البداية الصحيحة تحدّد النهاية الصحيحة. وأنَّ الواقع التاريخي وفكره ليس جامداً بالمكان والزمان، بل هو ممتد ومستمر على مر الايام فالسنن الإلهيَّة تحكم العلم والتعلم والتعليم من أجل صالح الإنسان.

أعطى النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم الإمامَ عليّاً عليه السلام أدواراً عديدة تظهر أهمّيّة اختياره، ومنها باب مدينة العلم مقيدة به تلزم كلّ متعلّم عند الدخول إلى هذه المدينة أن يطرق الباب العلوي؛ لما فيه من منهج واسع الأفق، محدد الأطراف بالأهداف الإلهيَّة على الرغم من العمق الكبير والمضمون؛ لهذا جاءت فكرة الكشف عن النواة والأهمّيّة التي قام بها الإمام علي عليه السلام المفكر الديني والإيماني التي ينادي بها الدين طبقاً للقيم والعادات والأعراف الإلهيَّة السمحاء. وعبر الفهم والممارسة الواعية بكلِّ مجالاتها واستخداماتها، فأصبح المرجع والنموذج السليم لمنهج الحياة والآخرة. وتناسق وبناء يعود بأحاديثه وخطبه إلى الفكر الإسلامي الصحيح.

إنَّ المتأمّل للطبيعة الدينيَّة والإنسانيَّة في حياة الإمام علي يجد نفسه مجبراً أن يبحث ويتعمَّق في البحث عن الفكر الذي امتلكه الإمام في النظم والممارسات الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والثقافيَّة والسياسيَّة والتربويَّة التي خطَّها بوصفه مفكراً وداعياً ومصلحاً ومؤتمناً على بقاء واستمرار الدعوة الإلهيَّة.

يتحدّد موضوع الدراسة بالسؤال الرئيس الآتي:

ما الممارسة الاجتماعيَّة التربويَّة المعاصرة في فكر الإمام علي عليه السلام؟

ويتفرع من هذا التساؤل عدد من الأسئلة:

ما المبادئ التربويَّة في فكر الإمام علي؟

ما الأساليب التربويَّة في فكر الإمام علي بن أبي طالب

ما التطبيقات التربويَّة والتعليميَّة المعاصرة لهذا الفكر

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

تبيان الانتماء الفكري والتطبيقي للإمام علي عليه السلام مع الإسلام كمنهج مؤتمن عليه.

طروحات الإمام علي عليه السلام في قضايا المجتمع العلميَّة والتربويَّة من المنظور الإسلامي الأصيل.

إظهار المبادئ التربويَّة في فكر الإمام علي عليه السلام

التعرف على الأساليب التربويَّة في فكر الإمام علي عليه السلام

مقاربة التطبيقات المعاصرة في التربية والتعليم مع فكر الإمام علي عليه السلام.

خاصية المقارنة، في فكر الإمام علي عليه السلام بينه وبين ما يتم في الحياة التربويَّة اليوم.

أهمية الدراسة

يمكن إظهار أهمية الدراسة عن طريق جانبين أساسيين هما:

الأهمية النظريَّة لفكر الإمام علي عليه السلام التربوي والتعليمي

إنَّ دراسة الفكر التربوي والتعليمي لشخصيَّة فذّة ومؤتمنة على الروح والنص، وحد تجاوز هذه الشخصيَّة ذاتها إلى المجتمع كوحدة واحدة مبنية على الإنسان وحركته نحو الكمال الإنساني والقيمي والأخلاقي.

الأهمّية التطبيقيَّة العمليَّة عن طريق الفكر والشخصيَّة، تمتد من الأرض من عهد أبي البشريَّة وصولاً إلى المطلق والمكان الكمالي في السماء. وتؤسس كقواعد مبنية اعتمدت في الدراسة عن طريق الارتباط بحركة الإنسان وصولاً إلى البعد الإلهي بحيث يعجز كلّ باحث أو متعلم أن يعطي حقّه كاملاً.

المنهج

المنهج هو «الطريق المؤدّي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم المختلفة، وذلك عن طريق جملة من القواعد العامَّة التي تسيطر على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة مقبولة ومعلومة»[1].

فقد أُستعمل المنهج الوصفي التاريخي التحليلي كونه المنهج الذي يعول عليه في تحليل معطيات العصر عبر التاريخ والاتجاهات الاجتماعيَّة والثقافيَّة للمجتمع الإسلامي. فضلاً عن أن دراسة فكر الإمام علي عليه السلام وآرائه التربويَّة تحتاج إلى تحليل.

وما يمكن استنباطه من فكر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من مبادئ وقيم، وأساليب في التربية بحيث أصبحت أسساً وقواعدَ في علم اجتماع العام والفكر التربوي والاجتماعي وتطبيقات الممارسة تصلح لأي زمان ومكان.

تعدّ التربية الفكر والتنشئة الصحيحة من المهد إلى اللحد وهي موجهة إلى تهذيب النفوس وبناء الشخصيَّة السويَّة عن طريق التربية الصالحة التي رسمها الله سبحانه وتعالى عن طريق الأئمة الأطهار الذين حافظوا على الأحكام الشرعيَّة الأصيلة وتلقين المعارف المحمّديَّة، ويعرفون الناس ما لهم وما عليهم في كلّ شيء[2].

وتعدّ التربية علماً؛ كونها حقائق منظمة قائمة على التجارب المتعدّدة ليصبح الإنسان عضواً صالحاً في المجتمع، وأن هدف العمليَّة التربويَّة هو تغيير الفرد حتى ينمو ويتغير ويتطوّر سلوكه ومن ثمة يستطيع أن يسهم في تغيير وتطوير مجتمع[3]. وهي تتضمَّن جميع العمليات التي تتم بواسطتها تنمية قدرات الفرد واتجاهاته، ولكلّ نظام تربوي مجموعة من المبادئ التي تختلف في الكمّ والكيف من تربية لأخرى، ومبادئ التربية هي المسؤولة عن توجيه العمليَّة التربويَّة، ووضع المناهج والأنظمة، وحلّ مشكلات فضلاً عن التقويم[4].

وبما أنَّ وظيفة التربية تكون أساساً

١-عامر قندلجي: البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات، مؤسسة اليازوري للنشر والتوزيع، د ط، عمان، الأردن، ١٩٩٩، ص٣١

٢-علاء الدين السيد أمير محمد القزويني، ١٩٨٦، الفكر التربوي عند الشيعة الإمامية، مكتبة الفقيه الكويت، ط٢، ص٣١

٣-إبراهيم عبد العزيز دعيج، التربية دار القاهرة١، القاهرة،٢٠٠٧، ص٣١

٤-يالجن، مقداد (١٤٣٢ ه) منهج أصول التربية الإسلامية المطور. ط ٢،الرياض: دار عالم الكتب. ص١٧٨

في نقل التراث من جيل إلى آخر، وفي اكتساب الخبرة المتزايدة كأساس لنمو الأنظمة الاجتماعيَّة وتعديلها وتطويرها، وأنَّ للتربية مكانتها في المجتمع؛ إذ تعمل على تزويده بالمواقف التي تثير وتنمي قدراته الابتكارية وتفكيره الخلّاق المتطلّع لمستقبل سعيد عن طريق حياته الحاضرة[1].

فالتربية الإسلامية هي عمليَّة مقصودة تستضيء بنور الدين الإسلامي وتهدف إلى بناء الصورة المثالية في الإنسان، المؤمن بالله، والعامل بأحكامه.

تتلخَّص بكلمة قالها الإمام علي عليه السلام لولده الحسن عليه السلام :»ولا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وقَدْ جَعَلَكَ اللهُ حُرّاً» وهي تقوم على حريَّة الإنسان[2].

وهذه الممارسة والخطب والرسائل تعبّر عن واقع معيش أو يفترض أن يعاش في نظرة عقليَّة وعمليَّة لمنهج فكري يحمل جملاً متنوعة من الأفكار والآراء والنظريّات التي تعبّر عن رؤية إلهيَّة تعبّر عن المبادئ والمفاهيم والآليات وهي ليست فطريَّة، ولا غريزيَّة بقدر ما هي مكتسبة يكتسبها الإنسان نتيجة احتكاكه بمحيطه الطبيعي والاجتماعي[3].

وهذا الفكر التوحيدي هو جملة من المبادئ الفكريَّة والمنطلقات الأساسيَّة التي تحكم العمل التربوي وتحدّد طبيعته ومساراته في البيئات الاجتماعيَّة، ويعبّر عن هذه المبادئ والمنطلقات عن طريق تحديد المفاهيم الأساسيَّة للتنشئة والتربية والتعليم والتدريب والتثقيف والتوعية وهي العناصر الرئيسة للتربية الشمولية في أي مجتمع بمختلف مستوياته[4].

إنَّ تعليم مهارات التفكير هو بمنزلة تزويد المتعلّم بالأدوات التي يحتاجها حتى يتمكّن من التعامل بفعاليَّة مع أي نوع من المعلومات أو المتغيّرات التي يأتي بها المستقبل[5].

يعدّ العقل البشرى محوراً لتطوير العمليَّة التعليميَّة ويقوم المتعلّم باكتساب العديد من المعارف والمهارات والتي يقوم

١-منير المرسي سرحان، ١٩٨١، في اجتماعيات التربية، دار النهضة العربية بيروت، ص ص. (٢٦ -٢٥
٢-المهاجر عبد الحميد ١٩٩٢، الإمام علي سيرته الذاتيَّة وفكره الحضاري ١، مؤسسة العلمي للمطبوعات، بيروت، ص٥١
٣-محمد عابد الجابري، إشكالية الفكر العربي المعاصر مجلة المستقبل العربي١٩٨٤،٦٩.، ص٦٩
٤-حسن جميل طه، ٢٠٠٧،الفكر التربوي المعاصر وجذوره الفلسفية، دار المسيرة،ط١،عمان، ص١٩
٥-فتحي عبد الرحمان جروان، تعليم التفكير-مفاهيم وتطبيقات، دار الكتاب الجامعي، العين، الإمارات العربية المتحدة، ط:١،١٩٩٩، ص١٦

بها عقل كلّ متعلّم، وأن عادات العقل تمثّل مجموعة من السلوكيّات المبدعة الذكيَّة التي يستخدمها العديد من المتعلمين في المدرسة في حلّ المشكلات وتنظيم بيئات التعلّم مما يدعم النجاح الأكاديمي لكلِّ متعلّم. وهنا يظهر التمييز الأكاديمي في التحصيل العلمي.

فالعقلُ عند الإنسان «ليس ملكة الاستدلال والحساب فقط، فيه نقابل بين العقل (أو الرشد) والهوى (أو الغي)، وبين الصح والخطأ وتحديد الأسس العمليَّة للفعل الصحيح والسليم. وهذا ما أراده النبي محمد ﷺ، أن يجمع بالقرائن لموقع ودور الإمام الأول الذي رافق انطلاقة الدعوة الدينيَّة حين قال: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في تقواه وإلى إبراهيم في حلمه وإلى موسى في هيبته وإلى عيسى في عبادته، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب"[1].

وأنّ العقلَ المسؤول عن عمليَّة التفكير والمعرفة وضبط المشاعر والأحاسيس وعادات العقل هي النزعة التي تكون لدى الفرد عندما يتصرف بذكاء إذا واجه مشكلة ما ولا توفر الإجابة في بنيته المعرفيَّة[2].

فأحدُ الملامح المؤهّلة لدخول هذا العصر هو ضرورة ممارسة عادات العقل للتعامل مع المتناقضات الفكريَّة والعلميَّة والأخلاقيَّة في المجتمع، وأن تنمية عادات العقل لدى المتعلّمين يعدّ من أهم أهداف العمليَّة التعليميَّة، ويتم ذاك في المراحل التعليميَّة المختلفة حتى يتعود المتعلّم ممارسة تلك العادات في التعامل مع الأمور المختلفة في الحياة المدرسيَّة وبالتالي في الحياة الاعتياديَّة خارج المدرسة، فلا يتأثر بكلِّ ما يقال أو يثار فعندما تكون استخدام عادات العقل ضعيفة تجعل استخدام العقل ضعيف؛ لأنَّ تراكمَ المعرفة والتجربة هي عمليَّة اجتماعيَّة تاريخيَّة قوامها نشاط بشري موجه نحو فهم الواقع و تصوير هذا الواقع في وعي أعضاء مجتمع معين"[3].

لا يمكن تأمين رفاهية وحاجات المجتمع وأفراده إلّا بالعلم النافع والمفيد فهو من الفضائل والتمجيد لما يحمل فيه من خصال حميدة في الاستفادة من تقدّم

١-بحار الأنوار. ط١. مجلد٢. ص١٨٩

2-Costa، A.، & Kallick، B. (2009). Habits of mind across the curriculum، practical and creative strategies for teachers. Association for supervision and curriculum development.

٣-نبيل رمزي: سوسيولوجيا المعرفة، د.ط، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٠١، ص١١.

البشريَّة والتي تواترت الأدلة في الآيات والأحاديث.

قال الإمام علي عليه السلام «اكتسبوا العلم يكسبكم الحياة»[1]، فبالعلم يستطيع الإنسان أن يقود مسيرة حياته وأن يُحسن معيشته، ويزيد من قوة وثروة الأمَّة، وهذا ما يعطيه أهمّية في حياة الإنسانيَّة جمعاء، بأنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياء؛ لأنَّ كلمة العلم؛ كانت لا تستعمل إلّا في العلم الديني، ومع الأيام شمل العلم كلّ ما ينتجه العقل.

والإنسانُ بعقله يستكشف الأشياء وظواهرها وقوانينها، وعلاقتها بأمثالها وما يحيط بها. ويعدّ العلم العُنصر الأهم في تطوّر الفرد، إذ يوفّر للإنسان ما يحتاجه من معارف، ومهارات، ومعلومات، ويزيد هذا العلم في تطوّر المجتمع. المقصودُ بالعلمِ النافع المفيد الذي يسهمُ في التقدمِ الحضاري والإثراءِ المعرفي، ويقوي ويعزز قدرةَ المجتمع. ذلك أن العلم نور الذي يضيء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ومن الضلالة إلى الهداية ومن الحيرة إلى الرشد من الحاجة إلى الاستفادة والرفاهيّة.

فقد رفعَ اللهُ الإنسان بصورة خاصَّة ليس بالإيمان فقط، بل بالعلم والعمل، والرفع والسمو ليس فقط في هذه الدنيا، بل هذه الرفعة تمضي معه إلى الاخرة كما قال سبحانه: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[2]، وفرّق بينهم وبين أهل الجهل فقال: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[3]

التربية الأخلاقية:

تلقى الإمام عليّ عليه السلام معارفه من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، واستقى من بحر علمه وأخلاقه، فكان أعلى درجات السماحة والخلق المميز.

في حين يرى دوركايم أنه يجب القيام بعلمنة الأخلاق، بحيث نقوم بإفراغ الأخلاق من المحتوى الديني ونشحنها بالمبادئ العلميَّة والعقليَّة، حتى تكون أخلاق مسايرة للعصر.

«التربية التي لا تستند إلى المبادئ لا تقوم على الديانات المنزلة، وإنما ترتكز فقط على أفكار ومبادئ يراها العقل وحده، أي أنَّها خالصة في تربية عقلية»

١-الغرر ٢٤٠-٢٤٢
٢-الزمر، ٩.
٣-المجادلة ١١.

العلمُ منتجٌ إنسانيٌّ يهدف إلى الكشف عن حقائق الكون وفهمهما، وهو -أي العلم- ظاهرةٌ اجتماعيَّةٌ متميزة ترتبط مع الظواهر الاجتماعيَّة الأخرى ارتباطاً وثيقاً، وإن التطبيق العملي للعلاقة بين الفكر والعلم إنما يتشكل عن طريق الجدل الدائر في المقارنة بين الدراسات النظريَّة والدراسات العمليَّة، وحاجة المجتمع في مستقبله القريب إلى العمل، فلا يستقيم الحديث عن العلوم المعرفيَّة وإعادة تشكيلها للعقل فقد حث الله تعالى الإنسان على التفكير والنظر في الكون والتأمل في الظواهر الكونيَّة المختلفة، قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [1].

منشأ العلم العلوي

قال الإمام علي عليه السلام أنا أخو رسول الله ووارث علمه، ومعدن حكمه، وصاحب سره، وما أنزل الله حرفاً في كتاب من كتبه إلا وقد صار إلي، وزاد لي علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، أعطيت علم الأنساب والأسباب، وأعطيت ألف مفتاح يفتح كلّ مفتاح ألف باب، ومددت بعلم القدر، وإن ذلك يجري في الأوصياء من بعدي ما جرى الليل والنهار حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين.

لقد قرن شهادة العلماء بشهادة الملائكة: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [2]، ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [3].

و"التزكية تفعيل من الزكاة، بمعنى النموّ الصالح، الذي يلازم الخير والبركة، فتزكيته لهم تنميته لهم نماء صالحاً بتعويدهم الأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة، فيكملون بذلك في إنسانيّتهم فيستقيم حالهم في دنياهم وآخرتهم، يعيشون سعداء ويموتون سعداء" [4].

وهذا ما قام به رسول الله في تزكية الإمام علي عليه السلام حين قال: «إنَّ عليّاً راية الهدى، وإمام أوليائي، ونور من أطاعني

١-العنكبوت الاية ٢٠
٢-(آل عمران: الآية: ١٨)
٣-سورة آل عمران، الآية ١٦٤
٤-محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ج١٩، بيروت، ص٢٦٤.

وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين، من أحبَّه فقد أحبَّني ومن أطاعه فقد أطاعني»[1].

وقد ذكر القرطبي (١٤٢٠)، ج ٦، ص ٢٧٠، عن فضائل الإمام علي عليه السلام، «قد خصَّ من العلم والشجاعة والحلم، والزهد والورع وكامل الأخلاق ما لا يسعه كتاب ولا يحويه حصر حساب"[2]

يعرف ستيورات ميل التربية: أنَّها كلّ ما نفعله نحن بأنفسنا، وكلّ ما يفعله الآخرون من أجلنا، وذلك بهدف الاقتراب من تحقيق كمالنا الخاص بطبيعتنا[3]. في حين يرى دوركايم أن هذا التعريف للتربية يحمل في داخله مجموعة من التناقضات، ولا يمكن الجمع بينهما في إطار واحد. مرد ذلك هو أن التأثير الذي تمارسه الأشياء في الإنسان ليس هو نفس التأثير الذي يمارسه الناس في الناس[4]، يعرف دوركايم التربية: أنها الفعل الذي تمارسه الأجيال الراشدة على الأجيال التي لم ترشد بعد من أجل الحياة الاجتماعيَّة[5]

لذلك أصبح علماء الاجتماع ينظرون إلى التربية باعتبارها ظاهرة اجتماعيَّة، فعندما يوجد الفرد في حال تفاعل مع غيره من أفراد مجتمعه تنبثق التربية كظاهرة محددة لأنماط التفاعل والضوابط التي تشكل طبيعة العلاقات الاجتماعيَّة[6].

العالم والمتعلم

قال الإمام علي عليه السلام:» كانت الحكماء فيما مضى تقول يحسن بالإنسان أن يسعى إلى أبواب العلماء الذين يستفاد منهم علم الدين والدنيا»[7]

«يا طالب العلم، إنَّ العلم ذو فضائل كثيرة، فرأسه التواضع، وعينه البراءة من الحسد، واذنه الفهم، ولسانه الصدق، وحفظه الفحص، وقلبه حسن النية،

١- محمد بن علي ابن بابويه القمي (١٩٧٠) امالي الصدوق، المطبعة الحيدرية، النجف.
٢-القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم (١٤٢٠ ه). المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم. تحقيق: محيي الدين ديب مستو، ويوسف بديوي، وأحمد السيد، ومحمود بزال. ط ٢، دمشق: دار ابن كثير.
٣-(إميل دوركايم، ١٩٩٦ ص ٥٥)
٤-(إميل دوركايم، ١٩٩٦ ص ٥٦
٥-(إميل دوركايم،١٩٩٦، ص٦٨
٦-حسين عبد الحميد رشوان، ٢٠١٠، ص٥
٧-الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق،(د.ت) :- أصول الكافي، مطبعة حيدري، بيروت .ص٥٦.

وعقله معرفة الاشياء والأمور، ويده الرحمة، ورجله زيارة العلماء، وهمته السلامة، وحكمته الورع، ومستقرة النجاة، وعافيته العافية وجيشه محاورة العلماء، وماه الادب، وذخيرته اجتناب الذنوب، وزاده المعروف، وماؤه الموادعة، ودليله الهدى، ورفيقه محبة الأخيار»[١]

ثم إنَّ العلم شرف يرفع بصاحبه إلى مقامات سامية ولو كان وضيع النسب، قال الإمام علي عليه السلام: «العلم أشرف الأَحساب». [٢]، «ما أخذ اللهُ العهد على أهل الجهلِ، أن يتعلمُوا، حتّى أخذ على أهل العلمِ العهد أن يعلمُوا»[٣].

إلزاميَّة العطاء بالتعليم:

المتعلمُ هو كلّ إنسان راغب في اكتساب العلم والاستمرار في التحصيل[٤]، وإذا جلس المتعلّم بين يدي العالم فتح الله له سبعين باباً من الرحمة[٥].

قال الإمام علي عليه السلام: «لكن من حقّ العالم ألّا تكثر عليه السؤال ولا تأخذ بثوبه، وإذا دخلت عليه وعنده قوم فسلم عليهم جميعا وخصَّه بالتحية دونهم، واجلس بين يديه ولا تجلس خلفه ولا تغمز بعينك ولا تشر بيدك ولا تكثر من القول: قال فلان وقال فلان، خلافاً لقوله، ولا تضجر بطول صحبته" [٦]، «كلّ يوم لا ازداد فيه علماً فلا بورك في طلوع شمس ذلك اليوم" [٧].

١- الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق، (د.ت): - أصول الكافي، مطبعة حيدري بيروت، ص٦٠
٢- بحار الأنوار١: ١٨٣. الشيخ محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار - دار إحياء التراث العربي. لبنان بيروت.
٣-أبو الحسن علي بن محمد الماوردي ١٤٠٥ ه أدب الدنيا والدين. تحقيق: محمد كريم راجح. ط ٤، بيروت: دار اقرأ، ص٨٨
٤-عبد الامير شمس الدين الفكر التربوي عند ابن سحنون، دار اقرأ، بيروت، ص١٩٥
٥-الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق، (د.ت): - أصول الكافي، مطبعة حيدري، بيروت. ص٤٢.
٦-الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق، (د.ت): - أصول الكافي، مطبعة حيدري، بيروت، ص٤٦؛ عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي(١٩٩٢): غرر الحكم ودرر الكلم، دار الهادي ودار الصفوة، بيروت
٧-الخطيب، محمد؛ متولي، مصطفى؛ عبد الجواد، نور الدين؛ الغبان، محروس؛ الفزاني، فتحية.) ١٤٢٥ هـ (أصول التربية الإسلامية. ط ٤،الرياض: دار الخريجي.

ولا كنز أنفع من العلم [1].

قال الإمام عليه السلام :» لا تجارة كالعمل الصالح، ولا ربح كالثواب، ولا فائدة كالتوفيق، ولا حسب كالتواضع، ولا شرف كالعلم" [2].

والعلمُ يرشدك، والعمل يبلغ بك الغاية. وبحسن العمل تجنى ثمرة العلم لا بحسن القول. إنَّما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده، فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح [3].

فمن أراد أن يزيد علمه، عليه أن يعلم بمكمن جهله أولاً ومن هنا، فالضعف والضياع الموجود ناتجٌ عن انعدام رؤية واضحة ومنهجية صحيحة للأهداف التي أن تحققها في المستقبل، ثم يليه غياب فهمِ ما وجب تعلمه أو ما يُعرف بفقه الأولويات، ثم بغياب العمل أو السلوك المصاحب للعلم..

فهو يعتقد أنَّ كثرة العلوم لا تغني ولا تعوض عن العمل وحسن الاتجاه والسيرة الخيرة والإمام عليه السلام لا يريد العلم من أجل العلم أو من أجل شيء آخر، بل يريده من أجل التغيير والتبديل والنمو لذلك كان يؤمن بفاعلية الجهاد وأوله جهاد النفس عبر الفكر الإسلامي.

التربية المدرسية:

فالمدرسةُ مؤسسةٌ متخصّصةٌ أنشأها المجتمع لتربية أفراده وتعليمهم، وهي أيضاً مجتمع مصغّر يشبه المجتمع الكبير؛ لأنَّها تضمّ داخلها مجموعة من الأنشطة والعلاقات الاجتماعيَّة المتعدّدة وعلاقتها بالمجتمع علاقة متبادلة، وتعدّ وسطاً تربويّاً تتميز عن الأوساط الاجتماعيَّة الأخرى نظراً لخبراتها التربويَّة المقصودة، وتسهم في بناء النظام الاجتماعي [4].

لذلك نجد إميل دوركايم يعدّ المدرسة تعبيراً امتيازيّاً للمجتمع الذي يوليها أن تنقل إلى الأطفال قيماً ثقافيَّة وأخلاقيَّة واجتماعيَّة يعدّها ضرورة لتشكيل الراشد وادماجه في بيئته ووسطه، فهي مؤسسة اجتماعيَّة ينشئها المجتمع بهدف تأهيل

١-الخطيب وآخرون، ١٤٢٥ ه، ص ٢٦٧
٢-بحار الأنوار١: ١٦٥
٣-نهج البلاغة الكتاب ٥٣؛ الميداني، أحمد بن محمد النيسابوري.) ١٣٧٤ هـ (. مجمع الأمثال. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: دار المعرفة، ج٢، ص ٤٥٤.
٤-علي بوعناقة وبلقاسم سالطنية، علم الاجتماع التربوي، مدخل ودراسة القضايا والمفاهيم، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، ب ت، ص٢٠٢

النشء للحياة الاجتماعيَّة عن طريق التربية [1].

المدرسةُ مؤسسةٌ اجتماعيَّةٌ تربويَّةٌ أنشأها المجتمع عن قصد لتنشئة الأجيال الجديدة وتربيتهم بما يجعلهم أعضاء مندمجين في ثقافة مجتمعهم قادرين على الانخراط في مناشط المجتمع وتبنّي قضاياه وهمومه [2].

وإنَّ إسهام المدرسة لنوع من التوافق الاجتماعي، فالمدرسة لها وظيفة نقل من جيل لآخر للقيم المشتركة وتمثّل المحرك الأساس للاستمراريَّة الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة.

والتعليم مصطلح يطلق على مجهود يقوم به فرد أو جماعة لمساعدة المتعلّم على تحقيق هدفه، وهذا المجهود هو عمليَّة إلقاء معارف ومعلومات وخبرات من المعلم إلى المتعلّم بقصد حفز المتعلّم وإثارة قواه العقليَّة ونشاطه الذاتي وتهيئته للظروف التي تمكّنه من التعلم أياً كان نوعه [3].

من المعروف أنَّ التكوين المعرفي للعالم يمنع الانزلاق والأخطاء، وإذا كان صاحب هذا التكوين تكويناً أخلاقياً يحقق الرسالة الدينيَّة والإنسانيَّة

فالتعليم هو عمليَّة تربويَّة تتمثّل في إيصال مادة العلم إلى المتعلّم الذي هو عنصر استقبال، وهي الوظيفة التي يقوم بها المعلّم؛ لأنَّه مصدرٌ لتلقّي مادّة العلم، وبذلك يحدث فعل التعلم الذي هو عمليَّة تربويَّة تعني تلقّي المتعلّم للعلم من المعلّم.

والتعليم هو «عمليَّة إعادة بناء الخبرة التي يكتسب المتعلم بواسطتها المعرفة والمهارات والاتجاهات والقيم، إنه بعبارة أخرى مجموعة الأساليب التي يتم بواسطتها تنظيم عناصر البيئة المحيطة بالمتعلم بكل ما تتسع له كلمة البيئة من معانٍ بغرض اكتسابه خبرات تربويَّة معينة» [4]. قال الإمام علي: «لا يَرْجُوَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إلا رَبَّهُ ولا يَخَافَنَّ إلا ذَنْبَهُ ولا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ لا أَعْلَمُ ولا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ إِذَا لَمْ

١-مراد زعيمي، مؤسسات التنشئة الاجتماعية، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، ط١،٢٠٠٢، ص١٣٨

٢-أحمد علي الحاج محمد: علم الاجتماع التربوي المعاصر، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط ٢، الأردن، عمان، ٢٠١٤، ص ١٤١

٣-خالد محم-د، أبو شعيرة، المدخل إلى علم التربية، الأردن: مكتبة المجمع العربي، ٢٠٠٩، ص.٢٥٤.

٤-مراد فايز، دندش، في أصول التربية، الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا النشر والطباعة، ٢٠٠٤، ص.٩٥.

يَعْلَمِ الشَّيْءَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ»[1].

تعليم الاطفال

أكَّدتِ العديد من الدراسات التي تناولت أساليب التعلّم داخل الفصل الدراسي، أن التعليم التقليدي المتمركز حول المعلم يهدف إلى المستوى الأدنى من مهارات التفكير، وهذا يتلخَّص في البحث عن حلّ المشكلة أكثر من الإحساس بالمشكلة[2].

إذ وضع المختصون في علوم التربية والتعليم برامج وطرق تنفع الأطفال في تعليمهم وتعلمهم، لاسيّما أن الأطفال يأتون من بيوت تكثر فيها القيود والأوامر بأهمية تعلمهم وتميزهم بين أقرانهم واكتساب المزيد من الخبرات والمعارف من معلميهم تتناسب مع حاجاتهم ومتطلباتهم، ليتكيفوا مع العالم الخارجي من المدرسة.

وعن أهمّية تعليم الأطفال، قال الإمام علي عليه السلام: «علّموا صبيانكم من علمنا ما ينفعهم الله به لا تغلب عليهم المرجئة برأيها»[3].

فحاسّة التقبّل عند الطفل شديدة، تعكس صورة المجتمع الذي تعيش فيه، فالإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول: «إنّما قلب الحَدَث كالأرض الخالية ما أُلقي فيها من شيء قبلته»[4].

أصبح المرجع في أمور الحياة والمعاش وفي كيفيَّة تربية الفرد عن طريق دعوته إلى حفظ جوارحه مع اندماجه فعليا بين العامَّة والنخب لا اختلاف بينهما فكان له مكانة علميَّة وسياسيَّة وقضائيَّة وفي مجال التربية والتعليم، بحيث وضح أهمية التربية للنشء وتعليمهم حتى يتحقق الاستقرار والأمن الاجتماعي إلى التطور والنمو الإنساني والحضاري[5].

١-نوال ناظم محمود: التعليم في العصر العباسي الاول في العراق رسالة ماجيستير ١٩٩٠، جامعة بغداد، ص ٢٤.
٢-عبد المنعم أبو الدردير، دراسات معاصرة في علم النفس المعرفي، عالم الكتب للنشر والتوزيع القاهرة، مصر، ط:١،٢٠٠٤، ص ٢٧٤.
٣-الوسائل ٢١: ٥٧٨ - ٥ باب ٨٤ من أبواب أحكام الأولاد.
٤-نهج البلاغة، من وصية له لولده الحسن
٥-البركاتي، نواف بن نامي بن عبد الله ٢٠٠٠، بعض الآراء المستنبطة من خطب وأقوال الخليفة الراشد علي بن أبي طالب عليه السلام، أطروحة ماجستير تقدم بها إلى مجلس كلية التربية بمكة المكرمة، جامعة أم القرى. الحر العاملي: وسائل الشيعة (آل البيت) مصادر الحديث الشيعية ـ قسم الفقه تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التُّراثِ، ; دار النشر: المكتبة النجفية، النجف

لذا نجدُ الإمامَ عليّاً عليه السلام يوصي الآباء بقوله:»مروا أولادكم بطلب العلم[1].

الأساليب: الأساليب في اللغة: «جمع أسلوب، ويقال للسطر من النخيل: أسلوب، وكلّ طريق ممتد فهو أسلوب، قال: والأسلوب الطريق، والوجه، والمذهب، والأسلوب بالضمّ: الفن، ويقال أخذ فلان في أساليب القول أي أفانين فيه"[2].

ومعنى الأسلوب اصطلاحاً في مجال التربية "طرق التعليم والتربية».[3]

ويرتكز اكتساب القدرات والمهارات على نشاط يمارسه المتعلّم في عدّة مواضيع تعليميَّة، فضلاً عن تعزيز المكتسبات، وتتحقق بالتطبيقات المستمرَّة إلى جانب تقديم هذه المكتسبات[4].

قال تعالى: ﴿قُلْ هلْ يستَوِي الَّذِين يعلمون والَّذِين لَا يعلَمون إِنَّما يتَذَكَّر أُولُوا الْأَلْبابِ﴾[5]. ترفع قيمة المعلم والاهتمام بالتعليم، توضح هذه الأدوار فائدة المعرفة العلميَّة بوصفها منفعة عامة، "التعليم التعاوني أسلوب تعليمي يقوم على تنظيم الصف، إلى مجموعات صغيرة، يتعاونون مع بعضهم البعض، ويتفاعلون فيما بينهم، ويناقشون الأفكار، ويسعون إلى حل المشكلات»[6]، ويصبح كلّ عضو في المجموعة مسؤولاً عن تعلم زملائه كما هو مسؤول عن تعلمه وهذه الاستراتيجية تقلل من أداء وجهد المعلم اما المتعلم هو ما يكتسب الفرد من معلومات ومهارات عن طريق الجماعة الصغيرة المتجانسة التي يتفاعل داخل الصف[7]، «وحسبك من العلم أن تخشى الله وحسبك من الجهل أن تعجب بعلمك»[8].

١-علاء الدين علي المتقى بن حسام الدين الهندي البرهان فوري والمشهور بالمتقي الهندي،كنز العمال، تحقيق: ضبط وتفسير : الشيخ بكري حياني / تصحيح وفهرسة : الشيخ صفوة السقا، الطبعة، سنة الطبع: ١٤٠٩ - ١٩٨٩ م ١٦ : ٥٨٤ - ٤٥٩٥٣
٢-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م، ص ٤٣٧.
٣-ياجن مقداد. (١٤٣٢ هـ (منهج أصول التربية الإسلامية المطور. ط ٢،الرياض: دار عالم الكتب، ص ٢٠٧.
٤-قريسي ظريفة، اللغة العربية، وتكوين المعلمين، ص ١٠٤.
٥-الزمر، ٩.
٦-عفت مصطفى الطناوي، التدريس الفعال – تخطيطه – مهاراته- استراتيجياته- تقويمه، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ٢٠١٦، ص ٢٠١٤
٧- حجازي :٢٠٠٥
٨- امالي الطوسي. ج١، ص٥٥. بحار الأنوار ص٤٨ ح ٧.

أسلوب التعليم

سيكون أقوام يحملون العلم، يجلسون حلقاً فيما بين بعضهم بعض، حتى أن أحدهم ليغضب على جليسه حين يجلس إلى غيره ويدعه أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله عزّ وجلّ [1].

مهارة عصف الأفكار

العصفُ الذهنيُّ وسيلةٌ ذهنيَّةٌ للحصول على أكبر عدد من الأفكار من مجموعة معينة، مشاركة الطفل الأفكار مع مجموعة من الأطفال يقول الإمام عليّ عليه السلام: "اضربوا بعض الرأي ببعض يتولّد منه الصواب"[2].

إبداء الطفل رأيه ومناقشة الآخرين بآرائهم وعدم تعصب الطفل لأفكاره؛لأنَّ الإمامَ عليّاً عليه السلام نهى عنه بقوله:»من استبدّ برأيه هلك"[3].

القراءة

إنّ تعلّم القراءة والكتابة هي حسنة، وكذلك خدمة الناس والعمل وتحمّل العناء من أجلهم وحفظ الأمانة وقول الحقّ إن العلم ليس مسؤولية فرديَّة فحسب، بل هو مسؤولية جماعيَّة أن يكون صوت العلم مسموعاً بوضوح في المجال العام، ولكن عندما تكون التدخلات الفرديَّة أكثر نفوذاً على الطرق المحكمة والدقيقة التي يفضلها العلماء من الأصوات الأخرى الأكثر إقناعاً نفسيّاً، أو غارقة في ضجّة الجدل.

أمّا كلامه في نهج البلاغة فهو أفصح كلام إنسان عند العرب، ونهج البلاغة ذروة في الفنّ والجمال؛ جمال اللفظ وجمال المعنى، ويبهر العقول، ولم يستطع أي شاعر عربي كبير أو كاتب أو أديب عربي أن يقول إنّه غنيّ عن الرجوع إلى نهج البلاغة.

تعدّ القراءة من أهم فنون اللغة وهي وسيلة تعلميَّة وتعليميَّة لاكتساب المعرفة وتساعده على الاتصال والتواصل والاندماج في المجتمع. والقراءة تنظّم الأفكار.

إذ بإمكان اللسان النطق بكثير من الأشياء، أمّا ما يأخذ بِيَدِ الإنسانيَّة لسلوك صراط الله فهو سيرة وأفعال من يقع عليه الاختيار ليكون إماماً للناس، سواء على

١ - البغدادي، ج١، ٨٩
٢-الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص٩١.
٣-نهج البلاغة، ج٤، باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام، حكمة ١٦١.

مستوى المجتمع أم أدنى مستوى من ذلك. ثمّ يقول عليه السلام: "وَمُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالإِجْلاَلِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ".

الخط

والخطّ يعود إجادة الكتابة وتنسيقها، ويوصى بالإتقان، ويكسب المهارة، ويقوى الملاحظة، مما يربي حسن الذوق، وإدراك الجمال[1].

وأنَّ تحسين خط كتابته لما له من راحة ذاتيَّة ونفسيَّة:»الق دواتك واطل سن قلمك وأفرج بين السطور وقرمط بين الحروف»[2]، قرمط قارب قرمط اي كتبه دقيقا قصير الاحرف [3] .

وقال الإمام علي عليه السلام: «الخط علامة كلما كان أبين كلما كان أحسن»[4]

فالكتابةُ هو «عملٌ عقليٌّ شعوريٌّ لفظيٌّ، يتّصل بتكوين الأفكار أو إبداعها ووضعها على الصفحة البيضاء وفي قواعد السلامة في التهجّي، والتنظيم في الترقيم، والوضوح والجمال في الخط "[5].

إذ تتضمَّن الكتابة ثلاث قواعد رئيسة هي: القدرة على التعبير عن الأفكار في نظام واضح دقيق، والقدرة على الرسم الصحيح للكلمات، والقدرة على الكتابة بخط واضح [6]. وأنَّ الكتابة تعتمد على مجموعة من العمليات والتآزر العضلي العصبي للتنسيق بين حركة اليد والعين، والسيطرة على عضلات اليد، وتحليل الكلمات بوصل الحروف داخلها، وترك المسافات بين الكلمات، وبين الجمل [7]

وأهمّية الإملاء، قال الإمام جعفر الصادق: «دعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام ودعا بدفتر، فأملى عليه رسول الله صلى

١-عبد المنعم سيد عبد العال: طرق تدريس اللغة العربية، القاهرة، مكتبة غريب، د.س،ص. ص١٢٧-١٢٩
٢- البغدادي، ج١، ٢٦٢
٣-محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، المحقق محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة الخامسة، سنة النشر ١٤٠٦، مؤسسة الرسالة، بيروت
٤- البغدادي، ج١، ٢٦١
٥-علي أحمد مدكور (٢٠٠٧) طرق تدريس اللغة العربية. عمان: دار المسيرة، ص ٢٢٩.
٦-رشدي طعيمة، محمد مناع (٢٠٠٠: (تعليم العربية والدين بين العلم والفن، القاهرة، دار الفكر العربي، ص ١٦١.
٧-سمير عبد الوهاب وآخرون (٢٠٠٢) تعلم القراءة والكتابة في المرحلة الابتدائية، المنصورة، المكتبة العصرية، ص ١١٢.

الله عليهـا»[1].

الخطبـة التربويَّـة التعليميَّـة: هـي أسـلوبٌ تربـويٌّ تشـبه مـا يعـرف حاليـاً باسـم المحـاضرة، وهـذا أسـلوب شـائع في المؤسسـات التربويَّـة، وغيرهـا مـن المؤسّسـات والنشـاطات التـي تفيـد في تحقيـق الأهـداف مـن اسـتخدامها:

نقل المعلومات إلى المتعلمين.

العلـم الكسـبي الحصـولي ويـدلّ عليـه في أهمّيتـه عـلى أمـير المؤمنـين عليه السلام: «علمني رسـول الله صلى الله عليه وآله ألـف بـاب»[2]. وقـد كان الإمـام عـلي عليه السلام خطيبـاً وصـاحب بلاغـة مؤثـراً بفصاحتـه في السـامع والقـارئ لخطبه، عـن طريـق تمتـين الصلـة بـين العبـد وربـه منزلـة علميَّـة واجتماعيَّـة وفكريَّـة في قلـوب المسـلمين.

عصف الأفكار

العصـفُ الذهنـيُّ وسـيلةٌ ذهنيَّـةٌ للحصـول عـلى أكـبر عـدد مـن الأفـكار مـن مجموعـة معينـة مشـاركة الطفـل الأفـكار مـع مجموعـة مـن الأطفـال. قـال الإمـام عـليّ عليه السـلام": اضربـوا بعـض الـرأي ببعـض يتولّـد منـه الصـواب»[3].

إبـداء الطفـل رأيـه ومناقشـة الآخريـن بآرائهـم وعـدم التعصـب الطفـل بأفـكاره؛لأنَّ الإمـامَ عليّـاً عليه السلام نهـى عنـه بقولـه مـن اسـتبدّ برأيـه هلـك"[4].

القراءة

إنّ تعلّـم القـراءة والكتابـة هـي حسـنة، وكذلـك خدمـة النـاس والعمـل وتحمّـل العنـاء مـن أجلهـم وحفـظ الأمانـة وقـول الحـقّ إن العلـم ليـس مسـؤولية فرديَّـة فحسـب، بـل هـو مسـؤولية جماعيَّـة أن يكون صـوت العلـم مسـموعا بوضـوح في المجـال العـام، ولكـن عندمـا تكـون التدخـلات الفرديَّـة أكثـر نفـوذا عـلى الطـرق المحكمـة والدقيقـة التـي يفضلهـا العلـماء مـن الأصـوات الأخـرى الأكثـر إقناعـاً نفسـياً، أو غارقـة في ضجـة الجـدل.

١-محمـد الريشـهري (١٤٢٥ه): موسـوعة الإمـام عـلي بـن أبي طالـب عليه السلام في الكتـاب والسـنة والتاريـخ، الطبعـة٢، دار الحديـث للطباعـة والنـشر، قـم، ص٢٤

٢-راجـع بصائـر الدرجـات: ٣٠٩ بـاب في الكلمـة التـي علـم رسـول الله أمـير المؤمنـين ٨، ص.ص١٨٣ - ٣٨٢

٣-الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص٩١.

٤-نهج البلاغة، ج٤، باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام، حكمة ١٦١.

-أسلوب التكرار لتأكيد المعلومة: إنَّ تكرار الكلام تأكيد الآراء المعبّر عنها وترسيخها وتثبيتها وهذا الترسيخ والتثبيت للكلام ومضاعفة شأنها ويزيد من طاقتها الدلاليَّة لتوظيف تغيير سلوك المخاطب مباشرة.

أسلوب التدرّج في الخطوات وتقديم المعلومات:

ينبغي على المتعلم أن: لا يخوض في فنّ من فنون العلم دفعة، بل يراعي الترتيب ويبتدئ بالأهم [1].

-أسلوب الترهيب والتنفير الهدف من التربية في الإسلام هو بناء العبد الرباني، والذي تتحقَّق فيه صفتا العبودية والربّانيّة. والجنة والنار والقصاص والثواب

القدوة إن شخصيَّة علي عليه السلام مؤهلة؛لأنَّ تكون نموذج القدوة لصنع وإحياء المتعلم فمن الطبيعي أن يعمل على تطبيق الأحكام الإسلامية. أن نأخذ الدروس والعبر من سيرة أولئك المعلمين للناس ننهل من كلماتهم وسلوكياتهم المفيدة فأمير المؤمنين لكونه عالماً فهو مسؤول أمام الله سبحانه وتعالى ألا يرضى بالجهل ويقوم بالتعليم والتعلم من المعارف.

يرى الإمام علي عليه السلام أن ا؛لإنسان هو غاية الوجود، ويكون خليفة الله في أرضه،

نتائج التعليم

أن يسهم التعليم في تنشئة الفرد تنشئة معرفيَّة ومهارية ووجدانيَّة حيث قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [2].

إذ يؤثّر التعليم في تنمية وتطوير الموارد البشريَّة عن طريق رفع كفاءتها وإنتاجيتها كخطوة أولى للتنمية الاقتصاديَّة، وقد استطاعت دول بفضل المستوى التعليمي المرتفع تحقيق معدلات تنمية سريعة ومتلاحقة مما أدَّى إلى دخول هذه الدول في مصاف الدول الصناعيَّة المتقدّمة، ومن أهم الأمثلة على ذلك تجربة العديد من الدول الأسيوية كدول جنوب شرق اسيا (كوريا واندونيسيا وماليزيا ... والتي اتخذت من التعليم ركيزة أساسيَّة لتحقيق تنميتها الاقتصاديَّة.

إنَّ التعليم يعمل على نشر قيم اجتماعيَّة معينة، تؤهل الافراد إلى الانضمام إلى الصفوة الحاكمة في المجتمع، ويساعد التعليم

١- الغزالي،٢٠٠٥، ص٦٤
٢-القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية: ٧٩.

في صقل القدرات الإبداعيَّة للإنسان وزيادة معارفه مما يؤدّي إلى تحسين عمليَّة الانتاج والتمكين من استخدام المعلومات والمهارات وتطويرها لمواجهة الظروف المتغيرة في المستقبل.

"كفى بالعلم شرفاً أن يدّعيه من لا يحسنه، ويفرح إذا نسب إليه، وكفى بالجهل ضعة أن يتبرأ منه من هو فيه، ويغضب إذا نسب إليه" [1].

العلم والعمل

قول الإمام علي إلى العلماء يا حملة العلم اعملوا به فان العالم من عمل بما علم ووافق عمله علمه وسيكون اقوام يحملون العلم لا تجاوز تراقيهم وتخالف سريرتهم ع؛لأنَّيتهم ويخالف عملهم علمهم [2]

عنه عليه السلام": تَعَلَّموا العِلمَ، وتَعَلَّموا لِلعِلمِ السَّكِينَةَ والحِلمَ، ولا تَكونوا جَبابِرَةَ العُلَماءِ، فَلا يَقومَ عِلمُكُم بِجَهلِكُم» [3]. وقال عليه السلام: «لا يُدرَكُ العِلمُ بِراحَةِ الجِسمِ»[4].

إنَّ العلمَ يحتاج إلى كثير من الجهد والتعب والعناء، وليس من الأمور السهلة التي يمكن تحصيلها بالسرعة التي قد يتوهمها بعضهم؛ ولذا ينبغي على كلّ من طلب العلم أن يتحمَّل المعاناة لتحصيل العلم؛ لأنَّه بدون ذلك لن يستطيع الاستمرار.

إنَّ شجرة الأتقياء لم تتوقف عند الأنبياء، بل تجاوزتها إلى الأئمة المعصومين، فتعظيم شأنهم لا يختلف في الفكر والممارسة الدينيَّة الإسلاميَّة، فالإمام علي هو الإنسان المتواضع والمفكّر العميق والقائد، حمل أمانة الدين خطيباً وإماماً يؤم المصلين، وشجاعاً عرف بالسيف البتار ولا يمكن تحديد قضية محدّدة أو موقف واحد اختص به، فهو فاعل وعامل وصاحب رأي حاذق وأمين، وأن الاعتماد على الواحد الأحد بالقناعة واليقين لا لبس فيها وأن العلوم هي علوم الدين بجناحين عبر القرآن والسنة النبويَّة والقيم الأخلاقيَّة بوازع ربّاني واحد لا شريك له.

١-انتصار لطيف حسن: التعليم في العصر العباسي الاول، رسالة ماجيستير، ١٩٩٠، ص٧٥
٢- البغدادي، ج١، ٨٩
٣-بحار الأنوار: ٢/ ٣٧/ ٤٩
٤-غرر الحكم: ١٠٦٨٤.

ويرجع السبب في ذلك إلى أمور عدة، منها:

- شخصيَّة الإمام علي عليه السلام وقدراته.
- حرص الإمام على التعلّم والعناية بالعلماء والمتعلمين.
- التربية الدينيَّة الأصيلة.
- النماذج المثاليَّة في التربية والأخلاق.
- أعطى علماً وممارسة تطبيقيَّة في المفاهيم الدينيَّة والأحوال الحياتيَّة.

وأن ضرورة تضمين أقوال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في مضمار التعليم والتربية والمناهج الدراسيَّة؛ لكي يتم تبصير الطلبة بمضمون مكانة العلم والعلماء في نظر أمير المؤمنين علي عليه السلام.

الإصلاح القضائيّ
عند الإمـــام علي عليه السلام

المفهوم والإجراء

د. زهراء علي دخيل

الجامعة اللّبنانيّة

أبو الحسنين

ملخص البحث:

أولى الإسلامُ القضاءَ عنايةً خاصّة، فمنذ مجيء الإسلام كان رسولُ الله ﷺ يفصل بين الناس، ويوضّح الأحكام الشرعيَّة، ويفضّ النزاعات، ويردّ المظالم إلى أهلها، ويحكم بين الناس بالعدل كما أمره الله عزّ وجلّ، وكان (صلوات الله عليه) يولي القضاء لمن كان مُلمًّا بكلِّ تفاصيل الشريعة الإسلاميَّة المستندة إلى أُسُس العدل والعلم والفصاحة والبلاغة والبلوغ والمنطق والرؤيا الثاقبة. فلا يخفى على أحد أنّ كلّ هذه الصفات قد اجتمعت بشخص أمير المؤمنين الذي كان قد نشأ وترعرع في بيت النبوّة والإمامة؛ لذا اشتهر اسم الإمام علي عليه السلام في منصب القضاء في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته.

إذ يُعدّ قضاء الإمام علي من ركائز العلم الإسلاميّ، الذي تناول جميع مُتطلّبات الحياة وشؤونها، وكان عليه السلام أول من وضع أُسُس القضاء، وميّز بين الحق والباطل في دعوى المتخاصمين التي أُحيطت بكثير من الغموض والالتباس.

فالإمام علي عليه السلام أقضى أهل زمانه؛ لأنّه أعلمهم بالفقه والشريعة وهما الوجدان الذي أعطاه القدرة في استخدام علمه في القضاء أصدق توجيه. فالإمام علي صفحة رائعة من الإشراق الإنسانيّ، تضيف شرفًا إلى تاريخ الإنسانيَّة، وثروة علميَّة لا تُحدّ بحدود؛ إذ اتّسم فكره بالاستقامة والواقعيَّة التي كوّنت له رصيدًا من الألق والثراء العلميّ والمعرفيّ.

تمثّلت أرقى صور العدل الذي ضَمِنَ حقوق الناس في قضاء الإمام علي وتوليته شؤون القضاء بنفسه، فضلاً عن مسؤولياته الأخرى، والتفاتاته الرائعة في مجال القانون.

الكلمات المفتاحيّة: القضاء، الإمام علي، الإصلاح القضائيّ.

Research abstract:

Islam has given the judiciary special attention. Since the advent of Islam, the Messenger of God, may God's prayers and peace be upon him and his family, used to separate people, clarify legal rulings, settle disputes, and return grievances to their people. He ruled between people with justice as God Almighty commanded him, just as he (may God's prayers and peace be upon him) entrusted the judiciary to those who were familiar with all the details of Islamic law based on the foundations of justice, knowledge, eloquence, eloquence, maturity, logic, and insightful vision. It is no secret to anyone that all these qualities were combined in the person of the Commander of the Faithful, who was brought up and nurtured in the house of prophecy and imamate. Therefore, the name of Imam Ali (peace be upon him) emerged in the position of judge during the life of the Messenger of God (may God's prayers and peace be upon him and his family) and after his death. He laid the foundations of the judiciary and distinguished between truth and falsehood in the litigants' lawsuit, which was surrounded by much ambiguity and ambiguity.

Imam Ali, peace be upon him, was the most judicious of the people of his time, because he was the most knowledgeable of them in jurisprudence and Sharia, and they were the conscience that gave him the ability to use his knowledge in judgment in the truest direction. Imam Ali is a wonderful page of human radiance, adding honor to the history of humanity, and a scientific wealth that is not limited by borders. His thought was characterized by uprightness and realism, which created for him a wealth of brilliance and scientific and cognitive wealth.

The highest form of justice that guaranteed people's rights was represented by Imam Ali's judiciary and his assuming the affairs of the judiciary himself, in addition to his other responsibilities, and his wonderful missteps in the field of law.

Keywords: the judiciary- Imam Ali - Judicial Reform.

المقدّمة:

الحمد لله ربِّ العالمين حمدًا لا يحصي عدده أحد، وأفضل الصَّلاة وأتمّها على أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الغرّ المنتجبين...

أمَّا بعدُ...

فقد حظي الجهاز القضائيّ بموقع متميّز في إصلاح شؤون المجتمع، إذ كان عليه السلام يحرص على ممارسة القضاء والفصل في القضايا، عن طريق موقع دكة القضاء بنفسه، على الرغم ممّا عليه من مهامٍّ ومسؤوليّات، إذ إنَّ الإمام كان يمارس القضاء بنفسه في مسجد الكوفة، وله دكة معروفة باسم دكة القضاء.

ظهر اسم الإمام علي في ميدان القضاء في أكثر الملفات القضائيَّة تعقيدًا التي واجهها المجتمع المسلم في صدر الإسلام، حتى اشتهرت كلمة عمر بن الخطاب: «لولا عليّ لهلك عمر»، وكانت مواقفه الاستشاريّة وآراؤه الصائبة، تثير بعمقها دهشة الآخرين. ولذا، جاءت قرارات الخلفاء المصيريّة في مجال القضاء، استجابة لآرائه وأفكاره.

هذا البحث إسهام متواضع، آمل أن يأخذ به المُشرّع في الحسبان من أجل بناء نظام قضائيّ عادل، ذلك أنّ القضاء ولاية جليلة القدر في الإسلام، ويُعدّ من أجلّ المناصب خطرًا، وأشرفها قدرًا، وأعظمها ذكرًا؛ لأنه مقام عليّ، ومنصب نبويّ، به الدماء تعصم وتسفح، والأبضاع تحرم وتنكح، والمعاملات يعلم ما يجوز منها وما يحرم. وقد وردت آيات كثيرة تدلّ على أهميّة القضاء؛ لأنه تلو النبوّة؛ أي ما يتلوها ويتبعها؛ إذ بعث الله تعالى الأنبياء للناس بوصفهم مبشرين وقضاة ليحكموا بينهم، فقد ورد قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ البقرة/ ٢١٣.

أسباب اختيار الموضوع:

إنَّ الأسباب التي دعت إلى اختيار موضوع البحث يمكن إيجازها على النحو الآتي:

لَمَّا كان للإمام علي من الأثر الكبير في إرساء معالم القضاء في الفقه الإسلاميّ؛ إذ إنّه عليه السلام هو الذي أعطى للقضاء في الفقه حقّه عن طريق تأسيس قواعده، وتحديد معالمه، واستكمال بنيانه الذي أسّسه الرسول صلى الله عليه وآله.

-لما كان للإمام علي من أثر في الجانب التشريعيّ بما أرساه من مبادئ وقواعد، فضلًا عن الأثر القضائيّ البارز في تطبيق الأنظمة والقواعد الشرعيَّة على القضايا التي طُرحت عليه؛ إذ أينعت تلك القضايا ثمارها في تلك المرحلة القصيرة التي حكم فيها أمير المؤمنين...فكانت حصيلة تلك العقوبات والإصلاحات القضائيَّة التي نعمت بها دولته الإسلاميَّة أن استتبّ الأمن، ووفّر للأمة استقرارها، وصان للفرد حقوقه.

على الرغم من أنّ قضاء الإمام علي يُعدُّ ثروةً علميَّة، فإنَّه لم يحظَ بعناية المتخصّصين بالقانون بالدراسة والتحليل وبالعمق الذي تضمّنه هذه البحث؛ بل انصبّ جهد الفقهاء على سرد الوقائع التي قضى بها الإمام علي سبيل الحكمة والموعظة.

لما تُمثّله حيويّة الموضوع (موضوع القضاء)؛فله أهميّته وحيويّته المتجدّدة مع الأيام؛ لأنَّه مرافق لحياة الإنسان منذ نشأته الأولى على هذه البسيطة مادامت الجريمة ملازمة له، وموجودة حيثما وُجِد.

الهدف من موضوع البحث:

- بيان معطًى تصوُّريّ عن ضرورة تطبيق العقوبات التي قضى بها أمير المؤمنين ﷺ وذلك لما لها من الأثر الكبير في المستويين: الفرديّ، والاجتماعيّ في الدولة.

أهميّة موضوع البحث:

الجوانب النيّرة في حياة الإمام علي، والخوض في غمار موضوع فقهيّ واسع، إذ كان الإمام أعلم أعلامه (وهو القضاء)، وما كان له من أثرٍ كبير فيه حتى بعد استشهاده. وأهميّة موضوع القضاء في حياة الإمام ومكانته الشخصيّة فضلا عن التعرّض لجملة ما طرحه الفقهاء والمؤرخون من آراء في هذا السياق؛ إذ لم يتوسّعوا في عرض مفاهيم العقيدة عند الإمام، والجوانب الأخرى لمعرفة صدق بصيرته في مختلف جوانب الحياة وبخاصة القضاء.

منهج البحث:

إنّ المنهج المناسب لدراسة هذا الموضوع هو المنهج المنطلق من توصيف الحال والمقام احتفاءً بالأسلوب العلميّ الرصين في البحث، الذي يتمثّل بتسجيل الإصلاحات القضائيَّة وتطبيقها عند الإمام علي وفقًا للشريعة الإسلاميَّة، و تدوينها، ودَرسها، وتفسيرها، وتحليلها

منعًا للإسقاط، فيكون الانطلاق من العناصر لا من إقحام القاعدة على الواقع، وذلك بقصد التوصُّل إلى حقائق، ونتائج علميَّة، تحفل برصد تلك الإصلاحات القضائيَّة والجنائيّة وتحليلها، ومناقشتها، وتفسيرها. وعليه، يحتكم العمل إلى المنهجين: الوصفيّ والتحليليّ.

القاضي في اللغة والاصطلاح:

القاضي في اللُّغة[1]: من قضى يقضي، فهو قاضٍ، إذا حكم وفصل وهو - أي القاضي

- القاطع للأمور المحكم لها، ومهنة القاضي القضاء الذي يراد به معان عدة منها:

١- الفصل في الحكم بين المتنازعين، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إلى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ**﴾ [الشورى/ ١٤] أي الفصل والحكم بينهم وهو أكثر معانيه استعمالاً.

٢-الأمر، ومنه قوله تعالى ﴿**وقضى ربك ألا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾ [الإسراء/ ٢٣]، بمعنى أمر ربك وحتم.

٣-الموت، ومنه قوله الله تعالى: ﴿**فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ**﴾ [الأحزاب/ ٢٣].

٤-الخَلْقُ والإبداع ومنه قول الله تعالى ﴿**فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ**﴾ [فُصّلت/ ١٢]؛ بمعنى خلقهن وأبدع خلقهن.

٥- العمل، ومنه قول الله تعالى ﴿**فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ**﴾ [طه/ ٧٢]؛ أي: اِعمل ما أنت عامل.

٦- الإعلام، ومنه قول الله تعالى ﴿**وَقَضَيْنَا إلى بني إسرائيل في الكتاب**﴾ [الإسراء/ ٤]؛ أي: علَّمناهم وأوحينا اليهم وحيًا.

القضاء في الاصطلاح:

- عرف فقهاء الحنفية القضاء: (بأنَّه فصل الخصومات وقطع المنازعات)[2].

وعرف الإماميَّة القضاء أنَّه:(الحكم بين الناس)[3] أو هو: (فصل الخصومة

١-الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار القلم، دمشق، دون تاريخ، ص٤٢٣.
٢-ابن عابدين محمد أمين (ت ١٢٥٢هـ)، حاشية رد المحتار على الدر المختار، دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ، ٨/٢٥
٣-الشهيد زين الدين الجبعي العاملي (ت ٩٦٥هـ)، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، مطبعة الآداب النجف الأشرف، ٣/٦١.

بين المتخاصمين)[1].

وعرفه المالكيَّة: أنَّه صفة حكميَّة توجب لموصوفها نفوذ حكمه الشرعي ولو بتعديل أو تجريح لا في عموم مصالح المسلمين[2].

وعرّفه الشافعيَّة: (بأنه فصل الخصومة بين خصمين فأكثر بحكم الله تعالى)[3].

أما الحنابلة فقالوا: هو تبيّن الحكم الشرعي والإلزام به، وفصل الخصومات[4].

إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما كان هو رئيس الدولة وإمام المسلمين وهو الذي يقضي بينهم، يمكن أن يقال: إنّ القضاء كان في عموم مصالح المسلمين، واستمر ذلك المنهج حتى بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو من الوظائف المندرجة تحت الخلافة؛ لأنَّه منصب الفصل بين النزاعات والخصومات، وقد مورس ذلك في صدر الدعوة الإسلاميَّة ولحين قيام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بفصل منصب القاضي عن منصب الوالي، وحصر عمل القاضي في أمور القضاء، ولا عمل له غيره، فكان أول من فصل القضاء عن الولاية[5].

تعريف القضاء

إنَّه موضوع مهم؛ إذ يعدُّ القضاء من أخطر المناصب وأهمّها، به كان إرساء الحقّ، وتحقيق العدل، وصيانة الحقوق، وحماية الضعيف، وإنقاذ الناس من الظلم والاعتداء.

لذلك، نجد الرسول الكريم أنه بعث الإمامَ عليًّا عليه السلام إلى اليمن قاضيًا، وانه ضرب صدر الإمام علي عليه السلام فقال الإمام علي من يومها ما شككت في قضاء قط[6]، ويقول الإمام علي عليه السلام لشريح[7] قاضيه على الكوفة

١-السيد أبي القاسم الموسوي الخوئي، مباني تكملة المنهاج مطبعة بابل، بغداد، ٣/ ١.
٢-الحطاب الرعينيّ المالكي، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ، ٦/ ٨٦.
٣-شمس الدين محمد بن محمد الخطيب الشربيني مغني المحتاج إلى معرفة الفاظ المنهاج، ، ٢٠٠٩، دار الفيحاء للنشر والتوزيع، ٥/ ٧٦٤.
٤-محمد بن صالح العثيمين، الشرح الممتع على زاد المستقنع، دار ابن الهيثم، القاهرة. ٦/ ٤٨٣ - ٤٨٤
٥-عبد الرحمن بن محمد، أبو زيد (ت ٨٠٦ هـ)، مقدمة ابن خلدون، ، طه، دار القلم، بيروت - لبنان، ١٩٨٤، ١/ ٢٢٠.
٦-القرشي، باقر شريف، الحكومة وإدارة الدولة، مطبعة الآداب، النجف، ١٤٢٧ه، ص٣٣٥.
٧-شريح القاضي: هو شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر الكندي، يكنّى أبو أميّة، من التابعين، أدرك الجاهلية، وكان قاضيا لعمر على الكوفة، ثم عثمان ثم الإمام علي عليه السلام. وقد تولّى القضاء حتى زمن الحجاج، وتوفي سنة سبع وثمانين للهجرة، وله مائة سنة من العمر، فتولى

محذّرًا إيّاه من خطورة هذا المنصب:» يا شريح، قد جلست مجلسًا لا يجلسه إلّا نبيّ، أو وصيّ نبيّ، أو شقيّ»[1].

و إبراز أهمية تكريس الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام حياته ليعيش إلى جنب الخلفاء لتقويم ما يحصل من انحراف، وما يحتاج إليه وضع الدولة والدين الفتيّين من تأسيس القواعد له على أساس القرآن الكريم، والسنَّة النبويَّة التي عاشها لحظة بلحظة وبما خصَّه وأعده الرسول لهذه المهمَّة، وقد كانت تجربته في تلك السنوات غنيَّة ومتنوّعة الأساليب في القضاء في الترافع، والتحقيق، وطرق القضاء والتعيين، والعزل، والمتابعة، وإنصاف المظلوم حتى مع نفسه؛ بل حتى في الأمور الشكلية والنفسية في الترافع[2].

وأهمية عدالته المتناهية التي نعتقد أنّها الحكومة العادلة والوحيدة التي حكمت؛ إذ ذكر ابن أبي الحيد أنه اشتكى رجل على علي بن أبي طالب عليه السلام في زمن الخليفة عمر بن الخطاب وعليّ جالس فالتفت عمر إليه، فقال: قم يا أبا الحسن، فاجلس مع خصمك، فقام فجلس معه وتناظرا، ثمّ انصرف الرجل، ورجع علي إلى محله فتبيّن عمر التغير في وجهه عليه السلام، فقال: يا أبا الحسن، ما لي أراك متغيرًا؟ أكرهت ما كان؟ قال: نعم، قال: وما ذاك؟ قال: كنّيتني بحضرة خصمي! هلَّا قلت: قم يا علي! فاجلس مع خصمك! فاعتنق عمر عليًّا عليه السلام، وجعل يُقبِّل وجهه، وقال: بأبي أنتم، بكم هدانا الله، وبكم أخرجنا من الظلمة إلى النور»[3].

شرط المزايا الخلقيَّة الكريمة

لقد جاءت نصوص الشريعة الإسلاميَّة موضحةً لركائز الحكم وضوابطه كما في قوله صلى الله عليه وآله في عهده لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «انظر في القضاء بين الناس نظرة عارف بمنزلة الحكم عند الله، فإنّ الحكم ميزان قسط الله الذي وضع في الأرض لإنصاف المظلوم من الظالم، والأخذ للضعيف من القويّ، وإقامة حدود الله على سُنّتها

منصب القضاء ستين سنة من زمن عمر إلى عبد الملك بن مروان. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص١٨٢.
١-الطوسي، التهذيب، ٦/ ٢١٧.
٢-الحر العاملي، الوسائل ١/ ٢٠١.
٣-ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٧/ ٦٥.

ومنهاجها التي لا يصلح العباد والبلاد إلّا عليها»[1]، وقوله صلى الله عليه وآله: «إنما أنا بشر وأنتم تختصمون، ولعل بعضكم ألحن بحجَّته من بعض؛ وإنما أقضي على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له من حق أخيه بشيء فلا يأخذنه فإنما أقطع له قطعة من النار»[2]، امتثالًا لأمر الله سبحانه وتعالى كان قضاؤه: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾[3].

-مواصفات القاضي ومن يتولّى القضاء من منظور الإمام علي عليه السّلام

الخلق العظيم، الكريم مصدر كل قضاء شريف. لذلك، يجب أن يتوفر في شخص القاضي، شرط خلقي، وقد اشترطت رسالة القضاء للإمام علي عليه السلام شروطا أخرى تؤكد توفر المزايا الخلقية وهي على النحو الآتي:

إذ قال الإمام علي عليه السلام في عهده لمالك الأشتر: «ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيّتك في نفسك، ممَّن لا تضيق به الأمور، ولا تُمحّكه الخصوم، ولا يتمادى في الزلة ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفهم في الشبهات، وآخذهم بالحجج، وأقلهم تبرّمًا بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشُّف الأمور، وأصرمهم عند اتّضاح الحكم، ممّن لا يزدهيه إطراء ولا يستميله إغراء، وأولئك قليل. ثم أكثر تعاهد قضائه، وافسح له في البذل ما يزيل علّته وتقل معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصَّتك...».

-«ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيّتك في نفسك»:

أشار الإمام علي على شرط الكفاءة العلميَّة في رسالته، التي جاء فيها: «ثم اختر للحكم(أي القضاء) بين الناس أفضل رعيّتك في نفسك»، واشتراط أفضل الرعيّة لا يعني أن يكون القاضي أعلم زمانه؛وإنما يفهم منها الترجيح في الصفات التي يجب أن تتوفر في القاضي على غيره، وأن يحيط علمًا بمعرفته بتفاصيل القضايا التي تُعرض عليه.

- «ولا تضيق به الأمور»:

١-الحر العاملي، الوسائل، ٢٧/ ٢٣٣.
٢-الحر العاملي، الوسائل، ٢٧/ ٢٣٥.
٣-النساء/ ١٠٥.

أي يمتلك سعة الصّدر، وضبط النفس، والرّفق بالمتخاصمين حتى ولو أسمعوه كلامًا عنيفًا يضيق به الصدر، فهو يسيطر على عواطفه بما يمتاز به من كفاءةٍ علميَّة، ونفس عزيزة.

-«ولا تُمحّكه الخصوم»:

-ولا تمحكه الخصوم: أي لا تجعله لجوجًا[1].

يقصد بهذه الصفة أن لا يضيق خلق القاضي عندما يثيره الخصوم ومبالغتهم بالأمور الهامشية؛ وإنما يجب أن يكون حياديًّا، يقتصر دوره على ما يقدّمه الخصوم من أدلّةٍ في الدعوى، وأن ينطلق اقتناعه دائمًا من إثباتهم في ما قدّموه من أدلّةٍ، وما اتّخذوه من موقف، وأن يُسيطر على مشاعره، مهما أثاره الخصوم، وذلك بأن يلتزم الحياد، وأن يقف بين الخصوم موقف الحكم الذي يزن المصالح القانونية للخصوم بالعدل[2]

-»ولا يتمادى في الزلّة»:

يجب على القاضي أن لا يصرّ على الخطأ؛ لأنّه إنسان عادل يهدف عمله إلى رفع الظلم عن الخصوم، فعليه أن يُقدِّر الأمور كما هي ويعمل بموجبها، وأن يعمل دائما على تصحيح الخطأ، ولا يصرّ عليه.

- «ولا يحصّرُ من الفيء إلى الحق إذا عرفه»:

لا يحصر: أي لا يعيا[3]. الفيء: الرجوع.[4]

من الصفات التي يجب على القاضي أن يتّصف بها، هي أن لا يضيق صدره من الرجوع إلى الحقّ، فهو يعود إلى الحكم السابق إذا عرف صواب هذا الحكم؛ لأنّ القاضي بشر، وقد يخطئ. لذلك، فإنّ الإمام ﷺ أجاز له تصحيح هذا الخطأ، والرجوع إلى الحكم الصحيح؛ لأنّ تصحيح الحكم خير من التمادي فيه[5].

١-ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٤/ ١٣٠.
٢-د. العبودي، عباس زبون، في الأثبات، شرح أحكام قانون الأثبات المدني - طبع دار الثقافة، عمان ٢٠٠٥ ص ٨٧ وما بعدها.
٣-ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٤/ ١٣١.
٤-المصدر نفسه، ٤/ ١٣١.
٥-وهناك رسالة القضاء تنسب إلى الخليفة عمر بن الخطاب جاء فيها أنه: «لا يمنعك قضاء قضيت فيه اليوم، فراجعت فيه رأيك فهديت فيه لرشدك، أن تراجع الحق فيه؛ لأن الحق قديم، لا يبطله شيء، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل - للمزيد من التفصيل راجع ابن قيم الجوزية، أعلام الموقعين عن رب العالمين - طبع بيروت - ط ٢ - ج ١ ١٩٧٧ ص ٤٨.

- «ولا تُشرف نفسه على طمع»:

- ولا تُشرف نفسه على طمع: أي لا تشفق وتخاف من فوات المطامع[1].

فالطمع من سافلات الأمور، ومن نظر إليه وهو في أعلى منزلة النزاهة، لحقته وصمة النقيضة، فكيف بمن هبط إليه وتناوله. لذلك، يؤكد الإمام علي عليه السلام على القاضي بأن لا يُشرف على طمع، ويجب عليه أن لا يتسرّع إلى كسب الغنائم؛ لأنّه لا يخاف أن يفوته شيء من الربح إذا حكم بما أراد الله[2].

- «ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه»:

لقد أشار الإمام علي على شرط الكفاءة العلميَّة للقاضي في رسالته التي جاء فيها... أي أنه لا يكتفي عند إصدار حكمه بما يبدو له من أول فهم، ويقرّ به دون أن يأتي على أقصى الفهم بعد التأمّل، فهو لا يكتفي بأقوال الخصوم؛ وإنما يحاول أن يستزيد ويضيف إلى معلوماته، معلومات أخرى حتى يحيط بالقضية المعروضة أمامه من كل جوانبها؛ لأنّ الإحاطة بذلك ستُمكّنه من الوصول إلى جعل الحقيقة القضائيَّة مطابقة للحقيقة الواقعيّة.

وهذه الصفة تعني أن لا يكتفي القاضي في الحكم بما يبدو له بأول فهم ويقربه؛ وإنما يحيط بالحكم إلى أقصى درجة من الفهم والتأمُّل؛ لأنّه يمتلك شرط الكفاءة العلميَّة، وهي شرط أساس في الشخص الذي يجب أن يتولَّى وظيفة القضاء، فهو يتبصّر بأمور القضية تبصُّرًا طويلًا، ولا يكتفي بالمعلومات الأولية التي يحصل عليها كل قاضٍ؛ وإنّما يزيد عليها من استنباطه الإبداعي، وعمليَّة الاستنباط عمليَّة شاقّة، تتطلَّب من القاضي بذل مجهود ذهنيّ في تكوين اعتقاده. وبما أن استنباط القاضي يقوم على الاحتمال والترجيح فإنه يكون معرّضًا للخطأ؛ لأنّ القاضي بشر وقدراته محدودة، ولذلك يجب عليه أن يظهر كثيرًا من الحكمة والحذر في ما يستنبطه من وقائع الدعوى[3].

«وأوقفهم في الشُّبهات»:

وصف الإمام علي هذا القاضي بـ «وأوقفهم في الشبهات» وهي ما لا يتّضح الحكم فيه بالنّص، فلا يحكم إلّا وقد دلّه

١- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٤/ ١٣٢.
٢- د. محسن باقر، القضاء في النظام القضائي عند الإمام علي عليه السلام، طبع الغدير، لبنان، ١٩٩٩م، ص ١٤٦.
٣- المصدر نفسه، ص ١٤٦.

علمه على أصل الحادثة الصحيح بعد الصبر على تكشُّف الأمور، وبعد الأخذ بالحجج والمقاييس.

يقصد بهذه الصفة أن لا يأخذ القاضي بما لا يتّضح فيه الحكم إلّا بالدليل الواضح، فإذا لم يتّضح له الدليل، فيجب عليه عدم إصدار الحكم في القضيّة المعروضة عليه إلى أن يصل إلى أصلها الصحيح. لذلك، يجد صاحب الحق نفسه مضطرًّا إلى أن يقنع القاضي بإقامة الدليل على وجوده إذا ما تعرّض هذا الحق للإنكار من جانب الغير ومن دون إقامة هذا الدليل، لا يستطيع ان يحصل على الحماية القضائيَّة، فيتعرض لفقدان حقّه؛ لأنّ القاضي لن يكون مُلزمًا بأن يسلم بصدق هذا الادّعاء ويستطيع القاضي أن يحسم المنازعات بين الخصوم، وأن يدحض الادِّعاءات الكاذبة والكيديّة، تحقيقًا للعدالة لصالح جميع المتخاصمين[1].

«وآخذهم بالحجج»:

أي يجب أن يستند القاضي في حكمه إلى الأدلّة التي يُقدِّمها الخصوم أمامه، لذلك ان الحقّ دون دليل، يصبح هو والعدم سواء بسواء، وإذا كانت الشريعة الإسلاميَّة ترسم لكل فرد حدود حريّته، وتبيّن حقوقه وواجباته، فإنّ أسباب النزاع، قد تنعدم بين الناس إذا ما التزم كل شخص حدوده، وأدَّى حقّ غيره، غير أنه لما كانت النفس الإنسانيّة مطبوعة على الأثرة، ميَّالة إلى الاستزادة ممّا لها، للتخلّص ممَّا عليه ولو بغير حق، كان ذلك مثارًا للمنازعات بين الأفراد[2]. ولقد جاء في الحديث الشريف أنَّ النبي ﷺ قال: «لو يعطى الناس بدعواهم لادَّعى ناس دماء رجال وأموالهم ولكن اليمين على المدّعى عليه»[3]. ولذلك، يجب على القاضي أن يجعل الدليل هو الأساس في قبول الدعوى، ويجب عليه أن يردّ كل دعوى لا تستند إلى دليل.

- «وأقلّهم تبرُّمًا بمراجعة الخصم»:

١-د. عباس زبون العبودي، شرح أحكام قانون الأثبات المدني، ص ١٠.
٢-د. عباس زبون العبودي، شرح أحكام قانون الأثبات المدني، ص ١٠.
٣-رواه مسلم: راجع النووي - شرح صحيح مسلم - ج ١ - المطبعة المصرية ١٩٧٢ ص ٢ ويشير النووي إلى أنّ هذا الحديث قاعدة كبيرة من قواعد أحكام الشرع، ففيه أنّه لا يقبل قول إنسان في ما يدَّعيه بمجرد دعواه؛ بل يحتاج إلى بيّنة أو تصديق المدّعى عليه، فإن طلب يمين المدّعى عليه فله ذلك، وقد بيَّن النبي ﷺ «الحكمة بوصفه لا يعطى بمجرد دعواه؛ لأنه لو كان أعطى بمجردها لادّعى قوم دماء قوم واستبيح، ولا يمكن للمدّعى عليه أن يصون ماله ودمه، وأمّا المدّعي فيمكنه صيانتها بالبيِّنة»..

يجب على القاضي أن لا يكون ضجرًا من كثرة مراجعة الخصوم له؛ وإنما عليه أن لا يملّ من هذا الأمر، وان لا يقضي وهو غضبان، أو جائع، أو ممتلئ، أو عطشان؛ لأنّ هذه العوارض تُشوّش عليه نظره وفكره، ممّا يشغله عن الحق. وهذه الصفات من آداب القضاء المعروفة في الفقه الإسلاميّ.

- «وأصبرهم على تكشّف الأمور»:

يشترط الإمام عليه السلام على القاضي أن لا يتسرَّع عند إصدار الحكم؛ وإنما يجب عليه أن يتبصّر في الأمور تبصُّرًا طويلًا، وأن يتحمّل الصبر من أجل كشف الملابسات التي تحيط بالقضيَّة المعروضة عليه.

- «وأصرمهم عند اتِّضاح الحكم»:

اشترط الإمام عليه السلام في القاضي الحب المطلق للعدالة، والميل الأصيل لدفع الظلم، فمجرد أن يصل إلى الحقيقة الواقعية، يجب عليه أن يكون صارمًا في قطع الخصومة، وإصدار الحكم العادل بها.

- «ممَّن لا يزدهيه إطراء»:

على القاضي أن لا يخشى في الحق أحدًا، ولا يتأثّر بالمديح أو الإطراء؛ لأنه يمتلك شخصية قوية في كل حكم يجب أن يصدره.

- «ولا يستميله إغراء»:

وهذه الصفة تعني أنّ على القاضي أن لا يتأثر بالإغراءات الماديّة التي يُقدِّمها الخصوم أحيانًا من هدية أو رشوة، أو يكون فيه حنين إلى الحظوة لدى الوجهاء، فهو لا يشرف على طمع؛ لأنه من أفضل الرعيّة، ولأن الإغراء يؤدّي بالقاضي إلى الانحراف عن العدل. وقد عالج الإمام علي هذا الأمر عبر تأمين القاضي اقتصاديًّا؛ كي لا يطمع برشوة، أو منفعة فينحرف عن العدالة[1].

«ثم أكثر تعاهد قضائه»:

أي تطّلع على أحكامه وأقضيته[2]

«وافسح له في البذل ما يزيل علّته وتقل معه حاجته إلى الناس»:

أي افرض عطاءً واسعًا يملأ عينه

١- وقد اعتبرت المادة(٢٨٦) من قانون المرافعات المدنيّة النافذ قبول القاضي منفعة ماديّة لمحاباة أحد الخصوم من الأسباب التي تؤدّي مسؤولية القاضي عن تعويض الخصوم عن الضرر الذي لحق بهم من جرّاء هذه المحاباة.
٢- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٤/ ١٣٣.

وتعفف به الرشوة.[1]

القضاء عند الإمام علي عليه السلام

تُعدُّ رسالة القضاء للإمام علي من الوثائق المهمّة التي استند إليها الفقهاء في تحديد صفات اختيار القاضي وشروطه وتحقيق العدالة والمساواة أمام القضاء، والتي كانت معطلة بين الحكام والناس، فقد درج غالبيّة الحكام على تولية القضاء رجلاً ذوي صفات تستلزمها مصالح هؤلاء الحكام، حتى إذا ما ساوى القانون بين طبقات الناس فإن القاضي يعطل هذه المساواة ويحكم بمصالح الحكام وأصحاب الامتيازات. ويشير الأستاذ جورج جرداق[2] إلى أن تاريخ أوروبا في القرون الوسطى يفيض باختيار هذا النوع من القضاة، وكذلك تاريخ الشرق العربي أيام الأمويين والعباسيّين والمماليك والأتراك وغيرهم؛ إذ إنّ الجرائم التي ارتكبها القضاة المنحرفون باسم العدالة، لما يخزي جبين الإنسانيّة، وتستوجب اللّعنة على رؤوس أولئك القضاة.

وقد ركز الإمام علي في رسالته لمالك الأشتر على قواعد صارمة في اختيار القاضي وشروطه ليحول دون الغبن الذي يلحق بالناس عن طريق القاضي.

أولى الإسلام للقضاء عناية خاصّة، فمنذ مجيء الإسلام كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفصل بين الناس، ويوضح الأحكام الشرعيَّة، ويفض النزاعات، ويردّ المظالم إلى أهلها، ويحكم بين الناس بالعدل كما أمره الله عزّ وجل، كما ظهر اسم الإمام علي عليه السلام في منصب القضاء في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعد وفاته؛ إذ يُعدّ قضاء الإمام علي من ركائز العلم الإسلاميّ، الذي تناول جميع متطلّبات الحياة وشؤونها، وكان عليه السلام أول من وضع أُسُس القضاء، وميّز بين الحق والباطل في دعوى المتخاصمين التي أُحيطت بكثير من الغموض والالتباس.

فقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى اليمن وهو شاب، فقال: يا رسول الله، بعثتني إلى قوم أقضي بينهم ولا علم لي بالقضاء، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اُدنُ مني، فدنا، فضرب بيده على صدره، ثم قال: اللهمّ أهدِ قلبه وسدّد لسانه، فقال علي عليه السلام: فما شككت بعد ذلك في قضاء بين اثنين[3]

١-ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٤/ ١٣٣.
٢-جرداق؛ جورج، الإمام علي صوت العدالة الإنسانيّة، مج١، دار المهدي، بيروت، ٢٠٠٤م، ص٣٥٧.
٣-القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج٢، ص٣٠١.

وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين علي عليه السلام وقال: «يا علي، إذا قضيت بين الرجلين فلا تقض للأول حتى تسمع ما يقول الآخر»، وقد نهى صلى الله عليه وآله أن يتكلم القاضي قبل أن يسمع قول الخصمين[1].

كما شهد رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام بعدله وإنصافه في القضاء، إذ أشار إلى ذلك في مواضع عديده، منها قوله صلى الله عليه وآله: «أقضاكم علي»، و«أقضى أُمّتي عليّ»[2]. وإنّ الإمام محمد الباقر قال: «ليس أحد يقضي بقضاء يصيب في الحق إلّا مفتاحه قضاء علي»[3].

لقد نظر الإمام عليه السلام إلى القضاء وممارسته بمزيد من الأهميّة، بما له من أثر فعّال إيجابًا وسلبًا على النظام الاجتماعي الذي يسود البلاد، وأن السُّلطة القضائيَّة من أعظم سلطات الدولة، إذ يفرق بها بين الحقّ والباطل، وبها ينتصف المظلوم من الظالم، وحين تجنح الظروف بهذه السلطة إلى الإسفاف، فإنها لا تنزل إلى الحضيض وحدها؛ وإنما تجرّ معها المجتمع أو بعضه، وأن الإمام ليقدّر هذه السلطة حقّ قدرها[4].

فقد تولَّى أمير المؤمنين عليه السلام القضاء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لعلمه وفضله وأحقيّته على سائر الناس، إذ أخذ كلّ الأحكام الشرعيَّة والقضائيَّة من رسول الله صلى الله عليه وآله، ونجد ذلك من قوله عليه السلام: «علَّمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم، كل باب منها يفتح ألف باب»[5]

فكان الإمام علي عليه السلام سلطان القضاء الذي لا يضاهيه أحد؛إذ يقول في هذا الصّدد: «لو ثنيت لي الوسادة، لقضيت بين بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وأهل الفرقان بفرقانهم، حتى ينطق كل واحد ويقول قد قضى عليّ فيّ بما أنزل وأقرّ المخالف كالمؤالف أنّه أقضى الأمّة»[6]

وكان يضرب بيده إلى صدره، ويقول:

١-القاضي النعمان، دعائم الإسلام، ج٢، ص٥٣٣-٥٣٤.
٢-الموسوي؛ د. محسن باقر، القضاء والنظام القضائي عند الإمام علي، بيروت، ١٩٩٩م، ص٩ وما بعدها.
٣-الشيخ التستري؛ محمد تقي، قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، طبع أهل الذكر، ١٤٢٦ه، ص١.
٤-شمس الدين، دراسات في نهج البلاغة، ص٦٠.
٥-القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج٢، ص٣٠٨.
٦-التستري، مرجع سابق، ص٥.

«إنّ ها هنا لعلمًا جمًّا ما أصبتُ له حملةً»[١]

فالقضاء يجمع ما يحتاج إليه الناس، من علم حلال الله وحرامه وفرائضه وأحكامه، فمن شهد له رسول الله ﷺ بعلمه ودل به، وجب على الناس التسليم إليه، فكان أمير المؤمنين علي عليه السلام كثيرًا ما يقول: سلوني قبل أن تفقدوني، ويقول أيضًا: لا دخل عيني غمض، ولا رأسي نوم أيام حياتي مع رسول الله ﷺ يومًا من الأيام، حتى علمت في ذلك اليوم ما نزل به جبرائيل من حلال وحرام، أو سنّة، أو كتاب، فاسألوني فإنكم لن تجدوا أعلم بما بين اللوحين منّي، وما في القرآن آية إلّا وقد علمت متى نزلت، وفي ما نزلت[٢] كذلك فقد شهد لأمير المؤمنين علي عليه السلام أغلب الصحابة والتابعين، فقد روى القاضي النعمان عن عائشة، أنها قالت: «عليٌّ أعلم الناس بالسُّنَّة»[٣]، وكذلك قول عمر بن الخطاب: «اللهمّ لا تبقني لمعضلة ليس لها أبو الحسن»[٤]، وكذلك قول عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أعلمكم علي بن أبي طالب»[٥]، وقوله أيضًا: «لا يُفتيّن أحد في المسجد وعليّ حاضر»[٦]

وكان الامام علي عليه السلام قد صنّف القضاة إلى ثلاثة أصناف، فقال: القضاة ثلاثة؛ واحد في الجنة، واثنان في النار رجل جار متعمدًا فذلك في النار، ورجل أخطأ في القضاء فذلك في النار، ورجل عمل بالحق فذلك في الجنة[٧]

قضاؤه عليه السلام في عهد الرسول ﷺ

ثور قتل حماراً:

عن رسول الله ﷺ أنّ رجلًا اشتكى عنده على رجل، فقال: يا رسول الله، إن ثورًا لهذا قتل حمارًا لي فقال لهما: اذهبا إلى أبي بكر فاسألاه وارجعا إليّ بما يقول، فسألاه، فقال: ليس على البهائم قود فرجعا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه فقال: اذهبا إلى عمر فاسألاه وارجعا إليّ بما يقول، فسألاه، فقال: مثل ما قال أبو بكر فأخبرا النبي ﷺ فقال: اذهبا إلى علي

١-القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، ص٣٧٩.
٢-يُنظر: القاضي النعمان، اختلاف أصول المذاهب، ص٣١-٣٢.
٣-يُنظر: القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج٢، ص٣١٠.
٤-يُنظر: القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج٢، ص٣١٧.
٥-الشوشتري؛ محمد تقي، قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، طهران، ١٣٧٩ه، ص٨
٦-جرداق؛ جورج، الإمام علي صوت العدالة الإنسانيّة، مج١، دار المهدي، بيروت، ٢٠٠٤م، ص٨٢.
٧-القاضي النعمان، دعائم الإسلام، ج٢، ص٥٣١.

عليه السلام فاسألاه وارجعا إليّ بما يقول فسألاه فقال: إن كان الثور دخل على الحمار في مكانه حتى قتله فصاحبه ضامن[1] وإن كان الحمار هو الداخل على الثور فقتله فليس على صاحبه ضمان فرجعا إلى النبي صلى الله عليه وآله فأخبراه بما قال، فقال: الحمد لله الذي جعل من أهل بيتي من يحكم بحكم الأنبياء[2]

- قضاؤه عليه السلام إبّان مدَّة خلافته:

روي أنّ ثلاثة أنفار من أهل الكتاب تشاجروا في سبعة عشر بعيراً مشتركة بينهم حتى طال النزاع، فمر عليه السلام وسألهم عن سبب الشجار فقالوا: يا أبا الحسن، إنّ هذه الأباعر مشتركة بيننا يريد كل منّا حقه من غير أن ينقصه منها شيئاً. فقال: علي عليه السلام الواحد منهم كم يصيبك من هذه الأباعر؟ قال النصف، فقال للآخر كم يصيبك منها ؟ فقال: ثلث فقال: للثالث كم يصيبك منها فقال تسع فقال: عليه السلام أترضون أن أقسم لكم أباعركم هذه بإضافة بعيري هذا إليها ؟ فقالوا نعم رضينا فقال عليه السلام للأول أليس نصيبك منها النصف وهو ثمانية أبعار ونصف بعير ؟ قال نعم قال امير المؤمنين عليه السلام فإذا أعطيتك منها ما هو أزيد من نصيبك من غير كسر فترضى بذلك؟ قال نعم فأعطاه تسعة منها، ثم قال للثاني: أليس نصيبك منها الثلث ستة أبعار إلا ثلث بعير؟ قال: نعم قال عليه السلام: فأن أعطيتك منها ما هو أزيد من سهمك أفترضى ؟ قال نعم فأعطاه ستة أبعار بغير كسر، ثم قال: للثالث أليس نصيبك منها التسع ابعار إلا تسع ؟ قال: نعم فأن أعطيتك ما هو أزيد من سهمك أفترضى بذلك؟

قال: نعم فأعطاه بعيرين ثم أخذ بعيره ومضى وفرح الجميع بقسمة علي عليه السلام[3].

ومن أحكامه عليه السلام في حلّ المسائل المعقّدة؛ إذ أنه رفع إليه خبر جارية حملت جارية على عاتقها عبثاً ولعباً، فجاءت جارية أخرى فقرصت الحاملة فقمصت لقرصتها فوقعت الراكبة فاندفعت وهلكت[4]. فقضى على القارصة بثلث الدية، وعلى القامصة بثلثها وأسقط الثلث الباقي لركوب الواقصة عبثاً القامصة وبلغ الخبر بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأمضاه وشهد له

١- الضامن: هو الكافل للشيء. الأزهري، تهذيب اللغة، ج١٠، ص١٤٢.
٢- القاضي النعمان، دعائم الإسلام، ج٢، ص ٤٢٤-٤٢٥.
٣- مجموعة علماء، كرامات الإمام علي عليه السلام، ص٢٢٥.
٤- العاملي، قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ص٩.

بالصواب[1].

من قضاياه في المسائل المعقّدة في البصرة على قوم حدادين من غير المسلمين، اشتروا باباً من قوم أخرون، فقال أصحاب الباب فيه كذا وكذا، فصدقوهم واشتروه، فلما حمله الرجال قال المشتري ما فيه ما قالوا من الوزن، فارتجعوا عليهم، فصاروا إلى علي بن ابي طالب عليه السلام قال: أنا أزنه لكم وأخبركم بما فيه ثم قال: أحملوه إلى الماء، فحمل فطرح في زورق صغير، ثم علم على موضع يبلغه الماء، ثم قال: أخرجوه وأطرحوا مكانه تمراً»، فما والوا كذلك قال عليه السلام: هذا وزن الباب فحاسبوا القوم على ما كان فيه وتصالحوا على ذلك[2].

ثلاثة سافروا وعاد اثنان:

روى النعمان عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: أنه دخل يومًا إلى المسجد من الباب القبليّ فاستقبله نفر فيهم فتى حدث يبكي والقوم يسكتونه فوقف عليهم أمير المؤمنين وقال للفتى ما يبكيك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ أبي خرج مع هؤلاء النفر في سفر لتجارة فرجعوا ولم يرجع أبي فسألتهم عنه، فقالوا: مات، وسألتهم عن ماله، فقالوا: لم يخلف مالًا فقدمتهم إلى شريح فلم يقض لي عليهم بشيء غير اليمين وأنا أعلم يا أمير المؤمنين أنّ أبي كان معه مال كثير، فقال لهم أمير المؤمنين: ارجعوا فردهم معه ووقف على شريح، فقال: ما يقول هذا الفتى يا شريح؟ فقال شريح: يا أمير المؤمنين، إنّ هذا الفتى ادّعى على هؤلاء القوم دعوى فسألته البيّنة فلم يحضر أحدا فاستحلفتهم له فقال أمير المؤمنين عليه السلام هيهات يا شريح! ليس هكذا يحكم في هذا فقال شريح: فكيف أحكم يا أمير المؤمنين فيه؟ فقال علي عليه السلام: أنا أحكم فيه ولأحكمنّ اليوم فيه بحكم ما حكم به أحد بعد داود النبي عليه السلام، ثم جلس في مجلس القضاء ودعا بكاتبه، وأمره أن يحضر صحيفة ودواة، ثم أمر بالقوم أن يفرقوا في نواحي المسجد، ويجلس كل رجل منهم إلى سارية وأقام مع كل واحد منهم رجلا، وأمر بأن تغطى رؤوسهم وقال لمن حوله: إذا سمعتموني كبّرت فكبّروا، ثم دعا برجل منهم فكشف عن وجهه ونظر إليه وتأمّله، وقال: أتظنّون أنّي لا أعلم ما صنعتم بأبي هذا الفتى؟ إني إذا لجاهل ثم أقبل عليه فسأله، فقال:

١- المصدر نفسه، ص٩.
٢- الطبرسي، مستدرك الوسائل، ج١٧، ص٣٩٤.

مات يا أمير المؤمنين في سفره فدفناه[1] فقال: أين مات؟ وفي أيّ يوم مات؟ وفي أي ساعة مات؟ وأين دفنتموه؟ وفيما إذا كفّنتموه؟ ومن غسّله؟ ومن صلّى عليه؟ ومن أنزله في قبره؟ يسأله عن ذلك شيئًا شيئا، ويجيبه الرجل عنه حتى أتى على ما أراد من سؤاله، ثم كبّر علي عليه السلام، وأمر من حوله، فكبّروا حتى ارتفعت أصواتهم، فسمع صاحبه التكبير، فلم يشك في أنّ صاحبه قد أقرّ[2].

ثم دعا الآخر فقال له: مثل ما قال للأول فقال: يا أمير المؤمنين، إنّما كنت واحدا من القوم وقد كنت كارهًا للقتل وأقرّ بالقتل، ثم دعاهم واحدًا واحدا من القوم فأقروا أجمعون ما خلا الأول، وأقروا بالمال جميعًا وردّوه، وألزمهم ما يجب من القصاص. فقال شريح: يا أمير المؤمنين، كيف كان حكم داود عليه السلام في مثل هذا الذي أخذته عنه؟ فقال علي عليه السلام: مرّ داود عليه السلام بغلمان يلعبون وفيهم غلام منهم ينادونه بـ (مات الدين) فيجيبهم فوقف عليهم داود عليه السلام فقال: يا غلام، ما اسمك؟ فقال: مات الدين. قال: ومن سمّاك بهذا الاسم؟ قال: أمي، فقال: أين أمك؟ قال: في بيتها. قال: امضِ بين يديّ إليها فمضى الغلام فاستخرج أمه فقال لها داود عليه السلام: هذا ابنك؟ قالت: نعم. قال: ما اسمه؟ قالت: مات الدين. قال: ومن سمّاه بهذا الاسم؟ قالت: أبوه قال: وأين أبوه؟ قالت: خرج مع قوم في سفر لهم لتجارة فرجعوا ولم يرجع فسألتهم عنه فقالوا: مات. وسألتهم عن ماله فقالوا: مات وذهب ماله. فقلت: هل أوصاكم في أمري بشيء؟ فقالوا: نعم أوصانا وأعلمنا أنّك حبلى، فمهما ولدت من ولد فسمّيه مات الدين قال: وأين هؤلاء القوم؟ قالت: حضور. قال: امضي معي إليهم فجمعهم وفعل في أمرهم مثل هذا الذي فعلته، وحكم بما حكمت وقال للمرأة سمّي ابنك (عاش الدين).[3]

- الصيد في لباس الأحرام

عن عبادة بن الصامت[4]، أنه قال: قدم من الشام حجّاج، فأصابوا أدحى

١- القاضي النعمان، دعائم الإسلام، ج٢، ص٤٠٤-٤٠٥.
٢- القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج٢، ص٣١٣.
٣- القاضي النعمان، دعائم الإسلام، ج٢، ص٤٠٦.
٤- عبادة بن الصامت بن قيس بن أحرم الأنصاري، يكنى أبو الوليد، وأمه قرة العين بنت عبادة بن نضلة، شهد عبادة مع رسول الله صلى الله عليه وآله بدر وأحد والخندق وغيرها ومات في الشام سنة أربع وثلاثين للهجرة، ابن سعد الطبقات الكبرى، ج٣، ص٤١٢-٤١٣.

نعامة[1] فيه خمس بيضات وهم محرمون، فشووهنّ وأكلوهنّ، ثم قالوا: ما أرانا إلا وقد أخطأنا وأصبنا الصيد ونحن محرمون[2]، فأتوا المدينة وذلك في أيام عمر بن الخطاب، فأتوه فقصّوا عليه القصة، فقال: انظروا إلى قوم من أصحاب النبي ﷺ فاسألوهم عن ذلك ليحكموا فيه.[3]

أتوا جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، فسألوهم، فاختلفوا في الحكم في ذلك، فقال عمر: إذا اختلفتم فهاهنا رجل كنا أمرنا إذا اختلفنا في شيء أن نحكمه فيه، فأرسل إلى امرأة يقال لها أم عطية (نسيبة)، فاستعار منها أتانا لها، فركبها وانطلق بالقوم معه حتى أتى عليًّا عليه السلام وهو بينبع[4] في أرض له يجري فيها ماء ومعه قنبر، فلما نظر قنبر إلى عمر، قال لعلي عليه السلام: هذا عمر قد أطلك، فخرج علي عليه السلام فتلقاه، ثم قال له هلا أرسلت الينا، فنأتيك؟ فقال له عمر: الحكم يؤتى في بيته، فقص عليه القوم القصة، فقال علي عليه السلام لعمر مرهم فليعمدوا إلى خمس قلائص[5] من الإبل فيطرقوها الفحل، فإذا أنتجت اهدوا ما نتج منها جزاء عما أصابوا، فقال له عمر: يا أبا الحسن، إن الناقة قد تجهض، فقال له علي عليه السلام: وكذلك البيضة قد تمزق، فقال عمر: لهذا أمرنا أن نسألك[6]

امرأتان لزوج توفي

روى القاضي النعمان أنّ رجلًا كان له امرأتان، امرأة من الأنصار، وامرأة من بني هاشم، فطلّق الأنصارية، ثم مات بعد مدّة، فذكرت الأنصارية التي طلّقها (أنها في عدّتها) وقامت عند عثمان بن عفان بميراثها منه، فلم يدر ما يحكم به في ذلك، وردّهم إلى علي عليه السلام فقال: تحلف أنها لم تحض بعد أن طلّقها ثلاث حيض،

١-أدحى: هو موضع بيت النعامة، وسُمّي بذلك لأنها تدحو للبيض، أي: تبسطه وتوسعه، الدينوري، غريب الحديث، ج٢، ص١٤٤.

٢-وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حُرُم ومن قتله منكم متعمّدًا فجزاءٌ مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدلٍ منكم هديًا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عمّا سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام**﴾ المائدة/ الآية ٩٥.

٣-القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج٢، ص٣٠٤.

٤-ينبع: هي قرية بين مكة والمدينة، وهي من طريق الحاج الشامي، تبعد سبع مراحل عن المدينة. الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٤٥٠.

٥-القلوص: وهي من النوق(الشابة منها)، وجمعها قلائص، وهي أول ما يركب من إناث الإبل. الجوهري، الصحاح تاج اللّغة، ج٣، ص١٠٥٤.

٦-ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص١٨٦.

وترثه. فقال عثمان للهاشمية: هذا قضاء ابن عمك، قالت: قد رضيتهُ، فلتحلف وترث، فتحرّجت الأنصاريّة من اليمين، وتركت الميراث[1].

- امرأة تهب زوجها جارية

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنّ امرأة رفعت إليه زوجها، وقالت: زنى بجاريتي فأقرّ الرجل بوطء الجارية. وقال: هي وهبتها لي، فسأله عن البيّنة فلم يجد بيّنة فأمر به ليرجم فلمّا رأت ذلك، قالت: صدق قد كنت وهبتها له، فأمر علي عليه السلام أن يخلّى سبيل الرجل، وأمر بالمرأة فضربت حدّ القاذف[2].

رجل زوّج ابنته وزفّ أختها

روى النعمان أنّ رجلًا من أهل الشام تزوج ابنة لرجل من امرأة مهرية، فزوّجه إياها، ثم زفّ إليه ابنة له أخرى من أمة، فبنا بها، ثمّ علم بعد ذلك أنها غير التي تزوج، فخاصم أباها إلى معاوية، فقال معاوية» ما أرى إلّا أنّها امرأة بامرأة، وقال ذلك من حوله، ثم رفعها إلى علي، فأتيا إلى علي عليه السلام، فقصّا عليه القصة، فمدّ يده إلى الأرض، فأخذ منها شيئا بإصبعه، ثم قال: القضاء بينكما في هذا أيسر من هذا لهذه، ما سقت إليها بما استحللت من فرجها، وعلى أبيها أن يجهز الأخرى بمثل ما سقت إلى هذه، ويسوقها إليك بعد أن انقضى عدّة هذه التي قد دخلت بها، ويجلد أبوها نكالًا لما فعل[3]

-الأحكام التي تولّى قضاءها الإمام علي في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب:

مجنونة اقترفت جريمة

لعل من الأحكام التي تولى قضاءها عليه السلام في زمن الخليفة الثاني عهد عمر بن الخطاب على الرغم عما عرف عنه من ذكاء وعقل راجح، ودهاء وعلم بأصغر الأمور وأدقّها، لكنه لم يتردد علي عليه السلام في قضائه للأحكام التي يصعب مراسها، ومنها قضية المجنونة التي زنت وهي من أشدّ القضايا التي حكم بها الإمام عليه السلام وأصعبها و تبيّن أنها مجنونة زنى بها رجل فهرب، فقامت البيّنة عليها، وأمر الخليفة، بجلدها فمر بها علي عليه السلام وقد أبى أن تجلد[4] فقال عليه السلام: «ما بال مجنونة

١-المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٠، ص٢٣٧.
٢-القاضي النعمان، دعائم الإسلام، ج٢، ص٤٥٣.
٣-ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص ١٩٧.
٤-العلامة الحلي، المستجاد من الإرشاد، ص١١٥.

آل فلان أن تعتل أي تجذب جذبًا قوياً[1] وأشار عليه السلام قائلاً: «إن النبي صلى الله عليه وآله رفع القلم عن المجنون حتى يفيق[2]، وفي رواية أخرى: فمروا بها على علي عليه السلام فأرسلها، وقال لعمر: لقد علمت أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: رُفِع القلم عن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يعقل، وعن الصغير حتى يكبر، وهذه مجنونة، فقال عمر: صدقت يا أبا الحسن، وخلّى عنها[3].

فضلاً عن قصة الحامل الزانية التي ذكر أنه جاء بحامل قد زنت فأمر الخليفة الثاني برجمها، فقال له عليه السلام «هب لك سبيلاً عليها، أي سبيل لك على ما في بطنها[4] وفي قوله تعالى: ﴿**ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾[5] قال عمر: لا عشت لمعضلة لا يكون لها أبو الحسن عليه السلام، ثم قال: فما أصنع بها ؟ قال عليه السلام احفظ عليها حتى تلد فإذا وجدت لولدها من يكفله فأقم عليها الحد قال فلما ولدت ماتت قال عمر: لولا علي لهلك عمر[6].

من القضايا التي عجز عمر عن توضيحها لرعيته فأدركه علي عليه السلام بحلها وتذليلها قضية مفادها أن امرأتان كتابيتان تنازعتا في عهد الخليفة الثاني إزاء طفل ادّعته كل واحدة منهما ولداً لها بغير بيّنة، ولم ينازعهما فيه غيرهما أحكامه[7]، فالتبس الحكم في ذلك الأمر على الخليفة الثاني فتدخل عليه السلام في الحال فاستدعى الامرأتان ووعظهما، وخوّفهما من عواقب الأمور، واستمرتا على التنازع والاختلاف في حضرته فقال عليه السلام في تماديهما في النزاع ائتوني بمنشار فقالت له المرأتان: ما تصنع ؟ فقال عليه السلام: « أقدّه نصفين لكل واحدة منكما نصفه، فسكتت أحداهما، وقالت الأخرى: الله الله يا أبا الحسن إن كان لا بُدّ من ذلك فقد سلمت به لها، فقال: الله أكبر هذا ابنك دونها، ولو كان ابنها لرقّت عليه وأشفقت، فاعترفت المرأة الأخرى بخطئها وطلبت العفو من والدة الرضيع بأن الحقّ معها، والولد لها دونه فسر الخليفة الثاني كثيراً من قضاء علي عليه السلام وحنكته ودعا للإمام بما فرج عنه في محنته[8].

١-تعتل: إنما تُعتّل باعتلال أفعالها الثلاثيّة؛ إنما اعتلّ اعتلال؛ أي قام، ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ج٥، ص١٧٥٨.
٢-الطبرسي، الاحتجاج، ج١، ص١٧٥.
٣-ابن حنبل، مسند أحمد، ج٢، ص٣٧٢-٣٧٣.
٤-الإربلي، كشف الغمة، ج١، ص١١٣.
٥-النجم/ ٣٨.
٦-الأمين، عجائب أحكام أمير المؤمنين، ص٦٠.
٧-ابن شهر آشوب، المناقب، ج٢، ص٥٨.
٨-المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٠، ص٢٥٢.

- طلاق الأَمَه:

جاء رجلان إلى عمر بن الخطاب، فسألاه عن طلاق العبد للأمة، فمضى بهما إلى حلقة فيها أمير المؤمنين علي عليه السلام، فقال له: ما طلاق العبد للأمة؟ فأشار إليه بإصبعه المسبحة والتي تليها، فقال للرجلين تطليقتين فقال له أحدهما: سبحان الله! جئناك وأنت أمير المؤمنين، نسألك، فجئت إلى رجل فسألته وأجبتنا ما أفتاك به، فقال عمر: ويلك! أتدري من ذلك الرجل؟ هو علي بن أبي طالب، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لو أنّ السماوات والأرض وضعتا في كفّة ميزان ووضع إيمان عليّ في كفة أخرى لرجح إيمان عليّ)[1].

- الحليب يحسم النزاع

كان رجل له امرأتان، وكانتا قد حملتا منه، فولدتا في بيت واحد في ليلة مظلمة ابنًا وابنة، ومات الرجل، فادَّعت كل واحدة منهما الابن، فرفع ذلك إلى عمر، فقال: أين أبو الحسن، مفرّج الكرب فدعا له به، فقصّ عليه القصة، فدعا بقارورتين فوزنها ثم أمر كل واحدة فحلبت في قارورة، ووزن القارورتين، فرجحت إحداهما على الأخرى، فقال علي عليه السلام الابن للّتي لبنها أرجح والابنة للّتي لبنها أخف. فقال له عمر: من أين قلت ذلك يا أبا الحسن؟ فقال: لأن الله عز وجل جعل للذكر مثل حظ الأنثيين[2].

- قضاؤه عليه السلام إبّان حكم معاوية:

اختصم رجلان إلى معاوية في ثوب، فقال أحدهما ثوبي، وأقام البيِّنة، وقال الآخر: ثوبي اشتريته من السوق من رجل لا أعرفه، فقال معاوية: لو كان لها علي بن أبي طالب، فقام أحد الحاضرين بمجلس معاوية فقال له: قد شهدت عليًّا قضى في مثل هذا، قال معاوية: وما الذي قضى به؟ قال: قضى بالثوب للَّذي أقام البيّنة، وقال الآخر: أطلب البائع منك، فقضى معاوية بذلك بين الرجلين.[3]

- ستة غلمان دخلوا الماء فغرق أحدهم

روى النعمان عن علي عليه السلام: أنه قضى في ستة غلمان دخلوا ماء فغرق أحدهم، فشهد ثلاثة على اثنين أنهما أغرقاه، وشهد اثنان على ثلاثة أنهم أغرقوه، فقضى بديته أخماسا على الاثنين ثلاثة أخماس الدية وعلى الثلاثة خمساها[4].

١- ابن المغازلي، مناقب أمير المؤمنين، ص٣٥٤.
٢- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص١٨٩.
٣- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص١٩٧.
٤- القاضي النعمان، دعائم الإسلام، ج٢، ص٤٢٣.

الخاتمة ونتائج البحث:

-استطاع الإمام علي عليه السلام تولّي زمام القضاء وأحكامه الشرعيَّة، ووضع الحلول المناسبة للمسائل والقضايا الشائكة والمعقّدة التي تعذّرت على الخلفاء والصحابة والتابعين الإجابة عنها، أو تحليلها.

-تناولت أحكام أمير المؤمنين في الحكم على القضايا والأمور المعقّدة والمسائل العالقة عبر تذليلها، وفك عقدها من قبله عليه السلام؛ إذ حدثت الكثير من القضايا التي بات من الصعب توضيحها وتسهيلها للعامّة؛ إذ نجد عبر حكمته، وفطنته، وعبقريّته القضائيَّة في حلّ مختلف المسائل والأحكام القضائيَّة.

-كانت تلك القضايا في مجالاتٍ ومضامين متعدّدة، منها: حقول العلم والمعرفة، وأصول الشريعة الإسلاميَّة كالطبّ، والفقه، والسياسة، والتجارة، والتفسير، والتأويل، وهي قضايا عجز عن حلّها كبار الصحابة، والفقهاء، والتابعين.

-اتّسم قضاؤه عليه السلام بالعدل والمساواة المستمدّة أحكامه من القرآن الكريم، والسّنَّة النبويّة الشريفة، كما ذُكرت تلك القضايا عند عموم المسلمين في كتب التفسير، والتراجم، والطبقات، والسياسة، والقضاء، وغيرها.

ثبت المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن محمد (ت٦٥٦هـ)شرح نهج البلاغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٩ه.
- ابن حنبل، مسند أحمد(ت٢٤١ه)، مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عادل مرسي، وآخرون، مؤسسةالرسالة،بيروت،٢٠٠١م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت ٨٠٦ هـ)، مقدمة ابن خلدون، طه، دار القلم، بيروت لبنان، ١٩٨٤م.
- ابن سعد، محمد بن سعيد بن منيع (ت٢٣٠هـ)الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٠م.
- ابن شهر آشوب(ت٥٨٨ه)، مناقب آل أبي طالب، تحقيق وتصحيح: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدريّة، النجف الأشرف، ١٩٥٦م.
- ابن عابدين محمد أمين (ت ١٢٥٢هـ) حاشية رد المحتار على الدر المختار،دار المعرفة،بيروت،
- ابن قيم الجوزية، أعلام الموقعين عن رب العالمين،بيروت،١٩٧٧م.
- ابن المغازلي، أبو الحسن علي بن محمد (ت٤٨٣هـ)، مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، تحقيق تركي بن عبد الله الوادعي، دار الآثار، صنعاء، ٢٠٠٣م.
- الإربلي، علي بن أبي الفتح (ت٦٩٤هـ)، كشف الغمة في معرفة الأئمّة، دار الأضواء، بيروت، دون تاريخ.
- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد(ت٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
- الأمين، السيد محسن(ت١٣٧١ه)، عجائب أحكام أمير المؤمنين علي عليه السلام، تحقيق فارس حسون كريم، مطبعة محمد، ٢٠٠٠م.
- باقر شريف القرشي، الحكومة وإدارة الدولة، مطبعة الآداب، النجف، ١٤٢٧هـ.
- الشيخ التستري، محمد تقي، قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، طبع أهل الذكر، ١٤٢٦هـ.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد(ت٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة، أحمد عبد الغفور عطا، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

- جرداق، جورج، الإمام علي صوت العدالة الإنسانيّة، مج١، دار المهدي، بيروت، ٢٠٠٤م.
- الجبعي العاملي، الشهيد زين الدين (ت ٩٦٥هـ)، الروضة البهية في شرح اللّمعة الدمشقية، مطبعة الآداب النجف الأشرف، دون تاريخ.
- الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله(ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.
- الحر العاملي، محمد بن الحسين (ت١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، ١٤٣٠هـ.
- العلامة الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي(٧٢٦ه)، المستجاد من الإرشاد، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٦ه.
- الحطاب الرعينيّ المالكي، شمس الدين أبو عبد الله (ت٩٥٤ه)، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، دار الفكر، بيروت لبنان، ١٣٩٨هـ.
- الخوئي، السيد أبو القاسم الموسوي، مباني تكملة المنهاج مطبعة بابل، بغداد،
- الدينوري، ابن قتيبة عبد الله بن مسلم(ت٢٧٦ه)، غريب الحديث، تحقيق: عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٦م.
- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار القلم، دمشق، دون تاريخ.
- الرازي، محمد بن أبي بكر(٧٢١هـ)، مختار الصحاح، تحقيق وتصحيح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٤م.
- شمس الدين، دراسات في نهج البلاغة، دون مكان النشر، دون تاريخ، .
- الشوشتري، محمد تقي، قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، طهران، ١٣٧٩هـ.
- الشربيني، الشيخ شمس الدين محمد بن محمد الخطيب الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، ، دار الفيحاء للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م.
- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن(ت٤٦٩ه)، تهذيب الأحكام، تحقيق حسن الموسوي، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، ١٣٦٥ه.
- الطبرسي، ميرزا حسين النوري(ت١٣٢٠هـ)، مستدرك الوسائل، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، ١٩٨٧م.
- الطبرسي(ت٥٤٨هـ)، الاحتجاج، دار

النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٦م.
- العاملي، السيد جعفر مرتضى، قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام، مطبعة دفتر تبليغات إسلامي، قم، ١٤٣٠ه.
- د. العبودي، عباس زبون، شرح أحكام قانون الأثبات المدني، دار الثقافة، عمان، ٢٠٠٥ م.
- العثيمين، الشيخ محمد بن صالح، الشرح الممتع على زاد المستقنع، دار ابن الهيثم، القاهرة.
- القاضي النعمان، أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي(ت٣٦٣ه):
- القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، تحقيق الحبيب الفقي، إبراهيم شبوح، محمد اليعلاوي، دار المنتظر، بيروت، ١٩٩٦م.
- القاضي النعمان، اختلاف أصول المذاهب، تحقيق مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٣م.
- القاضي النعمان، دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام، تحقيق آصف بن علي أصغر فيضي، دار الأضواء، بيروت، ١٩٩١م.
- القاضي النعمان، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ٢٠١٠م.
- المجلسي(ت١١١١هـ)، محمد باقر بن محمد، بحار الأنوار، تحقيق يحيى العايدي الزنجاني، مؤسسة الفدك، بيروت، ١٩٨٣م.
- د. محسن باقر، القضاء في النظام القضائي عند الإمام علي عليه السلام، دار الغدير، لبنان، ١٩٩٩م.
- محمديان، محمد، حياة أمير المؤمنين عليه السلام عن لسانه في عصر الخلفاء الثلاثة، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٣ه.
- د. الموسوي، محسن باقر، القضاء والنظام القضائي عند الإمام علي، بيروت، ١٩٩٩م.
- مجموعة علماء، قصص وكرامات الإمام علي عليه السلام، دار الصفوة، بيروت، ٢٠٠٠م.
- النووي، شرح صحيح مسلم، المطبعة المصرية، ١٩٧٢.

أبواب المعرفة